

# أَعْلَامُ الصَّحَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ

ابْرَاهِيمَ عَبْدَهُ  
الشَّتَّار

مدرس الصحافة وتاريخها بكلية الآداب  
جامعة فؤاد الأول

---

الطبعة الثانية مذيلة مزودة

---

الناشر : مكتبة الآداب بالجاميز تليفون ٤٢٧٧٧

المطبوع بالموسم العاشر لـ مكتبة الشابوري للطباعة

---

---

**حقوق الطبع محفوظة للمؤلف**

---

## مقدمة الكتاب

تاریخ الصحافة في الشرق العربي حافل بالنخبة المتنقة من أعلام هذه الصحافة التي أكدت وجودها بالرغم من عمرها القصير بالقياس ، إلى أعمال غيرها من الصحفات ، فإن أقدم صحيفة عرفها العالم العربي صدرت في سنة ١٨٢٨ م ، بينما عرفت الأوراق الخبرية والمجازيات الأسبوعية في أواسط أوروبا وغربها قبل ذلك بعده قرون.

وقد قام على إنشاء الصحافة العربية ، وقدم لها بالجهد والعلم والمثال مئات من الصحفيين الأدباء العارفين أقدار المهنة ، والمؤمنين برسالتها في الحياة ، وقد أصطنعهم القدر لخدمة هذه المؤسسة العلمية الرفيعة ، حتى بلغت في أيامنا مكانتها من النضج والاستواء .

وقد راجعت هذا الكتاب الذي أقدم فيه لقراء العربية صفوته مختارة من أعلام الصحافة العربية ، وأضفت إليه بعض الفصول ، كما عدلت في بعضها الآخر ، وقد أستعنت في ذلك بالوثائق والأسانيد ، وترجمت لكثير من الشخصيات ، بعد دراسات سابقة قضيت فيها العمر إعداداً وتحضيراً .

وليس في مقدور مؤرخ هذا الجانب من تاريخ الصحافة العربية أن يلم في كتاب واحد بسيرة عظام الصحفيين جمِيعاً ، فذلك فوق طاقة الأفراد ، لأن كتب هذه السيرة لا ينفرد بها إنسان واحد ، بل تقتضي أن يساهم كل قادر على تأريخها بما وسعه الجهد ، فنحن نحاول هنا أن نضرب المثل في كتابة سيرة خير الأُمَّة لصناع الصحافة وأصحاب الصدارة في تاريخها ، ولا تزال مئات السير موزعة في بطون الكتب أو الصحف أو الأفراد ، تنتظر من يكتب فيها ويؤرخ لها ، ينقب عنها في مصر ولبنان وسوريا والعراق وأوروبا والأمريكتين وغيرها من بلاد الدنيا التي زخرت بجهودات عظام الكتاب الصحفيين من

أبناء العروبة المجددين في أصوتها ، الضاربين الأسوة الطيبة في السفاح من  
أجل رسالتها .

وسيجد القارئ في هذه الصفحات تاريخاً شاملاً لبعض الصحفيين من العرب . معظمهم من حملة الـ "قلم" في القرن التاسع عشر ، ولعل التاريخ لهذه الصفوّة من الصحفيين أصعب ما يقابل المؤرخ بعد الشقة بيننا وبينهم ، ولقلة الوسائل التي تكشف مانعنى من أخبارهم ، وحسبى أنّي حاولت تصوير منهاجهم ، ورسم صورة لجهادهم ، أرجو أن أكون قد وفقت في تصويرها وأبرزت جوانب الخير فيها .

وليس مثلى أن يعد بأكثرب من أنه سيحاول مع المحاوّلين في تاريخ سير عظام الصحفيين كلما سنتحت الفرصة ، وواتت الظروف ، مستعيناً على ذلك بالبحث والتنقيب ، راجياً أن يعينني الله على أداء بعض ما لهذا الجانب التاريخي من حق على كل عامل في شؤون الصحافة العربية ، صحيفياً كان أو معلمًا لهذه المهنة السكرية على مدى الزمان .

لـ "الله" عزّ وجلّ

فبراير ١٩٤٨

## نشأة الطباعة والصحافة في إسرائيل وأوروبا

سجّل تاريخ أوروبا صفحات رائعة عن نشأة الطباعة والصحافة فيها؛ فصور لنا كيف عرفت المطبعة، ثم بين لنا مولد الدورية أو الصحيفة، وقدم لها براحتها المختلفة، فإذا تاريخ الصحافة الأوروبية مجموعة من الصور البدية للكفاح في سبيل الرأي، بدأ بالخبر المنسوخ، وهو أول لون من ألوان النشر الصحفى، وبيعت هذه الأوراق الخبرية للخاصة وأصحاب التفوذ في مختلف دول القارة، ثم هيأت المطبعة فرصة نشر الأخبار المطبوعة للعامة والخاصة على السواء، ووجد الناشر فيها لذة الفائدة، ومتعة الإشاعة، ووسيلة للقراءة الخفيفة المفيدة أحياناً، وإذا المجازية تأخذ طريق النضج والاستراء فتصبح الجريدة التي نعرفها إذا استيقظ الصبح أو أدى النهار.

لم يعرف الشرق الأدنى هذه الخطوات، بل تأخر فهمه لفائدة المطبعة ردحاً من الزمن، كانت أوروبا قد جاوزت فيه هذا الدور البدائي في نشر الأخبار المنسوخة والمطبوعة، ووقفت القسطنطينية حائل دون أن يهضم الشرق بولايته السلطانية هذا الفن، خوفاً من الرأى الحر أن ينشر، أو حرضاً على فكرة دينية قد تسيء إليها المطبعة، ويدرك لنا تاريخها قصة ازدلافها إلى السلطنة العثمانية، فقد كانت الأستانة أول مدينة في الشرق عرفت الطباعة، إذ أنشأ فيها يهودي يدعى إسحق جرسون في أوائل القرن الخامس عشر الميلادي مطبعة عبرية، وقد نزع من أوروبا لهذا الغرض، ومضت مطبعته تؤدي رسالتها ثلاثة قرون، غير أنها اقتصرت على طبع الكتب وال تعاليم الدينية ليهود الشرق، دون أن تتعرض لنشر كتاب على أو تاريخي أو أدبي،

ثم انتقلت المطبعة إلى البلاد الشامية، واستقرت في دير قرحايا جنوب طرابلس، حيث كانت حروفها سريانية وعربية مضبوطة بالشكل، وعالج الفن والذوق طريقة النشر فكان بعض صفحات الكتب في لونين، وبعضاً في إطارات منمقة بدعة الإخراج، ومنذ عرفت هذه المطبعة في مطلع القرن السابع عشر، أخذت مدن الشام كحليب تقيم هذه المؤسسات وتنشر الكتب، وهي في أغلبها كتب دينية لا تعرض لرأي حديث، ولا تحاول نشر فكرة تخالف مذهب أصحاب السلطان في الحكم، أو وسيلة في تناول الحياة، ثم عرفت المطبعة العربية في الآستانة والقاهرة ومالطا وبيت المقدس والعراق على التوالي، وللمطبعة العربية في الآستانة والقاهرة تاريخ حافل ينبغي أن نعرض له في إيجاز.

حاول بعض الأتراك إنشاء مطبعة في القرن السابع عشر، فأقى علماء الدين أن المطبعة رجس من عمل الشيطان، فلم يجرؤ تركي في تركيا على العودة إلى هذه المحاولة إلى أن قيس الله لها نصيراً في شخصين: هما محمد أفندي الحلبي سفير الباب العالي في فرنسا، وابنه سعيد أفندي الذي صار فيما بعد صدراً أعظم، والذى هداه عليه ورحلته في فرنسا إلى تعرف أثر الطباعة في حياة الشعوب، فأخذ على عاتقه الدعاية لتأسيس مطبعة بين أصحاب الرأى في عاصمة الخلافة، ثم اتصل بالصدر الأعظم وأقنعه بفكرةه، ورجا منه أن يتوسط له عند السلطان، واقتنع أحمد الثالث سلطان تركيا بفكرة سعيد أفندي فاستكتب شيخ الإسلام ومعاونيه فتوى تؤكد أن المطبعة فضل من الله ثم صدر الفرمان العالى موقعاً عليه بالخط الشريف سنة ١٧١٢ من خصا لسعيد أفندي بطبع جميع أنواع الكتب إلا كتب التفسير والحديث والفقه والسلام، وهكذا استطاعت الطباعة العربية أن تأخذ طريقها في عاصمة الخلافة، وتنتقل منها إلى هنا وهناك.

أما تاريخ الطباعة في مصر فيختلف أشد الاختلاف عن تاريخها في الشرق فقد عرفت أصغر المدن في الشرق فن الطباعة وحال الملك دونها عادة قرون، إلى أن نزل الجنرال بونابرت بجيشه وعاته أرض مصر سنة ١٧٩٨، وكان بين العتاد مؤسسة مطبعية خفمة، فيها عدة مطابع: إحداها فرنسية وأخرى يونانية وثالثة عربية للدعائية والإعلان، وعن هذه المطبعة صدرت كراسات الدعاية والمشورات التي كانوا يلصقونها في الشوارع والحايرات، وعند أبواب المساجد كما يقول الجبرى في تاريخه عن عهد الفرنسيين، ثم صدرت عن هذه المطبع عشرات الكتب باللغتين الفرنسية والعربية في الدين والتاريخ والأدب والفنون، بل كانت هذه المطبع أكثر إنتاجاً وأقوى أثراً بما نشرت من صحف فرنسية، وبما حاوله الولاة الفرنسيون من نشر صحيفة عربية تصدر عن مؤسستهم الأولى في بلاد المصريين، فنشاط هذه المطبع في السنوات الثلاث التي قضتها الحملة في مصر يعادل نشاط معظم مطابع الشرق الأدنى في عشرات السنين، ولم يعرف المصريون المطبعة في تدرجها إلى الكمال النسبي في القرن الثامن عشر، بل عرفوها كاملاً فيما حل إليهم الفرنسيون من مطبع رسمية أو مطبع حرية نقلت معهم بأصحابها الكلفين المنامرين، ثم احتفى هذا النشاط المطبعي زهاء عشرين عاماً، إلى أن تأسست مطبعة مصر الكبيرى في بولاق على عهد محمد على الكبير بين سنتي ١٨١٩ و ١٨٢٠.

والملاحظ هنا أن الطباعة في مصر صحبتها الصحافة أيضاً، وهذا نقص كان في الشرق الأدنى، فقد شهد المصريون في حملة بونابرت صحيفتين، إحداهما بريد مصر (Le Courrier de L'Egypte) في ٢٩ أغسطس ١٧٩٨ تحمل أخبار مصر الداخلية، وهي الأخبار المحلية في القاهرة والأقاليم، وتوزع كل خمسة أيام، وكانت تتضمن أحياناً بعض الشعر والأدب، وكثيراً من الرحلات وأخبار الوفيات وبعض الإعلانات المختلفة، والصحيفة الثانية التي أنشأها بونابرت، هي العشرينية المصرية (La Décade Egyptienne)، وقد تخصصت

لنشر بحوث أعضاء الجمع العلمي المصري ، وهي دراسات في الزراعة والتعليم والأمراض وكل ما يتصل بشؤون الحياة المصرية ، إلى بعض البحوث العلمية كأمثال لقمان الحكم وترجمتها الفرنسية ، ثم حاول الجنرال عبد الله منو ثالث الولاية الفرنسيين وآخرهم إنشاء صحيفة سياسية باللغة العربية تدعى « التنبية » ولكن الحوادث عاجله ، فكانت دون نشر أقدم صحيفة عربية في الشرق ، لو تم لها الظرف والميلاد .

هذا ملخص وجيزة لنشأة الطباعة في الشرق الأدنى ، أما الصحافة في الشرق فقد نشأت في كنف الولاية والسلطان ، نشأت صحافة رسمية فحسب ، وكانت أقدمها الصحافة المصرية . فصر عرف الصحافة في « جرزال الخديو » الذي أصدره ولـي النعم محمد على رئيس الأسرة الحاكمة المصرية حوالي سنة ١٨٢٢ ، وكان يطبع في مطبعة القلعة بالقاهرة ، ويصدر كل مرة في مائة نسخة باللغتين العربية والتركية متضمناً الأخبار الرسمية الحكومية وبعض الفصص من الف ليلة وليلة ، وكان جرزال الخديو يرسل إلى رجالات الدولة وأموريها الذين يعني البشا بأن يقفوا منه على أحوال البلاد ، وقد بيـقـ هذا الجـرـنـالـ يـصـدرـ مـحـمـدـ عـلـيـ وـحـدـهـ بعد إنشاء الواقع المصرية في ٣ ديسمبر سنة ١٨٢٨ ، وهي الجريدة الرسمية الثانية التي أصدرتها حـكـومـةـ الـبـاشـاـ فـيـ مـصـرـ ، وـبـجـانـبـ هـاتـيـنـ الصـحـيقـيـتـيـنـ أـنـشـأـتـ حـكـومـةـ فـيـ سـنـةـ ١٨٣٣ـ الـجـرـيـدـةـ الـعـسـكـرـيـةـ لـشـؤـونـ الـجـيـشـ ، وـالـجـرـيـدـةـ التـجـارـيـةـ الـزـرـاعـيـةـ فـيـ سـنـةـ ١٨٤٨ـ لـشـؤـونـ التـجـارـةـ وـالـزـرـاعـةـ .

وكان الحال مـاثـلاـ فيـ عـاصـمةـ السـلـطـنةـ ، وإنـ جاءـ نـشـرـ الصـحـفـ فـيـهاـ مـتأـخـراـ ، بلـ لمـ يـكـنـ فـيـ الـعـاصـمةـ الـتـرـكـيـةـ إـلـاـ جـرـيـدـةـ وـاحـدـةـ رـسـمـيـةـ هيـ جـرـيـدـةـ لـوـمـونـيـتـورـ أوـتـوـمـانـ Le Moniteur Ottoman فيـ النـصـفـ الـأـوـلـ مـنـ الـقـرـنـ التـاسـعـ عـشـرـ ولمـ تـعـرـفـ الـبـلـادـ الشـامـيـةـ الصـحـافـةـ رـسـمـيـةـ كـانـتـ أوـحـرـةـ إـلـاـ فـيـ النـصـفـ الثـانـيـ مـنـ الـقـرـنـ المـاضـيـ ، وـقدـ أـنـشـأـتـ حـكـومـةـ لـوـيـ فـيـلـيـبـ الـفـرـنـسـيـةـ صـحـيفـةـ «ـ الـمـبـشـرـ »ـ فـيـ الـجـزـائـرـ سـنـةـ ١٨٤٧ـ بـالـغـلـيـنـ الـعـرـبـيـةـ وـالـفـرـنـسـيـةـ ، لـإـرـشـادـ الـوطـنـيـنـ

## والمستعمرات إلى الحضارة الجديدة ومشاكل البلاد ومصالحها الزراعية والتجارية والصحية .

هذه الصحافة على عمومها كانت تصدر في كنف الحكومات الشرقية المختلفة ، ولا يملك محررها مهما يكن قدره في عالم الأدب والمعروفة حق نشر موضوع من الموضوعات إلا إذا أتاه الوحي من الوالي أو الأمير ، فاقتصر الجهد الصحفي على الصحافة الرسمية ، وشاع في هذه الصحافة نشر الأخبار والدعوة للحكومة ، والحرص على تمجيدها وإعلام شأوها ، ثم إذاعة بعض آثار من الأدب العربي القديم ، وكان نقلًا خالصاً والاختيار فيه لا يضيف إلى العلم جديداً أو يثير في النفس رغبة القراءة أو النقد أو التحليل ، لذلك فقد المشرفون على هذه الصحافة كثيراً من صفات الصحفي الذي يخاطب بيرواته ويؤلف بمقابلاته تاريخاً يستوجب الحديث عنه أو الإشارة إليه ، حتى تختلط الصحافة في الشرق الأدنى هذا الدور الأول ، ونزل إلى ميدانها صحفيون نافسوا في ميدان العلم والأدب والسياسة ، وكان ذلك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، حيث تساوت تركيا والشام ومصر في هذا النشاط ، يدفعها جميعاً اضطراب الفكر الذي شمل تلك البلاد ، فنشأت الصحافة الشعبية أو صحافة الأفراد ، وسجلت بوجودها تاريخها الأصيل ، وأشاعت بلفتاها ومجادلاتها تيارات فكرية نمتلت الشرق من حال إلى حال ، وخلقت بوجودها شخصيات صحافية نحن اليوم بصدق بعضها ، ذررخ هذه الشخصيات كعنوان لغيرها من الشخصيات الصحفية التي تعجز صفحات الكتاب عن استيعابها جميعاً .

# محمد على الكبير

لعل كثريين يدهشون لاحتساب محمد على الكبير رأس الدولة المصرية الحاضرة بين مخفيفي الشرق ، وهو الأمير الذي تغلب على تاريخه صفات أخرى ، وقلما تذكر كتب التاريخ له لفترة صحافية ، أو تشير من بعيد إلى موقف يصله بالصحافة وتاريخها . ومؤرخو مصر معدنورون إن شغلو بمحمدى على فاتحاً أو منظماً وأهملوا سياسته الصحفية ، فعهد الشرق بالصحافة قريب ، وحذب أمير من ولاته على الصحافة أمر غريب ، فكيف يسيغ المؤرخون أن يحسب على الصحافة رأس أمراء الشرق، وهم المرقون أن حكامه خصوم بطبيعتهم للصحافة وخاصة في ذلك العهد الذي اعتبر فيه النشر بصورة المتابينة خطراً يؤذى النظام ، ويسوء إلى الأخلاق ؟

ومحمد على صحيق ، بل أجمل ما في تاريخه هذا الجانب من نشاطه الذي أهمله المؤرخون رعاية لمكانة الأمير الذي قد يهون انتسابه للصحافة من مكانته بين أقرانه من الأمراء ، وليس غريباً على محمد على أن يشغل جزءاً من حياته في إنشاء الصحافة ورعايتها ، فإن نظمه التي أعدها لمصر استوجبـت إصدار الصحف ، وهو يرعى هذا النشاط باليقظة والعناية التي يبذلها لكل نواحي التجديد في مصر . بل كان إصدار الصحف وسليته لمعرفة آثار هذه النظر عند الأهالى ، ورسالته إلى موظفيه من الحكم والأمورـين « فـأـرـادـ وـلىـ النـعـمـ أنـ تـنـقـحـ الـأـخـبـارـ الـتـىـ تـرـدـ إـلـىـ الـدـيـوـانـ الـمـذـكـورـ — يقصد ديوان الجنـالـ — وـيـتـنـتـخـ بـمـنـهـاـ مـاـ هـوـ مـفـيـدـ، وـتـنـشـرـ عـمـومـاـ مـعـ بـعـضـ الـأـمـورـ الـتـىـ تـرـدـ مـنـ مجلـسـ المـذـاكـرـةـ السـائـىـ ، وـالـأـمـورـ الـمـنـظـورـةـ فـيـ دـيـوـانـ الـخـديـوـىـ ، وـالـأـخـبـارـ الـتـىـ تـأـنـىـ مـنـ أـقـطـارـ الـجـازـ وـالـسـوـدـانـ وـمـنـ بـعـضـ جـهـاتـ أـخـرىـ وـذـلـكـ لـيـكـونـ هـذـاـ كـاهـ

سبباً للحصول على الفوائد الحسنة التي هي مقصود ولِ النعم ، وتقويمًا لمارسة المأمورين الفخامة وباقى الحكام الكرام المقلدين تدبير الأمور والمصالح »<sup>(١)</sup>.

ثم اختص البشا قلعته بمطبعة تقوم على طبع صحيفة يقال لها « جرنال الخديو » ولِ إدارتها رجلًا يؤثره ، وجعل من إدارته واسطة بينه وبين مختلف الإدارات ومراكز الحكومة في الأقاليم ، وعيّن لديوان الجرنال في القاهرة نخبة من السكتاب الذين يجيدون اللغتين العربية والتركية ، ووظف بعض عماله في الريف لجمع أخبار الدولة ، على أن يتولى « محمود أفندي جرنال ناظري » أى ناظر الجرنال جمع هذه الأخبار وصياغتها في إدارته ، وتقديمها لأعتاب ولِ النعم في أوقات ضربها وألزمها برعايتها<sup>(٢)</sup>.

ويشاء ولِ النعم أن تنتظم أخبار الجرنال حتى لا تضطرب « المصلحة » والمصلحة هنا مصلحة الشعب ، فالجرنال عند البشا وسيلة لفهم شؤون الناس وتغدير معاملة موظفيه « للعباد » وهو يأمر بأن يترك القائمون بنسخ الأخبار والإشراف على الجرنال « برزخ الاستراحة » حتى لا يبيق « عباد الله في التعب » أو تخيب عنه مصالحهم.

وولي النعم لا يدعى إلى انتظام الجرنال في رفق ، ولا يأخذ موظفيه في أمره بهوادة ، بل هو ينذر بالقانون ، والقانون يعقوب المهمل في الجرنال « بالضرب ٣٠٠ نبوت » .

نعم ثلاثة نبوت ... وهو فيها نعتمد عقاب لم ينفذ ، أو لعله نفذ مرة واحدة على سبيل التذكرة والعبرة ، فإن ثلاثة نبوت لون من العقاب الموت أهون منه على أى حال ...

(١) راجع افتتاحية العدد الأول من جريدة الواقع المصرية في ٢٥ جادى الأول سنة ١٢٤٤ هـ

(٢) محفوظات عابدين : دفتر رقم ٥٣٠ معيّنة ترك وثيق رقم ٢ في ٣ رمضان ١٢٤٣ من الجناب العالى إلى محمود أفندي ،

وقد يبدو من هذا العرض لاهية « ديوان الجرنال » أنه كان وقفاً على الوالي دون حكومته ، وأنه قين بأن يكون تقريراً خاصاً لا يتصل بالصحافة أو يمت إليها بسبب ، ييدأن هذا الجرنال كان يطبع يومياً من مائة نسخة باللغتين العربية والتركية ، متضمناً الأخبار الرسمية وغيرها ، وبعض قصص من ألف ليلة وليلة ، وكان يرسل إلى رجالات الدولة وأموريها الذين يعنهم أن يقفوا على أحوال البلاد بشرها وخیرها ؛ وقد أمر بإذاعة بعض القصص فيه حتى يحبب قراءته إلى رجال دولته<sup>(١)</sup> .

وليس في هذه المقدمة الصحفية ما يغرس باعتبار محمد على صحيفياً أو يزيده عن نظرائه من الولاة شأنها في هذا الباب ، غير أن محمد على يخطو خطوة أخرى فلا يقنع بجرنال الخديوي ، فهو يريد صحيفة كالصحف التي يتلقاها من أوروبا ، والتي كانت تقرأ له ويعجب بما فيها ، وكان حفيماً بها حريراً عليها حتى إنه كتب إلى بعوض بك يحذره أن يهمل إرسال تلك الصحف إليه وينذره إن أهمل بعقوبة لا تتفق معها تعلة أو اعتذار<sup>(٢)</sup> ، وهو يريد صحيفة ماثلة لتلك الصحف تتسع لبعض أغراضه ، فأنشأ « الواقع المصرية » في ٣ ديسمبر ١٨٢٨ ، ثم هيأ لها خطة الزيّع والانتشار على نهج يتحقق آماله فيها ورجاءه منها ، فأمر بتوزيعها على كبار رجال دولته وزوجاته والعلماء ، ثم طلاب العلم الذين كان لهم عنده مكانة ممتازة ، فقد عني بهم الوالي ، يهتمم للحكم ويعدهم لأعبائه ، لذلك كان توزيع الواقع عليهم ضرورة تعلية النشئة التي رغب فيها البشا ، يريد أن يعلموا من أمر النظام الجديد أكثر مما كان يريد أن يعلمه غيرهم من فئات الناس .

(١) ذكر تفصيلاً لصورة هذا الجرنال وهيئته F. Bonola في كتابه :

Una Visita a Mohamed Ali nel 1822 La Prima Stamperia et il Primo Giornale. Revue Internationale d'Egypte II no Octobre 1905

(٢) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٢٦٦ دفتر رقم ٣٩ معية تركي في ١٤ شوال

ثم يأمر محمد على بأن يشترك فيها الموظفون ، فإذا أحس أن بعضهم يتبرم بهذا التكليف أمر بأن يقصر اشتراكها على كبار الموظفين ، وبياح لغيرهم حق الاشتراك فيها إذا شاموا ، فالوقائع في اعتباره « شيء رقيق لطيف وليس هو بالشيء الذي يعطي بالإكراء ، بل إنما يعطى بتدليل »<sup>(١)</sup> ولم يعف ضباطه من قرامتها ، وأمر بأن تلاحقهم الواقع في أعماق السودان ، وترسل إليهم في جزيرة العرب أو الشام حتى حدود الأناضول ، ويعيث إليهم بها في كريت ثم يذكر مبعوثيه في أوروبا ، فیأمر بأن تنقل اليهم مع بريده إلى باريس أو لندن أو روما أو فيينا أو إلى غيرها من بلاد الدنيا ، حيث يكون المصريون طلابا للعلم ، أو في مهمة من مهامات الدولة « الكثار » فكان يختص بعض المجاهنة بحمل الواقع إلى السويس ، ومن السويس تنقل في البحر إلى جدة ، ومحافظ جدة يرسلها إلى أصحابها حيث كانوا ، أما أعداد السودان فقسم إلى وكيل ناظر سنار « المقيم في القاهرة » وهو يرسلها إلى المجاهنة الذين يأتون من سنار بين وقت وآخر ، وفي الشام يقوم « سعاة البريد بتوزيعها في الطريق من غزة إلى طرابلس » وقد كلف « أمير اللواء عثمان بك » بتوزيعها على أصحابها في كريت<sup>(٢)</sup> .

وظيفة الباشا هنا تذكرنا بمديرى الصحف الذين وكل إليهم أمر الإداراة والتوزيع <sup>١١</sup> .

إذا وثق الوالى من توزيع الواقع بحيث تصبح مقرومة في جميع البيئات المصرية راقب بنفسه صلاحية النشر فيها ، وأخذ يشير برأيه في أصعب مسائلها وأهونها ، يعنيه أن تؤدى مطبعة الصحيفة وظيفتها أداء حسنا ، يشير إلى ذلك

(١) محفوظات عابدين ونيقة رقم ٤٥٨ دفتر رقم ٣٢ ممية تركى في ١٠ ذى القعدة ١٢٤٤ هـ من الميبة إلى حضرة الحاج ابراهيم فندى :

(٢) محفوظات عابدين ونيقة رقم ٢٩ صفر سنة ١٢٤٩ هـ دفتر ٢١٦ مسلسل ١٧٦ أصلية رقم ٧٨٧ ديوان خديوى تركى .

ما كتبه إلى سامي بك مأمور الواقع يستفهم عن أحد العمال الذي أثارت  
كتاباته الشكوك ، أنت الآن موجود بمصر فاستدعي العامل المذكور واتخبره  
جيداً هل يستطيع أن يقوم بصنع الحروف كما يجب ؟<sup>(١)</sup> فهو يريد أن  
يكون عماله الأصغرون على كفاية ، فلا تضيقه الأخطاء المطبعية ، وخاصة تلك  
الأخطاء التي يترتب عليها اضطراب في الموضوع ، وقد كتب في ذلك  
إلى مختار بك يخبره بأنه طلب مسودات قائمة الضباط المطبوعة في الواقع ،  
وعاينها فوجدها غير مطابقة للطبوع ، وأصدر أمراً بأن يستدعى ناظر الواقع  
ويستجوب في سبب تغيير بعض الأرقام دون إستدانته ، ثم يذكر في هامش  
كتابه « بأنه إذا تبادر إلى الخاطر بأن مثل هذه الأخطاء توجد في كل الجرائد  
فهناك ملحوظة هامة ، وهي أن الواقع المصرية جريدة حكومية ، وأن مركزها  
خطير ، لذلك يجب الاهتمام في صحة مندرجاتها ، وعدم نشر أى شيء فيها قبل  
الوثق من صحته ، وقبل السؤال عنه وفهمه جيداً »<sup>(٢)</sup> .

وطبيعي أن الجهد الذي بذله البشا وحکومته في إصدار الصحيفة وتمكينها  
من الرواج كانت تدفع إليه أغراض كثيرة ، فالجناب العالى كان يرسل إليها أوامره  
لتشرفيها ، ويريد أن تكون مكاناً خصباً لمدحه والثناء عليه ، كما كان يوزع  
بالمقالات التي من شأنها أن تعلن جهوده «المتباعدة» وتبين فضلاً من أفضاله  
«المواتية» ، وكانت الأخبار الهامة التي ترسل للطبع يصدر معها أمر عال « بأن  
تسكتبوا مقالاً شائقاً في الواقع في هذا الشأن »<sup>(٣)</sup> وكان يهم البشا أن يرى  
الجمهور في هذه المقالة صورة للحكومة العادلة ، وكانت أمثل هذه المقالات  
التي يضعها أحد رجاله أو عماله سواء كانوا من المصريين أو الفرنجية تلقى من

(١) محفوظات عابدين أمر عال رقم ٣٦٢ في ٢٢ جادى الأولى سنة ١٢٥٠ م دفتر رقم ٥٦ ممیة تركى .

(٢) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٣٢١ في ٢٧ جادى الآخرة سنة ١٢٥٠ م

(٣) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٤٥٨ في ٩ صفر ١٢٤٥ م دفتر رقم ٣٢ ممیة تركى

لدنہ عنایة خاصة ، فیطلع عليها ویدلی فيها برأى قبل نشرها في الواقع ، ويبيّن لنا كتاب المعیة إلى بغوص بك مدى التفات الباشا إلى مثل هذا الموضوع حيث قالت في كتابها « وصلت لنا مقدمة الواقع — أى الافتتاحية — التي نظمها الخواجة میموم ، فاطلع عليها جناب ولی النعم خازن الاستحسان عنده وصدرت الإرادة السنیة بأن تنشر فيها »<sup>(١)</sup> وفي خطاب آخر من المعیة إلى مختار بك ما يوضح لنا أن هذه الافتتاحيات كانت عرضة للتغيير والتبدیل ، فقد « اطلع الجناب العالى على المسودة التي وضعها المیموم لوبر من أعضاء شورى المدارس لطبعها في الواقع . إننا وإن كنا عدنا فيها بالمحو والإضافة بدون تغيير في المعنى إلا أنها رأينا أن الأمر يتطلب حتى إبدال صيغتها تطبيقاً لأصول الإنشاء »<sup>(٢)</sup> .

والمعیة هنا لا تشير برأى ، وإنما تتلقى الملاحظات من ولی النعم لتبلیغها . ولیست الافتتاحية وحدها التي كانت تتلقى الرعاية وتختص بالعنایة ، بل إن الحوادث المهمة التي كانت تنشر في الواقع كان الباشا يحددها ويرسلها إلى دیوان المطبعة لتنشر في الجريدة الرسمية ، فقد تلقى حبیب افندی كتاباً جاء فيه « كتبت اليوم الحوادث المراد طبعها ونشرها في الواقع ، وأرسلناها ضمن كتابنا هذا لمقامكم السکریم ، وإن من مقتضى أمر ولی النعم أن تکلفوا بتزجتها الخواجه نصری وكیل الحریر »<sup>(٣)</sup> وكان الباشا یسو عه جداً نشر الأخبار التافهة ، أو الحوادث التي لا تليق بکرامتها ، وقد كتب إلى مأمور الواقع مراراً يلتفت نظره إلى هذه « الأمور الجزریة » ثم یعقب في إحدى هذه الکتب على خبر سیء نشر في الواقع « لقد أخذنا العجب في درج مثل

(١) محفوظات عابدين وثیقة رقم ٢٦٠ في ١٩ محرم ١٢٤٩ هـ دفتر رقم ٥٣ معیة سنیة

(٢) محفوظات عابدين وثیقة رقم ٦١٨ في ٧ ربیع الأول سنة ١٢٥٢ هـ قسم الأوامر العلیة .

(٣) محفوظات عابدين وثیقة رقم ٥١ في ١٠ محرم ١٢٤٩ هـ دفتر رقم ٥٠ دیوان خذیلی تركی .

هذه الحوادث القبيحة ، فإذا علمتم ذلك فعليكم من الآن فصاعداً أن تدرجوا الحوادث اللائقة بالنشر ، وتجنبوا نشر مالا يليق نشره ، وأن تلاحظوا ذلك بكل تدقيق واهتمام ، لأنه من مقتضى ذمة خدمتكم ومطلوب أن تكونوا بعده على انتباه وبصيرة <sup>(١)</sup> وكان المفهوم أن أوامر الأمير ستلقى أذنا مصغية ، غير أن الجريدة نشرت خبراً جاءها من الجيش عن حادث بين بكباشى الأورطة بدミاط وبين البولك أمين ، فأرسل البشا يعنف ناظر الجهادية ويأخذ عليه أنه أذن بنشر أخبار لم يكن يليق بكرامة الواقع أن تنشر فيها ، ثم يطلب معاقبة الذين عملوا على نشر هذا الخبر <sup>(٢)</sup> .

أدى نشر الأخبار التافهة في الصحفة إلى التفات محمد على إليها التفاتاً خاصاً ، فرأيnahme حريراً أشد الحرص على أن يطلع بنفسه على كل موضوعات الواقع التي تعد للنشر ، حتى يأمن عترة المحرر ويتحقق للجريدة كرامتها ، وقد تلقى مأمورها خطاباً من الجناب العالى يفسر لها هذا كله ، اطلعت على خطابكم الذى تقولون فيه إنكم استقلتم ما أرسلناه لكم لتنشروه في الواقع عن توجيه رتبة أمير اللواء ، على إبراهيم بك ، وأنكم أعدتموه لنا لتصحه وتزيد فيه ، إنك يا هذا رجل مبتدئ بالثرثرة ، ولكن ليس زاماً علينا أن نكتُر من الكلام كما تكتُر أنت ، فانشر ما أرسلناه لك من قبل كاهو ، وإذا لزم من الآن فصاعداً نشر شىء في الواقع فأرسله لنا أولاً لنطلع عليه ، حيث لا يجوز نشره من غير أن زاه <sup>(٣)</sup> وقد جرت العادة منذ ذلك الوقت على أن يرفع ناظر الواقع مسودات الجريدة قبل الطبع ليقرأها الوالى ويقضى فيها برأى ، يؤكّد هذا خطاب ثان أرسل من المعية السنية إلى مأمور الواقع ينبع فيه بأنه عرض

(١) مخطوطات عابدين وثيقة رقم ٥١ في ١٤ جادى الآخرة ١٢٤٨ هـ دفتر ٤٩ معية سنية .

(٢) مخطوطات عابدين وثيقة رقم ٢٤٢ في ٢٦ ربيع الثانى ١٢٤٩ هـ دفتر ٤٩ معية سنية

(٣) مخطوطات عابدين وثيقة رقم ٧٤٣ في ١٢ جادى الآخرة ١٢٥١ هـ دفتر رقم ٦٦ معية تركى .

« على الأعتاب العالية المسودة التي أرسلتموها ضمن كتابكم الشريف لدرجها في الواقع ، وقد أجرينا فيها بعض التعديلات وأعدناها لكم لطبعها ، وبعثنا لكم بالمسودة التي وضعناها ضمن خطابنا هذا ، والاهتمام بهذا الأمر من مقتضى الإرادة السنوية »<sup>(١)</sup> .

وظيفة الباشا هنا تذكرنا برؤساء التحرير الذين وكل إليهم أمر الخبر والمقال ! !

وقد دلتنا هذه الوثائق التي أشرنا إلى طرف منها على أن عناية محمد على بالواقع المصرية لم تكن عناية سطحية تتفق ومتاعب الوالي الذي كانت تشغله الحياة العامة بمسائل أخطر كثيراً من الجريدة الرسمية ، ولكن البasha عارف بقدر الصحافة وأثرها في حياة الشعوب ، لذلك وسعت مشاغله أمور الجريدة التي كانت تصدر في بعض أيامه أكثر من مرة في الأسبوع ، وهو وإن يكن بعيداً عن تحرير الصحيفة بالمعنى المفهوم أو إنشاء مقالاتها كما يصنع المحررون ، أو جمع أخبارها كما يفعل المخبرون ، إلا أنه يرعى ذلك كله بذنه الواسع ولفتاته الراطعة ويراجع بنفسه الأخبار ، ويشير بالمقالات؛ ويحذف ما يجيئه منها إذا لم يتافق ذلك مع كرامة الصحيفة أو أصول الفن الصحفي ، وهو لا يدخل عليها بسال أو رجال ، ويأمر بأن يلي أمر طبعها عمال مهرة لاتشوب كفایتهم شائبة ، ثم يعين لتحريرها والإشراف عليها خيرة رجاله ، ومن بينهم مختار بك مدير المدارس وبنووص بك ثقته في المسائل العليا ، وبعض كبار المعلمين الفرنجية ، ويضع لنواحي التحرير العربية رفاعة رافع الطبططاوى أستاذ المدرسة الصحفية في عهده وعهد خلفائه الأقربيين ، وهو عالم له فضله وأثره في النهضة اللغوية والترجمة في القرن التاسع عشر .

(١) مخطوطات عابدين ونيقة رقم ١٩ في ٧٩٩ جادى الآخرة ١٢٥١ هـ دفتر رقم ٦٦  
مكتبة تركى .

فَهُمْ عَلَى إِذْنِ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ لَيْسُ كَعِيرِهِ مِنْ وِلَادَةِ عَصْرِهِ الَّذِينْ شَغَفُوا  
بِالصَّحَافَةِ الرَّسِيمَةِ عَلَى سَبِيلِ التَّقْليِدِ أَوْ اسْتِكَانِ مَظَاهِرِ مِنْ مَظَاہِرِ السُّلْطَانِ،  
لِذَلِكَ كَانَتِ الْوَقَائِعُ فِي عَهْدِهِ أَمْرًا ضَرُورِيًّا وَشَيْئًا يَتَصلُّ بِوَظِيفَةِ الْحُكْمِ،  
وَلَا يَمْكُنُ أَنْ تَسْتَغْنِيَ عَنْهُ الدُّولَةُ، وَيَكْفِيهِ أَنْ يَحْفَظَ لِنَفْسِهِ فِي تَارِيخِ الصَّحَافَةِ  
الشَّرِيقَيَّةِ بِهَذَا الْجَهْدِ الْمُتَصَلِّ لِلابْقَاءِ عَلَى أَقْدَمِ صَحِيفَةٍ عَرَفَهَا الشَّرِقُ، وَضَرَبَ  
الْمَثَلُ لِغَيْرِهِ مِنْ الْوِلَادَةِ وَالْحُكْمَ، وَالْإِعْلَانُ عَنْ قَدْرِ الصَّحَافَةِ فِي حَيَاةِ الْبَلَادِ؛  
حَتَّى قَلَدُوهُ كَثِيرُونَ فَسُجِّلُوا فِي صَحَافَتِهِمْ تَارِيخَ النَّشَاطِ الشَّعْبِيِّ وَالْحَكَوْمِيِّ،  
وَتَرَكُوكُمْ لَنَا بِذَلِكَ مَوَارِدٍ يَرْتَادُهَا الْبَاحِثُونَ كَلِمًا أَعْوَزُهُمْ الْحَقَائِقُ التَّارِيخِيَّةُ فِي  
جَدَاؤُهَا الأُصِيلَةِ .

وَبَعْدَ الصَّحَافَةِ فِي الشَّرِقِ صَاحِبَةُ جَلَالَةٍ مِنْذُ بَعِيدٍ، وَآيَةُ ذَلِكَ هَذَا الْعَرْضُ  
لِسَمْهُمْ أَمِيرُ أَمْرَاءِ الشَّرِقِ فِي تَارِيخِهَا الْعَرِيشِ .

---

الخديوي اسماعيل

مهما تختلف آراء المؤرخين في تقدير حكم الخديو إسماعيل لمصر فإن لدينا من الوثائق التي اكتشفت أخيراً ما ينزع منها الإعجاب بناحية كانت مستخفية في تاريخه، فإذا إسماعيل أقدر رجال الحكم في النصف الثاني من القرن الماضي في الشرق والغرب، أقدرهم على توظيف الصحافة في شئون الدولة، فهـى تعاون وزير خارجيـه إذا نـزح إلى أوروبا، وتسـند وزـير داخـلـيـه في مشـاـكـلـ الـحـكـمـ، وتعلـن عن مـصـرـ فيـ مـصـرـ وـالـشـرـقـ، وـتـؤـيدـ بـسـلـطـانـهاـ دـعـائـمـ سـلـطـانـهـ؛ وـتـنـافـسـ مـدارـسـهـ فيـ تـعـلـيمـ شـعـبـهـ، بلـ تـسـبـقـ مـدارـسـهـ إـلـىـ إـعـدـادـ رـأـيـ عـامـ حرـ لمـ يـشـهـدـ لـهـ الشـرـقـ مـشـلاـ مـنـ قـيلـ.

يقبل إسماعيل فإذا اتفاق قناعة السويس الذى عقده سلفه يجور على سلطان الدولة ، ويكلف خزانتها فوق احتياطها ، فيأبى الخضوع لهذا الاتفاق ، ويسافر رسوله نوبار باشا إلى أوروبا ، فيحارب شركة القناة بأسلوبها ، ويوظف الصحافة الباريسية وفي مقدمتها «الطاں»<sup>(۱)</sup> في منازلة ألسنة الشركة من صحيفتين ، وإذا فرنسا باسرها تشغلى قضية مصر ، وإذا «جريدةتنا» ، الطان كما كانت تسمى تحمل على خصومه وتعلن عن مصر أحسن إعلان ، تؤيدتها صحف مرسلية وغيرها من صحف الأقاليم ، ولا يعنيه بذلك أن تتكلف خزاناته عشرات الآلوف من الفرنكفات ، فإن اسم مصر وحقوق مصر لا ينبغى

(١) كانت جريدة الطان *Le Temps* أعظم صحيفة فرنسية ، وقد اشتري اسماعيل بعض أسهمها باسم وزيره نوبار ، لذلك كانت هذه الصحيفة تقف إلى جانب مصر على عبد الحفيظ في جميع الأزمات التي مرت بها ، ثم وقفت إلى جانب الأرمن وناصرتهم في خصومة لهم لتركيا وغيرها من بلاد الشرق الإسلامي .

أن يدخل في حسابها ألف الف فرنك أو المئات ، ثم يأمر الوالي ناظر خارجيته أن ينشئ في باريس مكتباً يسميه (مكتب الصحافة) تدوم خدمته ويكون وسيطاً بين الباشا وبين صحافة فرنسا ووكالات أنباءها ، ويمتد وساطته إلى صحف بلجيكا ، على أن يقوم السكونت زيزينيا في الأسكندرية بنفس هذا العمل ، إذا احتاج ولن يتم إلى صحف في إيطاليا أو في غيرها من بلدان قلب أوروبا .

كان هذا أول نشاط صحفي لإسماعيل ، بدأ في الخارج ولم تشعر به مصر ، لأن قضية القناة جابتة ولما يمض في أريكته الخديوية شهوراً ، فإذا استقر أمره بعد ستين التفت إلى صحيفته الرسمية ، الواقع المصرية التي « سطت عليها أيدي الليل ومرقت صحفها كل عزق في الزمن الحالى ، فبقيت نحو ستين معتقلة اللسان تنتظر فرجاً باعتدال الزمان » كما يقول خيري بك مكتوبجي الحضرة الخديوية وهو يصور حياة الواقع في نهاية عهد سعيد<sup>(١)</sup> ، فكتب الخديو إلى ناظر مالية يقول « إن من المسلم به أن للجرائم منافع ومحسنات عند الأهالى ولدى الحكومة ، ولذلك فاني أرغب في إدخال جريدة الواقع المصرية في عداد الجرائد المعتبرة »<sup>(٢)</sup> وتم له ما أراد فإذا للواقع « منافع ومحسنات » عند المصريين الذين قرموا صحفة جالت في ميدان العلوم والفنون وزخرت بأخبار الدنيا من الصين إلى الأمريكتين ، وتمت « المنافع والمحسنات » للحكومة أيضاً بما أخذته الواقع على عاتقها من التعبير عن سياسة الدولة الداخلية والخارجية ، ومكافحة خصومها ورد أعدائها وتنفيذ دعاوام .

والخديو الذي يقدر موظفي جريده فلا يدخل عليهم يمال بل هو يبذل لهم في سخاء ، تم يختار لقلم الواقع مكاناً يليق بصحيفته ، وينذهب إلى أكثر من

(١) راجع جريدة الواقع المصرية في ٢٥ نوفمبر ١٨٦٥

(٢) مخطوطات عابدين وثيقة رقم ٦٤١١٨١ أوامر المالية في ٣ رجب عام ١٢٨٢

هذا فيأمر للحررين « بالبن والفحيم لزوم القهوة والماء العذب لزوم المشروب »<sup>(١)</sup> ! وحسب كاتب الخبر والمقال أن يصفو من اجهه ويتعدل ، ويلبيه الساق إذا ثقل عليه القيظ أو خمد فيه الذهن

ولما كانت للجرائد « منافع ومحاسن » فقد أنشأ الخديو صحيفة لشئون الطب في ١٨٦٥ سماها « يعسوب الطب » تشرف عليها الحكومة وتنشرها مطابعها ، على أن تقدم لمطالعها من رياض الطب وأزهاره ما يغتنيهم عن المرجع إلى مطولاًات الكتب وشروحها ، أو المجلات الطبية الأجنبية وفصولها الطوال .

وكانت موضوعاتها طريقة خفيفة يلذ للقاريء العادي أن يطالعها بنفس الرغبة التي يستقبلها بها المثقفون وال المتعلمون . فلم تعرض للموضوعات الصحفية الجافة ، بل عالجت الموضوعات العلمية العميقه في أسلوب يدركه أى قاريء ، وقد ساهم في تحريرها الأطباء المصريون والفرنجية ومنح الشيخ إبراهيم الدسوقى الأديب المصرى المعروف وقتذا علاوة على راتبه مائة وخمسين قرشا مقابل قيامه بتصحيح لغة المترجم من نصوص الأطباء الأجنبى<sup>(٢)</sup> .

ثم أصدر ول النعم صحيفه لضباطه وجندوه سماها ( الجريدة العسكرية المصرية ) وهى كما تقول افتتاحيتها « لا تختص باشتغال على بنود تتعلق بأنواع العلوم والفنون العسكرية المتحصلة عند الملل المتأخرین والأمم المعاصرین فقط ، بل يندرج فيها أيضاً فوائد جليلة وإرشادات جميلة مما لا بد منه لـ كل إنسان متمدن ، ولا يأس به لكل حاذق متقن ، من المعرفة النافعة ، والفنون المتعددة ، مع ما ينضم لذلك من تحليلية هذه المجموعة يادراج يوميات محصل

(١) مخطوطات عابدين وثيقة رقم ١٠٩ في ٩ جهادى الأولى ١٢٨٥ هـ ٧٤ دفتر ٧٧ من ١٠٧

(٢) أمر عال إلى مجلس الصحة في ٢٤ ربيع الأول ١٢٨٢ هـ ٢١ من ١٩١٣ قرار ١٢٨٢ عربي

ما يحصل في سائر أقطار الدنيا من الحوادث الكبيرة الbolitique أي السياسية والواقع الشهيرة العسكرية،<sup>(١)</sup>.

ثم أصدر المخديو صحيفه مماثله بعد تسع سنوات سماها ( جريدة أركان حرب الجيش المصري ) لتزامن الجريدة العسكرية، ولكنها تختص ببحث الموضوعات التي تهم كبار الضباط وهيئة أركان حربه ، فكانت أكثر تخصصاً للجيش ونظمه ومتكراته وأثاره .

وفي خلال ذلك يأمر سموه بأن يكون لتلاميذ المدارس صحيفه يسمى بها ( روضة المدارس ) يضع على رأسها على مبارك باشا ، ويولى أمر تحريرها رفاعة رافع الطهطاوى أستاذ الصحافة والصحفيين فى الشرق العربى فى القرن التاسع عشر ، يعاونه ألمع أسماء العصر من الأدباء والمعلميين ، فكانت ميداناً رحيباً من ميادين الأدب والاجتماع والتاريخ والفلك والرياضيات ، بحيث تسكون فيها كما تقول هي « الفوائد المتنوعة والمسائل المتصلة والمتفرعة أقرب تناولاً للمطلع المستفيد ، وأسهل مأخذآ لمن يعاينها من قريب الفهم والبعد ، بقلم سهل العبارة واضح الإشارة ، وألفاظ فصيحة غير حوشية ولا متجمشمة لصعب التراكيب ، ومعان ر吉حة تنخرط في سلك مستحسن الأساليب .. فإن المرام من ظهورها بهذه الصورة هو أن تكشف لل العامة مخدرات العلوم وترفع حجبها المستوره ، و تستضيء بنورها أرباب العقول السليمة وأصحاب الطبائع المستقيمة »<sup>(٢)</sup> .

وإذن فتحن أمام شخصية تذكرنا بهذه الشخصيات الصحفية الضخمة

(١) من مقدمة الجريدة العسكرية في غرة جادى الثانية ١٢٨٢ هـ ( ٢٢ سبتمبر ١٨٦٥ ) ويلاحظ أن (الجريدة العسكرية) لم يقتصر في تحريرها على الضباط والجنود بل سمح لكثيرين من «أرباب المعارف المخصوصية وأرباب المناصب العلمية» بنشر ما يروق لهم من الموضوعات التي يستفيد منها القراء سواء كانوا عسكريين أو مدنيين .

(٢) راجع العدد الأول من روضة المدارس .

التي تنشئ مؤسسات النشر، فتعاون على نهضة الفكر وتهذيب الرأي ومعالجة الجهل والاتساع عليه في كل ميدان.

وهذا بعض نشاط الخديو الصحفى الرسمى ، غير أن لإسماعيل «طالب الملة» ورسالة يريد أن يؤدىها لعرشه وأخلاقه من بعده ، وأمان يرجوها لسلطانه ليتحقق بها استقلاله ، وهو لا يريد حرباً مع السلطان ينتزع بها هذا كله ولا يضمن بقاءه ، فليجرب الدعاية عند الباب العالى ، فلعل دعاته وما له يستطيعون انتزاع فرمانات الاستقلال من غير دماء ، ورسم الخديو الشكى سياسته ونفذهما بذبح ، أغان صحفاً وخلق صحفاً ، وأبقى على كثير من الصحف والصحفين .

كان عمال دعايته في الآستانة ثلاثة ، أبراهم بك وعلى بك السكريدي وأحمد فارس الشدياق صاحب (الموابد) أكبر وأخطر صحف الشرق إذ ذاك ، وللأول الصداررة في الدعوة والقيام بها ، واليه وكل الخديو شراء الرجال في يلدز ، وشراء الرجال في الصحف ، بل شراء الصحف نفسها ، والصحف الأجنبية خاصة التي يحسب لها رجال الخليفة ألف حساب ، أما الشدياق فكان ولاؤه لإسماعيل يقوم على شيء من الود المتصل بين زعيم الصحافة الشرقية وكبير ولاة السلطان ، وقد امتحنت صداقتهم ما يوم عزل إسماعيل فأبى أن يسود صحيفته بكلمة سوء عنه ، بل دافع عن سياساته ورسالته ، ولقيت صحيفته عقابها على هذا الوفاء فعطلت عدة شهور ، وهو لم يدع له خسب ، بل يكتب إليه بأنباء «المابين» ، واتجاهات ذوى السلطة وأخبار الشرق، مستقاة من أصدق المصادر، ليعرف خديو مصر كيف يحاربه خصومه ، وأين هو من تiarات السياسة العليا في دولة السلطان . والداعيان الآخرين يتناوبان الكتابة للخديو ، ويفصلان له جهد صحافة القسطنطينية في الدفاع عن سياساته في مصر ، ويتعلقان منه المقالات والأخبار لنشرها في تلك الصحف ، وكان إسماعيل حفيما بأصحاب ومحرري هذه الصحف حفاوة

يندر أن يكون لها مثيل عند الملوك والحكام ، فقد زار مصر (ادكار وينcker) محرر «الليفانت هيرالد» Levant Herald ، في القسطنطينية ، فإذا خديو مصر يعطيه كتاباً خاصاً لحافظ الاسماعيلية يذكر له فيه أن «مسيو إدكار وينcker محرر جرنال اللفانت هيرالد ناقل هذه متوجه لطرفكم من السويس في يوم الجمعة الآتي . ففي آن وصوله لطرفكم ، بعد مقابلته بالتلطيف والاحترام وإزاله في أوده باللوكانده لايقه لميته بها وتقربه على الحالات والجهات التي يرغب التفرج عليها مع المراعيه التامة وحسن الالتفات لجنبه مدة إقامته بطرفكم . وقد تحرر للسكة الحديد تعين وابور مخصوص لركوبه عند قيامه من طرفكم »<sup>(١)</sup> .

ولما يقف ول النعم إشاره للصحف والصحفيين عند هذا الحد، بل يستقبل غير محرر الليفانت هيرالد عشرات وعشرات ، ينزلون مصر ؛ فإذا فندق شبت «أى شبرد» يستقبلهم كما يستقبل الملوك على نفقه الخديو الخاصة ، وتقوم السلطات بخدمتهم كضيوف لولي النعم ! . فهذا التكريم الذي يقدمه الخديو للصحفيين ليس مرجعه صداقه خاصة ، فحسب ، بل هو تكريم يمنحه اسماعيل ليكسب صحافة هؤلاء الرجال ، سواء كانت صحفاً في الأستانة أو في أوروبا .

وقد كان إسماعيل معنياً أشد العناية بصحفيي الأستانة ، فقد وافق سموه على إعانة قدرها ثمانمائة جنيه لمدة خمس سنوات لصاحب «الليفانت هيرالد» على أن يقوم صاحب هذه الجريدة بإذاعة أخبار مصر والدعایة للوالى والتوسط لشروعاته عند أصحاب الشأن من الأتراك والأجنبيين ، ولم تكن هناك صحيفة في تركيا إلا ونالت من صلات الأمير أو عطفه الشيء الكثير ، ثم عطف على صحف الشام وهي صحف يعنيه أن يمدتها بالمال ، لأنها تقرأ

(١) محفوظات عابدين وثيقة رقم ١٩٠ ص ٥٦ دفتر ١٩٤٩ غير رسمي .

في مصر أيضاً، فنحها الإعانت والصلات واشترك في أكثرها، وكانت صحيفتا «الجنان» و«حديقة الأخبار»، في مقدمة صحف الشام التي نالت تأييد الخديو وعطافه.

ثم كان لشركة «هافاس وروتر» شأن في سياسة إسماعيل الصحفية، ولم يغفلما الخديو أو يقل من شأنهما، فرتب للشركة الأولى ألف ليرة في كل عام، ومنح الثانية ستين ألف فرنك كل سنة، وكان مندوبيها في مصر يتلقى كل ألف فرنك كل شهر، ولم تطر هذه المبالغ اعتباًطاً، فكثيراً ما حملت عليه صحف لوندره مقالات من شأنها أن تسمى إلى سمعة مالية الحكومة المصرية، وكانت قصاصات هذه الصحف تقدم للخديو ليرى رأيه فيها فيطلب إسماعيل الميسو شيلان مندوب شركة «روتر وهافاس» ويسلمه المقالات ليرد على حملات الصحف الإنجليزية<sup>(١)</sup>

(١) إن السياسة التي اتبعتها الخديو إسماعيل من الصحافة والصحفين الأجانب تعتبر في ذمة التاريخ شيئاً جديداً حقاً على أي حاكم شرق، ويعتبر إسماعيل أول مؤسس لنظم الدعاية في الشرق، وأكبر الظن أن الرجوع إلى ماضيه إسماعيل واجب محظوظ على كل حكومة مصرية تريد أن تعرف الطريق وتحسّن الوسائل، فلا تزال وسائله إلى يومنا مرجحاً وجهاً لم يربأ أن ينفع الطريق المستقيمة المنتجة. ونشير هنا إلى الوثائق والدوسيهات التي راجعناها وصورنا منها جيداً إسماعيل الصحف عند الأجانب في مصر والخارج، ليستعين بها من أراد التفصيل فيها أو جزئاً من حوادث وبيانات.

#### وثائق في مخطوطات عابدين التاريخية.

- ١ - محفظة ٤٩ معية تركى وثيقة رقم ٢١١ في ٢ جادى الثانية ١٢٨٩
- ٢ - وثيقة رقم ١٢٢ دفتر رقم ١٩٣٢ أوامر من ٢٦
- ٣ - « ١٩٠ من ٥٦ دفتر ١٩٤٩ غير رسمي
- ٤ - « ١٦ في ٣ ربيع الأول ١٢٨٢
- ٥ - « ٤٤٨ في ١٤ ذى القعدة ١٢٨٦ محفظة ٤٦ معية تركى
- ٦ - « ٤١٦ في ١٦ شوال سنة ١٢٩٠ محفظة ٥٠ معية تركى
- ٧ - « ٢٣٧ في ١١ رجب سنة ١٢٨٤ محفظة ٤٢ معية تركى
- ٨ - « ١٦٧ في ٢٣ جادى الآخرة محفظة ٤٤ معية تركى
- ٩ - « ٢٥٥ في ١٧ رجب ١٢٩٢ محفظة ٤٢ معية تركى .

ثم تختلف سياسة الخديو الصحفية في مصر ، فإذا هو عرضة لحملات بعض الصحف المصرية والفرنسية ، وفي مقدمتها « لوبروجريه أجبيسيان Progres Egyptien » التي خاصمت الخديو وحكومته وحملت على سياسة الذين التي اختطها إزاء تركيا ، وطالبت باستقلال مصر استقلالاً تاماً يبعدها عن مثل القسطنطينية وطريقها في الحياة ، كما دافعت عن حريات المصريين ، والفلاحين منهم خاصة <sup>(١)</sup> .

وقد كان جريدة لوبروجريه أجبيسيان ميلات في خصومة الخديو وحكومته لا يتحمل ذكرها المقام ، وقد استطاع الأمير أن يدل من سياسة بعضها ونذر كره في ذلك مثالين ، فقد كانت جريدة « L'Egypte » أشد صحف مصر خصومة لسياسة الخديو ، حتى أن حمر (الواقع) جعل من خطتها الرد على مفتريات ليجيت <sup>(٢)</sup> ، ييد أن إسماعيل أجرى مع ناشرها الميسو (أنطون موريس) اتفاقاً لمدة خمس سنوات تطبع فيه الجريدة على ذمة

١٠ - وثيقة رقم ٦٦ دفتر ٥٣٩ معية تركى ص ٩٠ في ١٣ ربيع الأول ١٢٨٢ هـ

١١ - « » دفتر ٢٦ ص ١٩٣٩ أمر إلى المالية .

١٢ - « » ٢١١ محفظة ٤٩ معية تركى في ٢ جادى الثانية ١٢٨٩ هـ

من شريف باشا إلى مهردار الخديوى

١٣ - « » ٢١٩ محفظة ٤٨ معية تركى في ٢٨ ربيع الثاني ١٢٨٨ هـ

١٤ - « » ٢٠١ محفظة ٤٥ معية تركى في ٦ ربيع الأول ١٢٨٦ هـ

من شريف باشا إلى الجناب العالى

#### دوسيهات في مخطوطات عابدين التاريخية

45/2, 45/1, 44/5, 44/2, 44/1 Dossiers

ولتسكلة ودراسة هذه الثانية من سياسة اسماعيل نود إلى كتاب

G. Douin (*Histoire du Règne du Khédive Ismail*). T. II. P.P. 222.  
240. 241. 324. 325. 436. 437.

(١) راجع Le progrès Egyptien في ١١ يوليو و ١٤ يوليو ١٨٦٩ وفي ١٨٧٠إبريل

(٢) راجع جريدة الواقع في ٢٥ نوفمبر ١٨٦٥

الحكومة المصرية مقابل ألف وثلاثمائة وستة عشر جنيها وتسعة وستين قرشاً في السنة ،<sup>(١)</sup> ثم استحوذ الخديو على « Le Phare d'Alexandrie » التي هرأت بحكمته وعلى رأسها نوبار باشا ، إذ زعمت أن « ليست عنده حاسة الرجل العمومي ولا يفهم في السياسة شيئاً » ومن ثم أصبحت لوفار صحيفة إسماعيل بعد أن عقد مع مديرها المحامي هايكليس « باشا فيها بعد » اتفاقاً لمدة خمس سنوات مقابل خمسين ألف فرنك في كل سنة<sup>(٢)</sup> .

أما سياسة إسماعيل الصحفية مع الجرائد الوطنية العربية فقد تبدلت حسب الظروف ، فهي صحف تعال بره وما له إذا التزمت جانب سياساته كما يؤيد ذلك تاريخ صحيفة « وادي النيل » لأبي السعود أفندي « وروضة الأخبار » لمحمد أنسى أفندي ، وهي موضع سخطه واضطهاده إذا اشتدت في النقد أو أغلوت في التعليق ، كما حدث في جرائد أبي نظارة وغيرها ، غير أنه شجعها بالرغم من صداقتها أو خصوصيتها كلما تأزمت الأمور بين مصر والدول الأجنبية .

وهكذا رأى الخديو إسماعيل في الصحافة سواء كانت في الشرق أو في الغرب ، وسواء كانت صحافة رسمية أو صحافة شعبية يصدرها مصريون ، رآها أداة من أدوات الحكم ووسيلة من وسائل السلطان ، وإن رجلاً هنا حسنه وهذا فضله لا يمكن أن تورخ الصحافة العربية دون أن يكون في مقدمة رجالها ، لأن له فيها تاريخاً ... وأى تاريخ؟

(١) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٢١٥ دفتر ١٩٤٨ أوامر من ٦٨

(٢) محفوظات عابدين Dossier 45/11

# رفاعه رفع الطهطاوى

اختصمت الثقافة الشرقية والغربية في صحفينا الطهطاوى ، فهو من الممتازين حفاظ القرآن ومن نوابع تلاميذ القضاى والشيخ حسن العطار ، وخاصة الأخير منها الذى احتفى به وفتح له بيته وتلقى عليه علوماً متباعدة ، من أهمها التاريخ والأدب والجغرافيا ، حتى أصبح فى نظر معاصريه «الأديب الأريب» العلامة الثبت الققة الحجة فى كل علم وفن الذى سابق جهاده عصره فى مضمار العلوم والفنون ، فلم ينتظم معه فى سلطتها أحد إلا كان واسطة العقد فى جيد الزمن ، <sup>(١)</sup> .

ولد رفاعه الطهطاوى فى مطلع القرن التاسع عشر ، وأمضى فترة شبابه فى الأزهر ، ثم أوصى به أستاذه العطار ليكون إماماً للإرسالية التى بعث بها الوالى إلى باريس ، وهناك لم يقف حياته على الإمامة وحدها ، بل مضى مرتحلاً فى الرابع الفرنسي رحلته المشهورة المسماة «تخليص الإبريزى فى تلخيص باريز» ، وقد تعلم اللغة الفرنسية وأكثر من الاتصال ببعض الشخصيات العلمية ، وخاصة المسيو جومار والعالم البارون دوساسي ، وكانت إقامته فى باريس أعدة سنوات عرف فيها كيف يترجم فى جميع العلوم على اختلاف اصطلاحاتها فلما عاد إلى مصر عين مترجماً فى مدرسة طرا ، وعرب فى أثناء هذه الفترة جزءاً كبيراً من جغرافية ملطيرون ، ثم أسس مدرسة الألسن ، وكانت أهم لغة تدرس فيها اللغة الفرنسية ، واتسع نشاطه فى الترجمة خلال وجوده فى هذه المدرسة ، ومن زملائه ومعاونيه فيها الشيخ أحمد عبد الرحيم

---

(١) السيد صالح مجدى بك - حلية الزمن فى وصف مناقب خادم الوطن . مخطوط بدار الكتب المصرية ١٢٩٠ هـ ص ١٥٦

الذى أصبح فيها بعد محررًا للواقع المصرى ، وقد تخرج على يدى رفاعة بك كثير من نوابع التلاميذ الذين ولوا شون التدريس فى المدارس المصرية ، وكان نشاط المترجم مضرب الأمثال ، فهو يدرس لهم فى مدرسة الألسن اللغة وفنون الأدب العالية<sup>(١)</sup> حتى أصبحوا « فى الإنشاءات نظماً وتراثاً أطروفة مصرهم وتحفة عصرهم » .

لذلك كله كان الشيخ رفاعة أجدر المصريين بمنصب رئيس التحرير فى جريدة « الواقع المصرى » ، الذى ألقى إلية رسماً فى سنة ١٢٥٧ هـ ، وقد استطاع أن يفرض وجوده وشخصيته فى تحرير الجريدة بالرغم من تكليف محمد على بعض الشخصيات الكبيرة كأرتين بك بالعمل فى بعض شؤونها ، غير أن الطبطاوى تمكن من بزهم والتتفوق عليهم ، فبدأ جهده فى أول الأمر بتنظيم الجريدة وتغيير اسمها ، وينبغى أن نذكر أن الواقع فى عهدهما الجديد بدأت تتصدر فى كل شيء ، فى لقتها أولاً إذ أخذت اللغة العربية مكان الصدارة « حيث إن حضرة الشيخ رفاعة سيضع أصول الجريدة بحسب اللغة العربية »<sup>(٢)</sup> ثم ترجمت إلى اللغة التركية فى قالب حسن دون الإخلال بالأصل العربى ، ثم استطاع صحيفينا أن ينتزع من ولى النعم محمد على أمراً بأن يكلف ناظر مطبعة بولاق بمهمة الترجمة إلى التركية ، وناظر مطبعة بولاق كان فيها

---

(١) لم يتصرر أدب الطبطاوى على النثر وحده بل كانت له بعض القصائد البدوية التي تحفظ بها بطون الكتب ، فمن شعره مقالة في غربته يتذكر أمرته :

أبكى بيض مهجن لفراهم وأود ألا تشعر العينان  
وقال مادحاً إبراهيم ياشا في حرب الشام وذاكرآ نجاح الأمير وتوفيق والده به :  
في كفنه سيفان سيف عنانة والشهـم إبراهيم سيف ثانـي

وله في الفزل شعر رقيق منه :

تبـدىـ التـرامـ وأـهـلـ المـشـقـ تـكـشـهـ أوـ تـدعـيهـ سـدـىـ منـ ذـاـ يـسلـهـ  
ماـهـكـنـاـ الحـبـ يـامـنـ لـيـسـ يـفـهـهـ خـلـ التـرامـ لـصـبـ دـمـهـ دـمـهـ

(٢) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٨٤٥ في ٢٧ ذى القعدة ١٢٥٧ هـ دفتر ٢٠٧٣

مضى المسيطر على حياة الجريدة تحريراً وإخراجاً، إذ كان مشرفاً على المطبعة والواقع معًا، فتم انفصالها وأخذت الصحيفة لها شخصيتها المستقلة، وأصبح في ذلك لون من التخصص تفرغت له الجريدة الرسمية.

ثم استطاع الطهطاوى بعد أن مكن للغة العربية وم肯 لسلطانه في الواقع أن يجعل الشئون المصرية أهم ما فيها، وكانت من قبل شيئاً مهملاً بالقياس إلى العناية بشئون الخارج، وأقره ولـى النعم على ما ذهب إليه، وقال في وثيقة التنظيم «أما الحوادث الخارجية وإن كانت ستنشر في الجريدة إلا أن الأخبار المصرية ستكون المادة الأساسية»، وأشاع رفاعة التجديدى في صحفته، فكانت الأخبار الجديدة التي لم يتقادم عهدها لها المنزلة الأولى حتى لا تسقط قيم الأخبار كما كان الحال من قبل، ثم أجاب السلطات رغبات المحرر فأمرت الدوازين المهمة بموافقة إدارة المدارس بالأخبار، ولكن الطهطاوى يحتاط للأمر ويحافى تكاسل المسؤولين، فيقرر أنه إذا لم ترد هذه الحوادث في «الوقت المناسب يكلف على ليبه أفندي معاون ديوان المدارس المترجم العربى بالذهاب إلى الدوازين لإحضار الأخبار»، وهذا نظام جديد يماطل تمامًا لما تتبعه صحفنا المعاصرة، فالحياة الصحفية الصحيحة لا تستقيم بغير انتظام أخبارها، لذلك أعدت الصحافة في كل مكان عملاً لها لموافاتها بالحوادث والأخبار، فالواقع تسبق الصحف في الشرق جميعاً في هذا التنظيم الإخبارى الحديث، ويعتبر من أهم الحوادث في تاريخها تعيين مخبر يواكبها بالأخبار كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

وضع الشيخ رفاعة أفندي نموذجاً للواقع باسم «مظهر أخبار مصرية»، وأقر الشورى هذا الاسم، غير أن محمد على لم يجزه، وبقيت الواقع باسمها الفريد المعروفة به حتى الآن، ومضى رفاعة أفندي يحرر الأصل العربي ويرتب الجريدة بصفة عامة، يعاونه في ذلك تلاميذه المترجمون من رجال مدرسة الألسن، وتولى حسين أفندي ناظر الواقع بعد ذلك تصحيح الترجمة،

ومنذ عين الطهطاوى أصبح ناظر الواقع فى المرتبة الثانية بالنسبة إلى محررها ، وقد بذل رفاعة جهده فى رعاية الصحيفة وأضاف فيها وعددها تعديلاً يليق بفهمه ويتصل يادراً كه ، واستعان فى ذلك بفئة من المحررين كان من أهمهم أحمد فارس الشدياق والسيد شهاب الدين تلميذ أستاذه العطار .

وكان ل مكانة رفاعة الطهطاوى أثر كبير فى تقدير الصحيفة واعتبارها واحترام لغة البلاد فيها ، فإن مكان اللغة قد تبدل فأصبحت اللغة العربية في الناحية التي تتصدر الجريدة في صفحاتها الأربع ، وأخذت التركية مكان اليسار ، ومضت مبوبة تبويباً طيباً يسبق فيه الأهم المهم ، على أن التطور الخطير حقاً الذى فرضه وجود الطهطاوى على رأسها ليس فى شكلها وتبويتها وإنما فى موضوعاتها التى انتقلت بفاء من توافه الأخبار والحوادث ، والافتتاحيات الثقيلة المحسنة مدحياً وثناء للوالى بمبرر وبغير مبرر إلى موضوعات رئيسية لها خطراً لا في الشرق وحده ، بل في أوروبا فى ذلك الوقت ، فقد ساهمت الجريدة في أمور السياسة الدولية ، وناقشت محررهاapolitique الداخلية والدولية الخارجية ، وتحدثت عن النظم الديموقратية ، والأوتوقратية ، وغير ذلك من شئون ما كان يمكن أن تعرفها الواقع إلا في رجل اختصمت فيه ثقافات الشرق والغرب .

ونحن نقتطف هنا على سبيل المثال جزءاً من مقال نشره الطهطاوى في الواقع<sup>(١)</sup> بمناسبة الأزمة التي حدثت بين مصر ودول أوروبا واتهت في سنة ١٨٤٠ - ١٨٤١ بمعاهدة لوندرا ، فقد حلت صحف الغرب على حكومة محمد على وسياساته الداخلية ، وصورت أساليب حكمه أساليب منطوية على الظلم والاستبداد بالرعاية ، فكتب يدافع عن سياسة الوالى ويرد على مزاعم الأجانب ، وقد بدأ رفاعة رافع مقاله بالحديث عن بعض أمراء المسلمين في سالف العصور ومثلهم في الحياة ، فكان الوليد المشهور يشغل

(١) الواقع المصرية في غرة ديم آخر سنة ١٢٥٨ هـ

الناس بالدنيا « والمصانع والصناعات وشق الأنهار وغرس الأشجار » ، وكان عبد الملك يشغل الناس بالحديث عن « الأطعمة اللذيدة والثياب الرفيعة ، ويتجاوزون في المناكب والسرارى » ، ولما كان عمر بن عبد العزيز « كان الناس يتساءلون ! كم تحفظ من القرآن ؟ ومتى تختتم ؟ وكم ورتك كل ليلة ؟ وكم تصوم من الشهر ؟ » .

ذكر الكاتب هذا كله مقدمة لموضوعه ، فكان حديثه صدى ثقافته العربية ، ثم بدا أثر الثقافة الغربية فيه حين استطرد متحدثاً عن تساؤل الناس في زمانه عن أحوال الدول داخلية وخارجية من حيث إدارتها وسياستها ، وما فيها من التولية والعزل ، وهذا ما يسمى بـ« البوليتيق » ، والمتكلم في شأن ذلك يقال له بـ« بولتيق » ، فما كان بين الدول والمملل يقال له بـ« بوليتيق خارجية » ، وما كان في دولة واحدة مما يتعلق بـ« انتظامها وتدييرها » يقال له بـ« بوليتيق داخلية » ، والغالب أن الغازات والواقع هي التي تتكلم عن كل من البوليتيق الداخلية والخارجية .

وهكذا يستمر المقال يدفع الناس إلى قراءة الصحف ، أى قراءة الواقع المصرية التي لم يكن لها زميلة ، والتي لها وحدتها — في عرف المحرر — حق التحدث في السياسة الداخلية أو الخارجية ، وليس هذا غريباً على عقلية شهدت المذرة الفرنسية في ثورة الفرنسيين سنة ١٨٣٠ التي قضت على حكم شارل العاشر وغيرت من الأوضاع السياسية هناك بفعل الصحف التي قادت بالرأي الحر أفكار الناس ووجهتهم حيث شاءت ، وحيث كانت خاتمة الملك المستبد الذي لا يعدل بين رعيته ، وهنا يمضى الكاتب مقارناً بين عقلية الغرب والشرق ، واتهام الغربيين للشرقين — وهو هنا يقصد محمدآ علياً — بالاستبداد « ظن من لا معرفة له أن ما يفعله حكام الإسلام لا وجه له في الشرع ، وقل أن يقدم ملك إسلامى على ما يخالف صراحة كتاب الله وسنة رسوله » .

ثم وقف نشاط رفاعة الطهطاوى في جميع النواحي وخاصة في عهد عباس الأول، فترك تحرير الواقع ومدرسة الألسن، إذ بعث به عباس إلى الخرطوم ليشرف على مدرستها، فبقي هناك فترة اعنت فيها صحته إلى أن أقبل عهد سعيد فاسترد من السودان وأعاد إليه نشاطه القديم، فأقدم عليه إقدام المحروم، ثم توفى الأمير سعيد، وأقبل الخديو إسماعيل فتوج الطهطاوى نشاطه في عهده، وبلغ فيه غاية مجده، وكان سمه الصحافة هنا أبعد مدى وأبقى آثاراً عالياً كان عليه الحال في الواقع المصرية التي حررها فترة لم يزد تحريره فيها على عدة أعداد من أعدادها السكارى.

أنشأ إسماعيل فيها أنساؤه من صحيف مجلد أدبية سمّاها «روضة المدارس»، وكان الغرض من إنشاء هذه الصحيفة النهضة باللغة العربية وإحياء الأدب العربي ونشر المعارف الحديثة، وألقيت أمورها إلى رفاعة بك رافع الطهطاوى ناظر قلم الترجمة، وتولى ابنه على بك فهمى رفاعة رئاسة تحريرها، وكان يحرر فيها طائفة من أعلام الفن والعلم والصحافة من الأجانب والمصريين وكان شعارها ييتين من الشعر :

تعلم العلم واقرأ      تحرير نوار النبوة  
ف الله قال لي حى      خذ المكتاب بقوه

قام الطهطاوى على تحرير (روضة المدارس) بحيث تكون فيها الفوائد المتنوعة والمسائل المتصلة والمتفرعة أقرب تناولاً للمطلع المستفيد، وأسهل مأخذآً لمن يعاينها من قريب الفهم والبعيد، بقلم سهل العبارة واضح الإشارة وألفاظ فصيحة غير حوشية ولا متجلشمة لصعب التراكيب، ثم يقول : إن «المرام من ظهورها بهذه الصورة هو أن تكشف للعامة مخدرات العلوم وترفع حجبها المستوره وتستضيء بنورها أرباب العقول السليمة وأصحاب الطبائع المستقيمة» وهو يعد هذه الصحيفة للناس جميراً وخاصة أبناءه طلاب المدارس «حتى تتسع دائرة معقولهم ومنقولهم» وهو يجعلها محلاً لثقة

تلاماً يذميه ومكاناً يطلون من نوافذه «إذا علم كل منهم أن ما يظهر من أعماله المستحسنة، ويشهر من أشغاله الدائرة على الأفادة والألسنة سيقى بهذه الصحيفة»، وكان الطهطاوى فى روضة المدارس مطلق التصرف فكانت صفحاتها تضم خيراً ما عرف عصر إسماعيل من أدب أو سياسة أو اجتماع . فكانت فيها حكايات فى تاريخ الأمم وأدابها وأخلاقها كما حفلت بمواضيع فى الطب والزراعة والتجارة ، كما نشر الطهطاوى ملحقاً بها تبحث فى موضوع طويل لا تتحمله المجلة وهى محدودة الصفحات ، وفتح محررها صدره للامتحن المدارس الجودين ليشرروا ثمرات عهودهم شرعاً وتراثاً ، وروضة المدارس صاحبة الفضل فى تقديم «الشاب النجيب إسماعيل اندى صبرى» جماهير العربية ، وهو الذى غدا فيما بعد إمام النهضة الشعرية وعلياً من أعلامها الكبار ، وجعل الطهطاوى صحيفته لساناً للمدرسين ومكاناً لأنباءهم عظمت أو هانت ، وانتزع بذلك من «الواقع» باباً من أظهر أبوابها ، وهو لا يقف صفحاتها على الشسون الجدية بل أدخل فى صفحاتها بعض الأجاجى ، وخصص معظم أعدادها بالقصة المترجمة ، وهو لون من الأدب لم تكن تعرفه صحفة ذلك العهد ، وهو فوق ذلك باب ساعد على نهضة الترجمة أيام إسماعيل .

وقد حشد الطهطاوى لتحقيق أغراضه فى (روضة المدارس) جلة الأدباء والعلماء ، وجعل من وظائفهم العامة التحرير فى مجلته حتى إن أحداً من أصحاب الفكر لم يفتته شرف التحرير فى صحيفة الحكومة الأدبية ، وكان بين من حرر فيها جماعة من موظفى الحكومة الفرنجية الذين كانت تستعين بهم الدولة فى مدارسها العالية والتجزئية ، وقد تولى كثيرون من الأدباء المصريين القادرين على الترجمة تعريب مقالات هؤلاء الأجانب ، تلك المقالات التى امتازت بالعمق والطراقة والجدة ، وضربت المثل لكثير من المواطنين فأنشأوا المقالات البدية متأثرين مانشـرـه الفرنجـيـه فى روضـةـ المدارـسـ وشـاعـتـ المنافـسـةـ بيـنـ الأـجـانـبـ وـالمـصـريـينـ واستـفـادـ القـارـىـءـ سـوـاءـ كانـ موـظـفـاـ

أو من عامة الناس الذين ساهموا ببعض المقالات في شتى الموضوعات .

ومن أجمل ما أثر عن الطهطاوى ومدرسته الصحفية عن حياته بشئون المرأة فكانت الروضة في مقدمة الصحف الشرقية التي عنيت بالموضوعات والأخبار النسوية ، ولم يكن يمضى عدد منها تقريباً دون حديث عنها أو عن نشاطها أو دون نشر خطبة أو مقال لنازرة أو معلمة ، ولم تخجل المجلة من بعض البحوث التي لا تتحملاً آداب العصر لحياة المرأة والرجل في المنزل وهو نقد اجتماعي ليتوتنا اضطر الكاتب إلى تعديلات لا تأذن بها صفة الجريدة أو الآداب العامة حتى في أيامنا الحاضرة .

وقد قضى رفاعة الطهطاوى وهو قائم بعمله في تحرير الروضة ، وهزت وفاته صحافة مصر والشرق الأدنى ، واعتبرته جميعاً أستاذ الصحافة المصرية الذى خرج خيرة رجالها ، ولم يكن لعلينا الكبير نظير في آثاره ، فهو مربى جيل المعلمين والمترجمين والصحفيين ؛ وهو صاحب النهضة في الإنسان والتراجمة وهو أول من فكر في المرأة وأنشأ عنها الفصول في الصحف والكتب ، وله مؤلفات ضخمة في عدة علوم بعضها تأليف وبعضها ترجمة ، وقد استحق الطهطاوى أن يوضع في مقدمة رجال الفكر في الشرق وأن يذكر كعلم من أعلامه الصحفيين القمينين بالذكر والإعجاب .

---

# أحمد فارس الشدياق

نشأ الشدياق في لبنان، من أسرة لها قدرها ومكانتها في خدمة العلم والأدب، ولها تاريخها في خدمة لبنان وسياسته العامة، وهي أسرة امتازت بعض أعضائها بالحرص على اقتناء أمهات الكتب حتى كان منهم صاحب «المكتبة الشرقية» المعروفة وكان منهم البطارقة الموارنة، ورجال الدين في القرون الماضية أهل العلم وأصحاب الرأي عند العامة ورجال السلطان على السواء.

ولد أحمد فارس الشدياق في سنة ١٨٠٤ ليكون عالم أسرته ونفر عروبته وعلماً في صحافة الشرق تزهو به أمهاته، وقد مضى في مراهقته مبكراً على دراسة الآداب العربية والسريانية في لبنان، ثم استكمل مراهقته إلى مطلع شبابه في مصر حيث مضى يطالع صحاح الجوهرى وديوان المتني، ووصل حباه برفاعة الطهطاوى بعد عودته من باريس، فأنس أستاذ الصحافة المصرية في هذا الشاب كفاية ببرته فضمه إلى معاوته في تحرير الواقع المصرى وكان ذلك أول عهده بالصحافة والصحفين، إذ قضى في مدرسة الصحافة المصرية رධأ من الزمن شغل بالإنشاء والمرانة على التحرير، وكان في الواقع متصلاً بالطهطاوى اتصال التلميذ بالأستاذ سواء في عمله الرسمى أو في قراءة آداب العرب عليه.

وأحسن الشرق الأدنى وجود هذا الشاب وهو لم يستكمل بعد الثلاثين من عمره فدعاه المرسلون الأمريكان إلى جزيرة مالطة حيث كان لهم نشاط مطبعى يعوزهم رجل فنى قادر على إنجازه، فأقام صحيفينا أربعة عشر عاماً يدير مطبعتهم ويصحح مطبوعاتهم ويعلم في مدارسهم، وكان شديد الصلة بهم حتى

تبع مذهبهم الديني وكتب تاريخاً لمالطة سهاد والواسطة في معرفة أحوال مالطة، ثم أنشأه اللفيف في كل معنى طريف، وبالباكورة الشهية في نحو اللغة الانكليزية، وأخيراً أصدر في مالطة كتابه الأدبي المعروف «المحاورة الإنسانية في اللغتين العربية والإنجليزية»، وكان له في هذه الصخرة نشاط أدبي ملحوظ سجله في كتب أخرى مختلفة، ومضي الشدياق مرتاحاً في ربع أوروبا مؤثراً لباسه العربي، ولفت النظر إليه لا بطرافة ثيابه بل بما امتاز به من حضور الديمية وحسن الالتفات، ودقة الملاحظة. وقد أمضى في رحلته عشر سنوات ألف أثناءها كتابيه المشهورين «كشف الخبا عن قبور أوروبا» و«الساق على الساق في ما هو الطريق»، كما قام بترجمة التوراة إلى اللغة العربية<sup>(١)</sup>.

ثم دعاه باي تونس الثالث عشر إلى بلاده ليشرف ويعاون على نشاط على اشتهر هذا الباي بالحرص على تأييده والتكفين له، وهنا فصل الشدياق بين ماضيه الديني واعتنقه الإسلام وتسمى باسم أحمد فارس الشدياق<sup>(٢)</sup>.

ثم انتقل المترجم إلى عاصمة السلطان وكان قد نشأ ابنه «سليم» تنشئة أدبية ممتازة فتركته في خدمة باي تونس يقوم بقسطن في تحرير «الرأي التونسي»، وهي صحيفة عربية كان لها مقامها الممتاز في شمال إفريقيا، وكانت هذه الصحيفة «مصرية» الروح بما قدمه فيها سليم من موضوعات تعلن عن مصر وخديوها أحسن إعلان<sup>(٣)</sup> ومضي بعد مستقبله العظيم ثلاث سنوات وينظم لجريدة «الجوائب» التي ظهرت في الآستانة سنة ١٨٦٠ كأعظم صحيفة عربية في ذلك الوقت، سهادها معاصره «تيمس الشرق» ثم عاونه بعضهم في إصدار صحيفة «حوادث» التركية التي زاملت الجوائب فترة من الزمن<sup>(٤)</sup> وقد بزغ

(١) تاريخ الصحافة العربية ١٩١٣ من ٩٦ طبعة ١

(٢) راجع وثائق عابدين المختلفة في هذه الناحية من تاريخ أسرة الشدياق في عالم الصحافة

(٣) كانت الجريدة التركية تنتفع بمطاف الحديو اسماعيل الذي رتب لها إعاعة سنوية.

راجع في ذلك الوثائق المختلفة التي أشرنا إليها في فصل سابق ونحن نتحدث عن سياسة اسماعيل الصحافية.

نجم الشدياق فيما أذاع من مقالات في الأدب والسياسة امتنع بأسلوبه  
الراهن ولفتها العميقه ، وهيا له اتصاله الشخصي برجال الحكم الناجح في  
مهنته الصحفية ، فكانت أخباره السياسية تنقلها صحفة الشرق والغرب على  
أنها تمثل اتجاه السلطان وتصور التيارات السياسية العليا في عاصمة الخلافة ،  
وانفرد الشدياق بمقالات في الأدب كانت تنقلها صحفة الشرق الحديثة وفي  
مقدمتهما صحفة « وادي النيل » لأحد أبو السعود دافندي <sup>(١)</sup>؛ وساهم في جدال  
أدبى مع أقرانه من أقطاب العصر وفي مقدمتهم الشيخ إبراهيم اليازجي  
والسكونترشيدالـ حداد والشيخ إبراهيم الأحدب والدكتور لويس صابونجي  
وكلاهم من خاصة الأدباء الصحفيين في الجيل الماضى .

وقد نشر الشدياق صحيفته أسبو عيا في مطبعة السلطنة حتى استكمل أهبيته  
وأنشأ في سنة ١٨٧٠ مطبعة خاصة بها زودها بأحدث أنواع الفن المطبعي،  
وبذلك مضت صحيفته قديماً كأروع صحيفة عربية عرفها الشرق منذ ظهور  
الصحافة العربية فيه، وكان ملوك العرب وأمراؤهم وعلاؤهم في تركيا ومصر  
والجزائر وتونس ومراكس وذنجبار وججاوا والهند وغيرها يحتفون بها؛  
ويرون فيها صورة تطابق أماناتهم في اتجاه الفكر ووحدة الروح والمزاج،  
وكان في مقدمة المحتفين بها العاملين على تدعيمها السلطان عبد العزيز؛ فهى  
تؤيد بسياستها سياسة الخلافة العثمانية ولها عند المسلمين منزلة يرجو السلطان  
أن ينتزع بها الإعجاب من كافتهم داخل سلطنته وخارجها، ورصده لها الخليفة  
مقابل هذا كله خسائمه ليرة عثمانية في كل سنة، وهو قدر من المال يعين أية  
صحيفة في ذلك الوقت ترجو حلياتها النضج والاستواء (٢).

ثم عقد أحمد فارس الشدياق ، كعلم من أعلام الصحافة وداع من كبار الدعاء ، أواصر الود مع بعض ولاة السلطان في الشرق وفي مقدمتهم

(١) راجع العددان النادرين من وادي النيل الصادرين في ١٣٠، ٢٠ سبتمبر ١٨٦٧

(٢) تاريخ الصحافة العربية للكونت فيليب دي طرازي . الجزء الأول . ص ٦١

محمد الصادق باشا باى تونس ، و اسماعيل باشا خديو مصر ، فاما باى تونس فقد ترك له الشدياق ولده سليمان ليكون محرراً لصحيفة « الرائد التونسي » ، وهى من الصحف الشرقية الرسمية التي لها عند العرب وال المسلمين مكانها المقدور .

أما الخديو اسماعيل وعلاقة الشدياق به فلها جوانب من الود والحب كشفت عنها بعض الوثائق التاريخية حديثاً ، فصلات صحيحة مع أمير مصر صورتهما جميعاً صديقين ، لا تفرق بينهما مهنة أو رتبة أو جاه عريض أو خفيض بل كانت علاقة الصاحبين علاقة يزجيها اتفاق القصد وإعجاب كل بصاحب ، أما الشدياق في جوابه فكان يؤيد من غير قيود أو حدود سياسة خديو مصر ؛ ويزدعي عنه وعن مصر أحسن ما يمكن أن يذاع عنهما ، وإذا كانت جريدة « الطان » وهي كبرى جرائد فرنسا « جريدة الفرنسيه » ، كما كان يسمى بها نوبار باشا فكذلك كانت « الجوائب » جريدة مصرية بروجها واعطافها على وادي النيل ، وإذا كانت جريدة الطان قد أثبتت التاريخ أنها لقيت عطفاً ما ديا من خديو مصر ، فإن الجوائب لم تشر إليها الوثائق التاريخية بأنها نالت أجرأ على وفائها ورعايتها لمصر وخديوها <sup>(١)</sup> وإن كان لا يترتب على ذلك سوءة تقليل من شرف تاريخها أو كريم خطابها ، والشدياق في الآستانة داعية للخديو وسيط له عند السياسة العليا كلها تأثرت الأمور بين مصر والسلطان .

وقد كتب سليم بن أحمد فارس إلى رياض باشا ردآ على طلب الباشا بضرورة توزيع الجوائب في عواصم الشرق الأدنى قائلاً « أحب أن أوضح أن جريدة لنا لا توزع في بغداد أو سوريا فقط بل في جميع الممتلكات العثمانية ، وأنه مع هذا الجريدة الرسمية لتونس محتوية على بعض مقالات عن مصر ، وإنني لسعيد أن أعلن سعادتكم بأن هذه الصحيفة ستستمر في إذاعة كل ما له صلة بمصر » <sup>(٢)</sup> وكثيراً ما كتب الشدياق إلى الخديو نفسه في أسلوب يوضح

(١) راجع مخطوطة رقم ٤٥ مبنية تركى في مخطوطات عابدين التاريخية .

(٢) مخطوطات عابدين N 45/2 في أول فبراير ١٨٧٠ Dossier

لنا العلاقة الوثيقة التي كانت بين أصحاب الجواب و بين سموه ؛ فقد تلقى  
الخديو إسماعيل كتابا من الشدياق يذكر له فيه أنه بمناسبة « تنظيم جريدة  
الجواب أرسل (أى سليم) إلى حكومة الباب استقالته ليدير الجواب ،  
وليضع خدماته المتواضعة تحت أقدام سموه » ثم يعبر له عن سروره « إذا  
تفضل فسمح له بأن يرسل إليه أو إلى من يعينه مع كل سفينة مصرية جميع  
الأخبار التي من شأنها أن تهم سموه ولها شيء من الخطط إذ أنه على اتصال  
بأعضاء السلك السياسي و مجلة من عرب بغداد و تونس و طرابلس و مراكش »<sup>(١)</sup>  
وبذلك يستطيع أن يقف الخديو على مجريات الحوادث التي تهم حكومته ،  
ولم يتوان الخديو في تحقيق هذا الرجاء فعين إسماعيل صديق باشا كائناً لسره  
في هذه الشئون ، ومضى الشدياق يكتب للباشا أهم أنباء السياسة العليا  
في الآستانة ثم يذكر في كتاب شخصي للخديو بأنه « إذا حدث شيء جديد  
فالعبد يعرضها على الاعتراض في المرة الآتية »<sup>(٢)</sup> فالشدياق هنا كاتب الأمير  
وداعيته في الآستانة و وسيطه عند الأتراك والأعراب و ثقته في الحوادث  
والأخبار ، وقد أثبتت السليخ التي أرفقتها الشدياق أو ابنه سليم من جريدة  
الجواب على أن هذه الجريدة كانت صحيفة مصرية قبل أن تكون صحيفة  
لسلطان تركيا ، فأن فيها الدعوة لمصر و تزكية مثلها واضحة وضوحا لا شك  
في صدقه ، وفيها أيضا معنى الوفاء الصادق من المحرر لولي النعم .

وقد امتحنت صداقت الأمير والكاتب امتحاناً أثبت برامتها وأيد نزاهتها ،  
فقد عزل إسماعيل في سنة ١٨٧٩ ، وتنكر له خصومه وانقض عنده أعونه ،  
ولم يبق له نصير بين رجال الصحافة في مصر أو خارج مصر ، إلا أحمد فارس  
الشدياق فكان رجلا نبيلا أبى أن يجاري أعداء الخديو فيها ذهبوا إليه ،  
إذ نشرت صحيفة « ترجان حقيقة » التركية مقالا صورت فيه الخديو المعزول

(١) مخطوطات عابدين . المصدر السابق

(٢) مخطوطات عابدين وثيقة رقم ٥٢ محفوظة ٢٥٥ رقم ١٧ في ١٢٩٢ رجب

أُقيح تصوير ، وأرادت سلطات الحكومة العثمانية أن تذيع هذه المقالة البذيئة صحيفة عربية مقرورة في أواسط المسلمين كافة فلم تجد أفضل من (الجوائب) مكاناً لنشرها ، ولم يكن في مقدور رجال الحكم أن يفرضوا نشر ذلك المقال لأن القوانين لم تكن تعطي الحكومة التركية هذا السلطان ، خافوا لروا مع الشدياق بشئ الطرق أن يأخذ بنشر هذا الطعن في صديقه فأبى ، بل إنه كان أكثر سخاء في وفاتهما كان يتخيلاً أصحاب السلطان ، فنشر مقالاً رائعاً عن الخديو إسماعيل شوانه «سفاهة الحقيقة» ردآ على مقال الجريدة التركية ، وفيه تسفيه لآراء خصوم الأمير المعزول ودفاع حار عن سياسته ، ولم تحتمل الحكومة أن يبقى أحد من أصدقاء إسماعيل على مثل هذا الولاء فأصدرت أمراً بإغلاق الجوائب ستة أشهر ، استقبله الشدياق راضياً فأجاز بذلك امتحاناً وضعه في أكرم مكان من رجال الرأي الذين يعيشون لفسكيرهم وحدها<sup>(١)</sup> .

وقد مضى الشدياق وفيأً بيت محمد علي ، وإن قلت عناته بالسياسة المصرية بعد عزل إسماعيل ، غير أنه وقف إلى جانب الخديو توفيق يوم اشتدت محنة مصر أثناء الثورة العرابية ، وكان من خصومها المعروفين ، فنشر المقالات ضد الثورة وأذاع منشور الباب العالي ضد العرابيين ، ثم انتقل بصحيفته إلى مصر سنة ١٨٨٣ وتولى ابنه سليم شئونها جائعاً بعد أن أثقلت الشيشوخة كاهل أبيه ، وبقي أحمد ينتقل بين مصر والاسناد حتى نزل به النضام في سنة ١٨٨٧ ونقل جثمانه إلى لبنان ، وأبنته الصحف في العالم كله ، وقالت عنه جريدة الوطن المصرية إن «الجرائم العربية بهذه اهتدت وبمثاله اقتدت» ، ثم تقول «فكان كالبحر الراخر الذي لا أول له ولا آخر ، بل كان آية من آيات الله الكبرى في نثره ونظمه وتأليفه

وتصانيفه، وذكرت (الإجاشين جازيت) «أنه نال أعظم شهرة في حسن التعبير والتحرير وبلاعه الإنشاء، وفصاحة العبارة حتى أحرزت الصحيفة بذلك — يقصد الجوائب — أهمية ما نالتها قط صحيفة عربية لا قبلها ولا بعدها».

والشدياق بجانب نشاطه الصحفي والأدبي الخاص فضل لا ينكر في إحياء النهضة العربية عن طريق مطبعة الجوائب التي أخرجت مئات المؤلفات له ولغيره من رجال لبنان وقادة الرأي في ذلك الزمان.

وقد أرخ لعله وأدبه صاحب تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ذكر أن الشدياق «امتاز باتفاقه في النظم والنشر والإجاده في كلها»، فترأه إذا نظم أو نثر إنما يفعل ذلك عن سعة وارتياح كأنه على لفاظ اللغة في صدره وأخذ عليها عهداً أن تأتيه صاغرة حالمًا يحتاج إليها؛ فإذا خطر له معنى سبكه في قالب من اللفظ لائق به بغير أن يتكلف في ذلك مشقة أو ترددأ فترى كتاباته طلية طبيعية ليس فيها شيء من التتكلف أو التعمير على كونها بلية فصيحة، والسبب في ذلك حدة ذهنه وقوه ذاكرته وسعة اطلاعه وكثرة محفوظه مع حرية قوله، وكان يطلق لقلبه العنوان غير محاذر، وأظن أنه السبب فيما زاد في بعض مؤلفاته من المجون الذي تنفر منه طباعنا وتمجه أدواقنا. على أن المجنون إذا لم يتجاوز حده كان أحلاضاً أو هو بعنابة الملح للطعام، وذلك كثير في كتابات المترجم مما يرغب المطالع في المطالعة فلا يمل منها وإن طالت به، ومن خصائص كتابة الشيخ أحمد فارس السلامة وارتباط المعاني بعضها ببعض واتساقها مع التوسيع في التعبير وتتابع الموضوع إلى جزئياته مع مراعاة الموضوع الأصلي والعود إليه؛ وترى ذلك واضحاً في كتابه «كشف المخبا»، فإذا أراد وصف عادة من عادات أهل باريس مثلا فإنه يتطرق منها إلى ما يماثلها من عادات العرب أو الآتراك فيذكر وجه الخطأ هنا أو هناك وما هو سبب هذه العادة وربما جاء بتاريخها ومن جاء بها حتى يخلل ذلك أنه خرج عن الموضوع ثم لا تشعر إلا وقد عاد بك إليه بغير

تكلف وكل ذلك بغاية السلامة والطلاوة مع البلاغة، وترى في مؤلفاته كثيراً من الألفاظ العربية جاء بها للتعبير عن معانٍ حديثة افرنجية لم تكن عند العرب، وهي في الغالب تدل على حسن اختيار: ومن الأدلة على اقتداره في التعبير أنه مغال إذا مدح بلغ مدوّنه عنان السماء وإذا هجا أنزل مهجوه دركات الجحيم، وترى كتاباته على بلاذتها وحسن سبكها تتجلّى فيها البساطة والسهولة كأن كاتبها كان يكتب كل ما يمر بذهنه على غير تكلف أو مراعاة لخطة الكتاب قبله، وهو استقلال في الرأي واعتماد على النفس<sup>(١)</sup>.

وقد حرص سليم الشدياق أن يؤرخ لجهاد أبيه أحمد فارس فعمد إلى جمع غير مانierته جريدة «الجوائب» من فصول في الأدب والمجتمع نثراً وشعرآ ثم طبعه في سبعة مجلدات ضمّنها «كنز الرغائب في متنخبات الجوائب»، وقد دلت هذه المجموعة من المجلدات على أن سليماً كان سر أبيه أدباً وفضلاً فقاد كشفت هذه المجلدات عن موهبته الأدبية وقدرته في التحرير والإنشاء. وذلك كان أثراً ملائماً في جيله كله حتى نهجه كثيرون غير ولده سليم.

---

(١) مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر.

# بطرس البستاني

من أسرة لبنانية لها على الزمن فضل مأثور ، تلقى مبادئه اللغتين العربية والسريانية على أحد أبناء أسرته هو ميخائيل البستاني ، وأحس مطران صور وصيدا أن هناك قى تفرد بالذكاء وامتاز بالفطنة والاجتهد فدعا إليه المترجم وبعث به إلى مدرسة عين ورقة ببلبنان ، فأمضى فيها عشر سنوات درس فيها اللغة والمنطق والتاريخ والحساب والجغرافيا وجود في اللغات السريانية واللاتينية والإيطالية ، وتلقى بجانب هذه الدراسات الأدبية الفلسفية واللاهوت وبعض مبادئ القانون ، وكاد المترجم يقف حياته على دراسه اللاهوت ويعضى في روما عدة سنوات لولا معارضة أسرته فعيت في مدرسته أستاذًا ودرس لحسابه اللغة الانجليزية واعتمد عليه الانجليز مترجما لهم يوم نزلت جيوشهم الشأم لحرب ابراهيم باشا ومكافحة محمد علي في تلك الربع ، وانتهت هذه الفترة من حياته بانصاله بالأمير يكان الناشرين لمذهبهم فقضى يعلّمهم اللغة العربية ويترجم بعض كتبهم ، وتوثقت علاقاته بهم وأمن باتجاههم الدينى فدخل في مذهبهم وعمل على نصرته .

وفي سنة ١٨٤٧ شارك أستاذه الدكتور فان ديك في إنشاء مدرسة عمل فيها أستاذًا ، ثم مضى خلال عام تدریسه يؤلف كتابا ضخما في الحساب كان له قدره في مدارس سورية ولبنان ، ثم نزل البستاني مدينة بيروت موظفاً في قنصلية أمريكا ، غير أنه وقف معظم وقته على الترجمة والوعظ وتمسكن هنا من اللغتين العربية واليونانية ، فاستعان به بعضهم في ترجمة التوراة إلى العربية .

وفي سنة ١٨٦٣ أسس في بيروت مدرسة عالية أطلق عليها اسم «المدرسة الوطنية»، فقصدآ من إنشاء هذه المدرسة أن تكون مكانا للحرية الدينية؛ ويدعو فيها إلى الجامعة الوطنية العثمانية، وكانت المدرسة الوطنية في ذلك الوقت تحيا حياة الجامعات الأوروبية فعرف نضالها الكثيرون، وأقبل عليها الطلبة من كل صقع وبلد فكانت تستقبل فيها الشاميين سواء كالمصريين والأتراك واليونانيين وال العراقيين ، وكانت حرية العلم والتفكير تسيطر على اتجاهها حتى أشار أحراز الأتراك على السلطان بأن يكرم صاحبها بنشان ، وساهم سليم بن بطرس البستاني في إدارة المدرسة وتولى تدريس التاريخ والطبيعة واللغة الانجليزية التي كان يجيد أدابها كواحد من خيرة أبنائها ، وقام والده فيها بتدريس اللاهوت والدين بالخطب والمواعظ مرتين في الأسبوع .

ثم عكف المترجم على عمل أدبي رائع وفرغ منه سنة ١٨٦٩ وهو تأليف معجمه (محيط المحيط) وقد رتبه على حروف المعجم ، وجمع فيه كثيرا من الألفاظ العامية وصحتها بالفصحي وبين أصول كثير من الألفاظ الأنجيمية ، ونشر فيه بعض الاصطلاحات التي تأثرت بالعلوم الحديثة المنقوله عن اللغات الأجنبية ، كما بسط عبارته وسهلها بخاتمة كتابا ضخما يعين العامة ويرضى عنه الخاصة من العلماء والمتآديين ، ثم نشر له نسخة مختصرة لطلاب العلم وتلاميذه في المدارس المختلفة ، ولقي على هذا العمل الأدبي تكريماً المسؤولين في الدولة العثمانية ونال من برها الأدبي والمادى الشيء الكثير .

وملك بطرس البستاني كما رأينا ناصية بعض اللغات القديمة والحديثة وبرز في اللغة العربية ، ثم رأى الرجل مواطنه قد فرغا من حربهم الأهلية وهى حرب آذت النفوس حتى تركتها نهب الحقد والضيقية فوجد أن عليه رسالة يؤديها كعلم في تلاميذه فأنشأ نشرة سماها « نقير سوريا » أصدرها باللغة العربية سنة ١٨٦٠ كأول صحيفة في الشام ، وهي من صفحتين كان كاتبنا

فيها معلماً، إذ نشر على صفحاتها رسائل وطنية تحض على الوحدة وتعمل لها بين السكان على اختلاف مذاهبهم الدينية والسياسية وأصدرها ثلاثة عشرة مرة، وكانت في أعدادها نفيراً يدعوا إلى الوئام ويويد بين المواطنين الحبّة والسلام، فإذا هدأت النفوس الثائرة وأخلد الناس إلى السلام وقف صدورها بعد أن أدت رسالتها أحسن الأداء.

وقد كان صحيفينا في نفيره داعياً للوحدة في أسلوب رفيع من حيث لفظه ومعناه، فقد جاء في نفير منها<sup>(١)</sup> « يا أبناء الوطن ! إن الفظائع والمنكرات التي ارتكبها أشقياؤنا هذه السنة كسرت القلوب وأسالت الدموع وعكّرت صفاء الألفة وأضاعت حق الجوار . أما تماحى الجاران ؟ أما شربتم ماء واحداً ؟ أما تنشقتم هواه واحداً ؟ أما رأيتم العقلاء ساعين في تشنييد أركان الألفة ورفع منار العلم رغبة منهم في ارتفاع البلاد وسعادة العباد ؟ إعلموا أنكم بعملكم المنكر قد أرجعتم الوطن إلى الوراء نصف قرن ..... هداماً الله وإياكم سواء السبيل »<sup>(٢)</sup>.

فهو في هذا الأسلوب القوى الدقيق يبدو معلماً كمهد مواطنه به وكما كانت صفتة البارزة، وهي صفة المعلم تغلب عليه حتى إذا أمسك بالقلم وأراد أن يكون صحيفاً مع الصحفيين.

وفي سنة ١٨٧٠ أنشأ البستاني مجلة للعلم والأدب والسياسة سماها «الجنان» وألقى أمور الإدارة فيها إلى ابنه سليم؛ ثم نشر بالاشتراك مع ابنه هذا في نفس هذه السنة صحيفة سياسية سماها «الجنة» وهي معتدلة المزاج ولا تقسم بالعنف بل جارت التيارات السياسية المعاصرة وأيدت بقوة اتجاه السلطان، وكانت تعمل لمصر كصحيفة مصرية ونالت من بر الخديو إسماعيل السكير

(١) كان بطرس البستاني يرقم جريده بقوله النغير الأول . النغير الثاني . . . الخ بدلاً من العدد الأول والعدد الثاني . . . الخ

(٢) تاريخ الصحافة العربية - ١ من ٦٤

من المال ، وقد أشار إلى ذلك بعض الوثائق التي اكتشفت أخيراً بمخطوطات سرای عابدين التاريخية<sup>(١)</sup> .

ولم يقف النشاط الصحفي لبطرس البستاني عند هذا الحد ، فقد دفع نجله إلى العمل في صحيفتيه «الجنان والجنة» ، ثم أصدر صحيفة جديدة سماها «الجنينة» ، وأشتراك في تحريرها أديب من أسرته هو ابن عمه سليمان البستاني ، وهو كاتب ومتلجم من الطراز الأول له ترجمة طيبة لإلياذة هوميروس ، وهو من الشخصيات الممتازة التي استحقت عضوية (مجلس الأعيان) فيما بعد ، وصحيفته هذه تعتبر أهم عمل له في نشاطه الصحفي ، فهي جريدة للتجارة والسياسة من صفحتين في قطع متوسط ، صدرت سنة ١٨٧١ .

وقد تولى تحرير الجنينة ثلاثة الأساطين في أسرة البستاني ، بطرس سليمان سليمان ، وكانت (الجنينة) أول محاولة صحفية للنشر صحيفة عربية يومية في الشام ، فكانت تصدر معظم أيام الأسبوع ، وهي صحيفة تعنى بالبرقيات السياسية ، فكانت تنشرها في الصفحة الأولى ، ولم يعتد الشرق العربي حتى صدور الجنينة أى عناية بالأخبار البرقية كما فتحت صدرها لراسلات الأقاليم وأخبار البلاد العربية ، وهي عناية جديدة في صحافة الشام بهذه الناحية من التحرير (والجنينة) أول صحيفة في الشرق الأدنى تعنى بشئون التجارة وبقيت وحدها في هذا الشرق تبدى هذا العلم بشئون المال حتى نشر أديب أشحص صحيفته (التجارة) في القاهرة سنة ١٨٧٩ ؛ وكان القسم التجارى في الجنينة مطولاً ومتقدعاً ويشمل أسعار التجارة وأخبار القراطيس وبعض التعليقات التي لا تخloo من العلم والمعرفة بهذه النواحي من حياة الأمم والشعوب

(١) كان الخديو اسماعيل مشتركاً في خمسة نسخة منها : راجع مخطوطات عابدين وثيقة رقم ٢١٩ محفظة ٤٨ معبية تركى في ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٢٨٨ ٥

وقد مهضت حياة بطرس البستاني نهياً للصحافة والأدب ، وعاش ما عاش موزعاً جهده بينهما لا يكمل ولا يملي ولا يمضي عام لا يكون له فيه أثر أدبي أو صحفي ، فهو يخرج من الصحافة ليقوم بعمل أدبي ينافس تاريخه الصحفي ؛ فقد وجد في أخيريات أيامه باباً للنشاط العلمي فدخل فيه بكلياته ، وعول على تأليف قاموس شامل لسائر العلوم على اختلاف موضوعاتها وبيان أزمانها ، وبدأ هذا النشاط في عام ١٨٧٥ ، وهو النشاط المأثور عنه في كتابه « دائرة المعارف » وهو أول محاولة من هذا اللون الأدبي في اللغة العربية فيما نعلم ، وقد أتم ستة مجلدات منه ثم عاجلته المنية سنة ١٨٨٣ فقام على إتمام هذا الإرث الرفيع أبناءه وأقاربه ونشروا المجلدات تباعاً في بيروت ثم في مصر .

ويحمله من يترجم لهذا الصحفي الأديب ألا يغفل جهده الجبار في إنشاء « دائرة المعارف » التي صورها المؤرخون أجمل تصوير حين قالوا فيها وفي منشئها « وإنما لانغالي فيما إذا قلنا إنه أبدى من العزيمة الماضية والهمة السامية في تأليف الكتاب وطبعه مالا يتوقع من رجل واحد ولا سماها في ديار الشرق ولسكنه ألفي من مواطنه وكل أهل المطالعة والأدب عموماً ومن الحكومة المصرية خصوصاً يداً بالندي ندية ، أما الحكومة المصرية فارتاحت إليها ارتياح إلى اقتناء هذا الكتاب شدآ لأزر صاحبه أولاً وجبلآ للنفع إلى مدارسها ومكتابها ومحافلها العلمية ثانياً <sup>(١)</sup> ثم إن الذي يعلم من تاريخ الأسلوبيةيديات الابتدائية الأوروبية أنها لم تكن في منشأ أمرها على ربع ماهي عليه ( دائرة المعارف ) من إحكام التأليف وغزاره المادة والضبط وحسن الطبع والورق والتجليد والصور مع قلة في الثمن لا أقل منه إلا أثمان الكتب العادية ، حتى إذا لآ بناء اللغة التباهى والتفاخر بذلك الرجل ، <sup>(٢)</sup> .

(١) أشارت الوثائق التي تصور سياسة اسماعيل الصحفية إلى المعاونة التي قدمها الحمد والمذكور للترجم

(٢) تاريخ الصحافة العربية - ١ ص ٩١

ويمتاز بطرس البستاني في حياته أنه استطاع أن يتم رسالته في جميع النواحي التي ساهم فيها مساهمة الأصيل؛ فهو يبدأ وظيفته كمعلم في زمان كانت مهنة المعلم في الشام شاقة، ويبدأ في تأليف آثاره الأدبية والحياة الأدبية راكدة تكلف من المال والجهد ما تنوم به الجمادات، وينشط إلى الصحافة ويجد فيها في جيل لا يؤمن كثيراً برسالتها، ويستطيع مع ذلك كله أن ينال شأو المعلم العظيم والأديب الأريب والصحفي المطبوع، ويحتل بذلك في عالم الأدب والصحافة مكانه المقدور بين جلة الأدباء والصحفيين .

وللبستاني امتياز آخر يكاد ينفرد به ولا ينافسه فيه أحد في البلاد العربية جمعياً، اللهم إلا أستاذ الصحافة المصرية رفاعة رافع الطهطاوى ، فكلهما صاحب مدرسة صحفيية يؤثر عنها خير كثير . وإذا كان الطهطاوى قد علم مجموعة من الشباب المصريين والشاميين في جريدة الواقع المصرية ، وعلم غيرهم شؤون التحرير وأصول الصحافة في مجلة روضة المدارس ، فإن البستاني قد أنجب فتة قادرة من صحفيي لبنان ، في مقدمتهم بعض أفراد أسرته الذين برعوا في هذا المضمار ، وكتبوا صحيفة ناصعة البياض في أدق المهن وأرفعها .

# يَعْقُوبُ بْنُ صَنْوَعٍ

يمتاز شكلًا بهذه العوينات الزرقاء التي لم تفارقه في مصر حيث ولد ونشأ ، أو في منفاه حيث استقر به المطاف ، وصحته منذ بدأ عمله في التمثيل ، ثم مضت معه حين انتقل إلى الصحافة ، وبقيت تلازمه حتى وفاته أجله في القرن العشرين .

هو كاتب من طراز آخر غير ما عرف به الصحفيون في عصر اسماعيل ، ناقد من النقد ، قاس في أسلوبه وفي حواره ، يطلق قوله دون أن يتقييد بمقاييس أو يخاف حاكما ، أو يشعر أن للمناقشة حدوداً أو آداباً ، عرفه عصره كله بجمعي طبقاته من الأسرة المالكة إلى أسر الفلاحين في قلب الريف ، ولم تشهد الصحافة المصرية قليلاً حمل على الخديويين والإنجليز كما حمل يعقوب بن رافائيل صنوع (أى المتواضع) ، وهو مصرى إسرائيلي ولد سنة ١٨٣٩ ، أتقن التوراة وقرأ الانجيل والقرآن ، وتعلم في إيطاليا على نفقة أحمد باشا يكن سبت محمد على الكبير ، ثم عاد إلى مصر وأخذ يدرس اللغات والموسيقى والرسم لأفراد الأسرة الخديوية وأبناء الباشوات<sup>(١)</sup> .

وفي سنة ١٨٧٠ أنشأ صنوع أول مسرح عربى في القاهرة ووضع بذلك تاريخ إنشاء المسرح في مصر ، وأعجب به الخديو اسماعيل إعجاباً دعاه إلى أن يسميه — إذا ذكر التمثيل — «مولير مصر» ، ومنحه المنح وأمده بالعون الأدبي فحضر فضول تمثيله تشجيعاً منه وتركيبة له . وقد ألف المترجم نحواً من

l'Egypte Satirique. Paul Baignières. Album d'Abou Naddara.(١)

اثنين وثلاثين قطعة تمثيلية في موضوعات جدية وهزلية ، يتراوح عدد فصول كل قطعة بين الفصل والخمسة . وكان هو عبارة عن المؤلف والملقن والممثل الأول ، وفي رواياته الملاحظة الصادقة ، والابتسامة الصريرة والدمع الخالصة <sup>(١)</sup> ، وكان صنوع حركة دائمة نشطه فأنشأ جماعتين إحداهما اجتماعية والثانية علمية ، ثم سافر إلى أوروبا في عام ١٨٧٤ ، وبقى هناك فترة عاد من بعدها مشغولاً بالحياة الأوروبية وبحضارة الغرب .

ولما عاد إلى مصر وجد فيها رأياً عاماً بدأ يتظاهر تطوراً سريعاً ، فاتصل بزعامة هذا الرأي العام الجديد ، واشتهر صيته بالسيد جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمد عبد الله عن طريق تدريس اللغة الفرنسية لها ، وكان جمال الدين في ذلك الوقت يقود الحركة الفكرية في مصر ، ويرى أن نجاح هذه الحركة يقتضي صحافة حرة مختلفة الأساليب وإن اتفقت أهدافها ، فاتفق ثلاثة على تأسيس مجلة عربية هزلية ، يديرها هو ويحرر فيها الآخران ، لانتقاد أعمال البطانة الخديوية وكشف مساوى الحكم ، فاتخذ لها اسم نظاراته البرقاء ، وهكذا صدر العدد الأول من الجريدة سنة ١٨٧٧ يحمل هذا الاسم الطريف <sup>(٢)</sup> .

وتعود جريدة يعقوب بن صنوع أول جريدة من نوعها لا في مصر وحدها ، بل في بلاد الشرق جميعاً ، فهي جريدة هزلية لم ير المصريون مثلها من قبل ، وهي تصدر في أسلوب أكثره دارج على ما تصدر به ألسنة المواطنين من حكمهم وتردداتهم أقل شيوخهم التي جرت مجرى الأمثال في أحاديثهم ، وهي إلى جانب ذلك مصورة تصويراً هزلياً بدرياً ، ويعقوب في صحيحته هذه يتزعم هذا اللون الصحيح في بلاد الشرق جميعاً .

(١) ص ٦ L'Egypte Satirique

(٢) طرازي ج ٢ ص ٢٨٣ تاريخ الصحافة العربية .

أصدر صنوع جريدة في مصر ، ومضت قدما ، ولقيت إقبالاً منقطع النظير وتهافت عليها الناس من جميع الطبقات في المدن والريف وبلغ عدد ما كان يطبع منها خمسة عشر ألف نسخة <sup>(١)</sup> .

وقيل إنه في أثناء غناء أحمد سالم المغني المعروف في القاهرة إذ ذاك دخل باائع الصحف وباع . . . نسخة إلى المستمعين من جريدة أبي نصارة ، فانصرفوا عن المغني إلى قراءة الجريدة .

وكان المغني يترنم بأغنية واضعها أبو نظارة اسمها « المضطهد » وأثارت هذه الأغنية حماسة المستمعين فقبض على أحمد سالم وسجن عشرة أيام <sup>(٢)</sup> . ولتكن حملته على الحكومة ومعاجلته للسائل العامة بهذا الأسلوب العنيف أغضبت الخديو اسماعيل فأغلق جريدة ، وعالج أمر بقائه في مصر واستطاع بعد جهد أن يستأذن إيطاليا ، وكان صنوع محتمياً لها ، في نهاية من البلاد ، فسافر الرجل إلى باريس حيث أصدر جريدة باسمه كثيرة ، وقد اضطر إلى ذلك نظراً لأن الحكومة المصرية كانت تسمى إلى من يشتريها أو يحوز عدداً من أعدادها <sup>(٣)</sup> ، فغير اسمها في أربع سنوات ست مرات ، وكانت صحيفته تصدر في أول الأمر باللغة العربية ثم باللغة العربية والفرنسية ، وقد أصدرها في إحدى المناسبات فيUMANI لغات .

وقد حمل صنوع فيما بعد على الانجليز حملات شديدة متصلة وكان لسان حاله في صحيفه إذ ذاك ( مصر للمصريين ) ، وتميزت صحيفه بهذه الحملات ضد انجلترا عقب احتلال الانجليز لها في سنة ١٨٨٢ ، وزادت شدة وعنفاً حين تم فتح السودان وأعلنت اتفاقيته البغيضة .

(١) ص ٦ L'Egypte Satirique

(٢) راجع مامن صبرى ص ١٢٧ - ١٢٨ نشأة الرأى العام المصرى

(٣) طرازي ج ٢ ص ٢٨٥ - وقد ذكر ذلك بتوب في مجلاته في أكثر من موضع وفي أكثر من عدد ، وقد عالج ذلك أيضاً في مقالات بعضها جاد وبعضها هازل

وبعد أن أطلقت الحرية للصحافة المصرية ، ولم تعد الحكومة تشدد على صحيفه كما كان الحال من قبل ، وكان ذلك في فترات متباينة ، من أشهرها الفترة التي تولى فيها شريف باشا شؤون الحكم قبيل الاحتلال مباشرة ، عاد فسمى جريدة باسمها الأول « أبو نظارة » جاعلاً شعارها « سعادة الشعوب في صفاء القلوب » حتى بلغت عامها الرابع والثلاثين وتعطالت ، لمرضه ثم توفى

سنة ١٩١٢

وكانت جرائد من دحمة بالمقالات السياسية والقصص الفكاهية اللاذعة والقصائد الشعرية الرنانة ، بقلم مشاهير الكتاب والأدباء ، كالسيد جمال الدين ومحمد عبد ، وعبد الله نديم ، وغيرهم<sup>(١)</sup> . وكان الرجل بجانب عمله الصحفي الخاص ينشر المقالات التي تفيض وطنية وحماسة في جرائد الطان ، والمساند والفيجاري<sup>(٢)</sup> ، وكانت القدرة تواليه على الكتابة لمعرفته التامة باللغة الفرنسية ، التي كان يدرسها من يريد من الشرقيين ، أو يدرس العربية من يريد من الفرنسيين<sup>(٣)</sup> .

وقد امتاز صنوع في عمله الصحفي ، كما امتاز في عمله المسرحي ، فهو هنا السكاتب ، والمدير ، ومصور الجريدة ، وطابعها ، وناشرها : هو كل شيء فيها ، وكان لهذه الجريدة التي تطبع في باريس أثر وأي أثر على البلاد الشرقية التي كانت تقرأ فيها عدداً عدداً ، لذلك خطبت وده بعض الحكومات الشرقية وأمدتها بالعون ، وأوسع لها رجالها صدورهم ، فنفعه السلطان عبد الحميد ، وسلطان زنجبار ، وشاه إيران ، وباي تونس ، والأوسمة والنواشين ، كما قلدته فرنسا ، ومنحه ملوك أوروبا كبلجيكا وأسبانيا هذه النواشين الرفيعة ، واعتبره

(١) طرازى ج ٢ من ٢٠٥ و ٢٠٦

(٢) طرازى ج ٢ من ٢٨٤

(٣) رأس العدد الخامس سنة ١٨٧٨

الخليفة « صديق الإسلام » وبقي يتمتع بهذه المكانة المقطوعة النظير مدى حياته جميعاً<sup>(١)</sup> . وكانت له جريدة أخرى تصدر في لندن اسمها « مرآة الأحوال » صدرت فترة في لغة عربية فصيحة<sup>(٢)</sup> .

ولا يختلف أحد في الجديد الذي خلقه صنوع في الصحافة المصرية ، وكذلك لا يختلف أحد في أنه كان واعياً دارساً لشئون الحياة ، عارفاً بأحوال الأمم ، فهو رجل مثقف ، واسع الأفق ، دقيق الملاحظة ، بعيد الغور « شاعر صادق الشاعرية »<sup>(٣)</sup> كثير الرحلة من أجل التلقيف والدراسة ، فقد زار بلجيكاً وإنجلتراً وهو لندن وسويسرا ، وقد قالت فيه الجاز特 دو بوردو : « إنه شاعر ونظرته للأمور وإن كانت مهمته إلا أنها عميقة»<sup>(٤)</sup> . وقد صورت المور نجح بوست والاستندارد كثيراً من عمله الصحفي ونبوغه في السخرية المصرية<sup>(٥)</sup> . وذكر بول دوبليير - وهو خير من كتب عنه - أن « له نواحي من الصعب ، ييد أن فيه نواحي من المجال الحق ، وصفحات سامية ذات قيمة وجدية بأن تلفت النظر »<sup>(٦)</sup> .

وقد كان أبو نظارة فوق عمله الصحفي هنا وهناك خطيباً لا يشق له غبار ، ومحاضراً ساحراً ، وله محاضرات هامة هزت الرأي العام الأوروبي كمحاضرته عن مصر في القرن التاسع عشر<sup>(٧)</sup> ومحاضرته عن الغزو الانجليزي لبلاده ، ومحاضرته عن المهدى وإخلاء السودان<sup>(٨)</sup> . وكان الرجل معروفاً في أوروبا كلها حتى إذا وافاه القدر سنة ١٩١٢ نقلت شركة روتر خبر وفاته كأى عظيم من عظماء الجيل .

(١) طرازى - ٢ من ٢٨٥ و ٢٨٦

(٢) الرانى (عصر اسمايل) ج ١ من ٢٦٤

(٣) من ٩ « مصر الساخرة » لبول دوبليير

(٤) نفس المصدر من ١٨

(٥) نفس المصدر من ١٩

(٦) نفس المصدر من ١٠٦

## جريدة

ذكرنا أن يعقوب بن صنوع قد اضطر أثناء وجوده في باريس ، وإزاء الصحف الذي فرضته الحكومة المصرية على دخول صحفه إلى مصر ، أن يغير ويبدل في أسماء هذه الصحف حتى يستطيع أن يهرب منها إلى بلاده قدرًا ملحوظاً من النسخ ، وقد نجح فعلاً هذه الطريقة حتى أمكن تهريب تسعة آلاف نسخة إلى المدن المصرية في بعض الأحيان<sup>(١)</sup> وقد فرضت هذه الظروف القاسية أن يغير اسم جريدةه اثنتي عشر مرة بالأسماء الآتية :

- ١ - أبو نظارة زرقا .
- ٢ - رحلة أبي نظارة زرقا .
- ٣ - أبو زمارة .
- ٤ - أبو صفاره .
- ٥ - الحاوي .
- ٦ - الوطنى المصرى .
- ٧ - النظارات المصرية .
- ٨ - أبو نظارة .
- ٩ - الثراثة المصرية .
- ١٠ - التوడد .
- ١١ - المنصف .
- ١٢ - العالم الإسلامي .

وليس في المكتبة الأهلية بباريس إلا بضع سنوات متاخرة تتصل بالحقيقة الأخيرة من حياة الصحفة ، ولكنها موجودة كاملاً بالمتحف البريطاني وتضم المكتبة العامة بالقاهرة كثيراً من أعداد هذه المجلة مبتدئاً بالعدد الأول لسنة الثانية ، وهو العدد الذي صدر في ٧ أغسطس سنة ١٨٧٨ . أما أعداد السنة الأولى الخمسة عشر فغير موجودة لا في القاهرة ولا في باريس ولدراسة شخصية يعقوب بن صنوع كعلم من أعلام الصحافة العربية ، ينبغي أن نعود إلى ما كتب أبو نضارة في صحفه المختلفة ، فإن سيرته في

(١) النظارات المصرية ١٥ - ١ - ١٨٨٠ (الواحد المركب ووزيره المشغل)

روعتها تدرس من هذا الجانب ، حتى لتفعل الجواب الأخرى إذا قيست إلى جانب حياة الصحفية التي أخذت عليه كل نشاطه ، فقد عاش الرجل ومات صورة بدعة لجهوداته الصحفية ، لذلك نحاول في هذه الإلمامة أن تترجم له من خلال جرائد المتباينة .

### أبو نضارة زرقا

صدر العدد الأول وعلى رأسه : « رحلة أبي نضارة زرقا (الولي) من مصر القاهرة إلى باريز الفاخرة بقلم جيمس سنوا – أى يعقوب صنوع – محرر جريدة أبي نضارة زرقة البهية والدة النظارات المصرية ». وهى في قطع كبير يشبه كثيراً مجلاتنا الأسبوعية السياسية ، وقد تضمنت معظم أعدادها أربع صفحات ، وكانت صورها المزليمة غاية في الروعة والاتقان والوضوح ، وهذا المجلد الذى يبتدئ في ٧ أغسطس ١٨٧٩ ينتهى في أواخر ديسمبر سنة ١٨٧٩ ، ويحتوى على ثلاثين عدداً ، كما يحتوى على العدد الحادى عشر من السنة السابعة الصادر في ١٨ أغسطس سنة ١٨٨٣ ، وفي نهاية هذا المجلد إعلان « من الناشر إلى الجمهور »، يتحدث فيه عن جريدة أبي نضارة ومجهودها واعداً قراءه بأنه سيترجمها إلى اللغة الفرنسية ، ثم يذكر فهرستاً بالصور والمواضيعات التي ظهرت في هذه السنة . وكان ثمن كل أربعين نمرة خمسة وعشرين فرنكاً ، كما جاء بهـوس معظم الأعداد ، ولم تكن الجريدة منتظمة الصدور ، وكان الناشر ينسى أحياناً ذكر أرقام الأعداد .

وكان المحرر ينشر كثيراً من الأزجال وهي عبارة عن محاورات طريفة تصور حياة مصر وتحمل على خديوها ، وأحياناً يقوسوا أسلوبه حتى يبلغ درجة الفحش التي تعفف أقسى الأفلام عن تدوينه في جريدة سيارة ، ومن

محاورات الزوجية المعقوله : « محاورة بين أبي خليل وأبي نضارة زرقا على قهوة  
ريش في بولفار ديزيتيليان في ١٤ يوليو سنة ١٨٧٨ بيارين »<sup>(١)</sup>.

أبو خليل : يا جيمس يا بو نضارة أنسست باريز يا شاطر  
معكش من مصر عباره تتعش بها مني الخاطر  
عن مصر يا باهى الطلعة  
من نار حوادثها الولعة  
بالعز كانت فرحانة  
من ذل حالها زعلانة  
والظلم خلاها دقة  
وإن ردت تدرى الكيفية  
انظر بضارتي الزرقة  
في مصر جور شيخ الحارة ظاهر كالشمس الواضحة

أبو نضارة : إن ردت أحكي لك أحكي  
بعد الفرح عادت تبكي  
مصر السعيدة المحامية  
والليوم تشووفها تخمية  
في مصر ما فيش حرية  
وإن ردت تدرى الكيفية  
ظاهر كالشمس الواضحة

ثم تنتقل المحاورة بين أبي خليل وأبي نضارة زرقه إلى حديث عادى  
ليس فيه وزن ولا قافية في أسلوب عامي دارج كما رأينا ، وفي حملة  
مستمرة لا هوادة فيها ، وفيها فقد حياتنا الاجتماعية ، فأبو خليل  
هذا أحد باشاوات مصر كما جاء في خلال المعاورة ، مغرم بالطعام  
والمأكولات كاهي عادة باشاوات ذلك العهد ! سافر إلى باريز فإذا التقى  
بأبي نضارة فالحديث الحلو كله يتصل بالطعام واللحوم والمأكولات ، ثم  
ينتقل به أبو نضارة مبينا له أن السياحة ضرورة للناس ولعظامهم حتى يروا  
التقدم العلمي والفنى والصناعى لأن « الدنيا شبهوها الفلسفه بكتاب ، وقالوا  
إن اللي ما خرجش من وطنه كأنه ما قرأش إلا أول صفحه فقط » ثم ينتقل  
بهم الحديث عن الحياة المصرية الاجتماعية وجهل مواطنيه فيذكر أنها أمة إذا  
وقع بها الظلم قال « حكم يا سيدى ، المسكتوب على الجبين تراه العيون » أمة

يظلمها الظالم ويقسو بها الحاكم حتى إذا كادت تموت جوعاً كان احتجاجها : « ذلك الحمد يارب دى إرادتك » وهكذا يستمر في نقده اللاذع الصادق ، وتصویره الرائع لفوسنا واستعدادها ، وأما أنا في هذه الحياة ، مردداً تلك الألفاظ التي لا زال نسمعها إلى الآن ، ألفاظ التواكل والضعف ، والاطمئنان حيث لا ينبغي الاطمئنان .

ومن أطرف المخاورات ما جاء بالعدد السادس عن « جلسة سرية في جمعية الطراطير المشهورة بالضحك على دقون العالم » وهي تصور مداولات مجلس وزراء ذلك العهد برأسة الخديو توفيق ، وأظهر ما في هذه الجلسة حلته على المفتى وتصویره بأنه « أغنى من قارون وأملأ كه وأراضيه تبلغ ملايين من المحايدب » كما زعم أنه رجل مرتضى « مانتعلعش من عنده فتوة إلا بالشىء الفلافي » وأهم ما في هذه المخاورة الحديث الذي دار في جمعية الطراطير عن تداخل الدول في شؤون مصر وخاصة « الإنجليزى براكبه والفرنساوي بجنوده » على أن حديثه عن إيطاليا يثبت إلى حد بعيد فهم الكاتب للحياة الأوربية السياسية ، فقد علق على إيطاليا بأنها أمّة متواضعة لم تبلغ وحدتها إلا بشق النفس ، ونظرًا لضعف الخديو ووزرائه فإن « ملك إيطاليا ابن أمبارك إلى لستا ما طاخش من قشرة البيضة قال إذا مارضيناش رعايته يطبق الدنيا على دماغنا » .

هذا بعض ما ذكرته مجلة « أبو نصارة زرقا » من مخاورات كلها كما رأينا في أسلوب عام يقرأه العام والخاص ، وهذا الأسلوب العام هو أصل في تاريخ جرائد جيغاً ، ولتكن بعض أعداده لم تخل من مقالات باللغة العربية الفصحى ، في أسلوب مسجوع ، ييد أنه غير عمل على أهل ذلك الزمان ، وخاصة العامة منهم الذين قد لا يفهمون منه شيئاً ، ولكنه يرى في آذانهم فيشنفها ويلوّهم رضي وأمنا ، ومن ذلك ما جاء في جريدة رحلة أبي نظارة زرقا .

وهي (رسالة في بيان ظلم شيخ الحرارة مهدية لأبي نظارة من قلم الفاضل

الأديب واللوذعى النجيب حضرة الشيخ يوسف افندي الشفعاوى المختتم<sup>(١)</sup> قال الكاتب ، الحمد لله الامر بالعدل والإحسان ، الناهى عن البغى والطغيان ، الذى خلق العالم واختار منه بنى آدم ، وجعل العدل بينهم نور المدى لطريق المعاش والمعاد ، ثم مضى الكاتب يحظى ويستشهد بالقرآن في غير موضع بآيات تتصل بالعدل وبعقاب الظالمين ، إلى أن يقول : « إن العدل فرض لازم على كل من تقلد أمراً ولو أمر بيته وعياله ، إذ كل راع مسؤول عن رعيته ، كما ورد ذلك في الحديث الصحيح » ، ثم ي THEM « شيخ حارة وادى النيل » بالظلم والعدوان ويحمل عليه حملة قاسية في مقالات متتابعة تبدأ في هذا العدد وتنتهي بعد أعداد ، ويفيد فيها الحقن الذى خرج بالكاتب عن آداب المناظرة .

#### النظامات المصرية<sup>(٢)</sup>

صدر العدد الأول منها في ١٦ سبتمبر سنة ١٨٧٩ وفي صدر الصحيفة الأولى رسمت عوينات كتب في أسفلها أنها « جريدة تاريخية علمية تحرير مصر واسكندرية » ، وفي نفس هذه الصفحة صورة كاريكاتورية لمحمد على الكبير كتب تحتها باللغتين العربية والفرنسية « محمد على جنتكشان ينظر من السهام ذل أهل مصر وفقرهم فيتحسر ويتحسّن في فرعون وابنه ... الخ » ، كما ذكر تحت رسم الجماعة التي يطل عليها محمد على من جنته حسي الله في ظالمهم ! في صورة ظاهر عليها الرئيس والشقاء إشارة للصريين في ذلك العهد ، وينتهي هذا المجلد في ٦ مارس سنة ١٨٨٠

ومن أظهر مقالات هذه السنة ( المقاومة المصرية ) وهي عبارة عن عرض خاطف لحياة مصر وشعور الكاتب الخاص ، ولكنه عرض يتميز بالحرارة

(١) راجع عدد ٤ من جريدة رحلة أبي نضاره زرقاء .

(٢) راجع دار السكتب المصرية ٨٠٦ دوربات .

ويتصل بالعنف ، في أسلوب يرتفع أحياناً في الوصف والخيال ، كقوله عن السفينة التي تخيلها قد أبحرت به إلى الإسكندرية<sup>(١)</sup> « تلك السفينة النارية ت يريد السفر إلى الإسكندرية فطلبتها أى طلب ، وحملتها أنفال الشعب ، وغنمته من دور زبده قلامد فعلقتها بسحرها ، ولم تزل تكسر عسكر موجه الجرار ، وترينا العجب بفتح حصون لجنه بالنار »<sup>(٢)</sup> ثم يعقب على ذلك بذكر الأمير حليم باشا صاحب اليد عليه « كيف جهلت الشمس طالعة ، وخفيت عنك أنوار الأمارة ساطعة ، أما سمعت بأمير الأمراء وسيد الوزراء جناب أفندينا البرنس حليم باشا » ثم يذكر شعور المصريين نحو الأمير حليم « ووجدهم أرق الناس طبعاً — يقصد المصريين — وذاكرتهم في سيرة ولـ» النعم حليم باشا فأثروا عليه بأسرهم » ثم يحمل على اسماعيل حملة قاسية في أبيات شعرية عنيفة صارمة لاذعة ، لا تستطيع أن تخيل قانوناً يسمح بنشرها وتداولها بين الناس ، هذا إلى أنها — مهما قيل في حق اسماعيل — ما نظنه يستحق هذا كله الذي جاء به كاتبنا في مقامته المصرية التي نشرها في النظارات المصرية .

ومن محاوراته الشديدة اللهجية المحاورة التي جامت « بين الواد المرق وزيره المشغل » ، وكتلث المحاورة التي جامت بعنوان : « زمز المسكينة » ، وهي « حادثة تاريخية حصلت بمصر القاهرة في عصر الواد الأهلب وزيره الديك الرومي<sup>(٣)</sup> » ، وهي محاجرة ذات حوادث بين زمز بائعة العيش وبين ديوس أغأ قواص تحصيلات الضرائب » ، فيها سخرية من صلاة الخديرو توفيق في مسجد الحسين لأن « اللي يمشي تحت حكم القناصل لا يجوز له صلاة » ، ويصور الكاتب قسوة الضرائب في ذلك الوقت وكيف أن « ديوس أغأ »

(١) العدد الأول من النظارات المصرية من ٤٢ و٤٥ و٤٨ و٩٠

(٢) عدد ١٥ يناير سنة ١٨٨٠ من ٢

(٣) العدد الأول من ١٠ من النظارات المصرية .

طالب زمزم بضربيه السوق فعجزت عن دفعها فبقر يطن ابنها فإذا شكته إلى المأمور قال لها هذا : « أكتبي عرضحال وحطى الرسم وقدميه لشوف الحق مع مين » ، ثم تضي القضية في فصوتها الثلاثة على غرار واحد من فشن القول ثم يتنهى الفصل الثالث برجماء زمزم لأحد القناصل — وكان موجوداً بمكتب المأمور — أن يتداخل في أمرها ، فإذا أراد الكاتب أن يصور تدخل القناصل وحكمهم للبلاد أجرب لسان المأمور بشكراً القنصل وتنفيذ أوامره بقوله : « تره بيان يا مسيو سمعاً وطاعة » .

ولا يخلو عدد من أعداد النظارات المصرية من صورة أو صورتين كاريكاتوريتين فيها حملة على توفيق وعلى وزرائه ، وكانت حملتها منصبة دائماً على الخديو والإنجليز معاً ، كما كانت تصور فرنسا بصورة الحنون على مصر فقد جاء في إحدى الأعداد صورة لبرترة<sup>(١)</sup> يحملها رئيس الوزراء ، ويلوح مثل إنجلترا في مصر على حلها مرة ومرة حتى أخذت الشفقة فنصل فرنسا فيتدخل مشفقاً على هذه البقرة — يقصد مصر — من الإسراف في حلها ، وهو هنا يمالئ فرنسا التي أضافته وأحسنت وفادته حتى إنه كان متخدلاً بجريدة شعاراً « تعيش المساواة والأخاء والحرية » ، وهو الشعار الذي أثر عن الفرنسيين في القرن الماضي .

### جريدة أبو صفاره

وهي « جريدة هزلية أسبوعية لأنبساط الشبان المصرية يحفظهم رب البرية من المظالم الفرعونية من شهادتها محب الاستقلال والحرية »<sup>(٢)</sup> ، ومتذكرة صورها الكاريكاتورية بأنها أصبحت نصف صفحة حسب وأصبح النصف

(١) عدد ٧٥ من ١٦ سنة ١٨٨٠

(٢) ٥ يونيو سنة ١٨٨٠

الباقي من الصفحة لل موضوعات المختلفة ، وهي من أربع صفحات كغيرها من جرائد يعقوب بن صنوع . وقد لاحظنا ونحن نبحث جريدة أبي صفاره أن المحرر سعى نفسه أحياناً بأبي غداره ، ولا تزال الحلة على الخديو مستمرة ، ولكنها أخف كثيراً من السنوات السابقة ، ييد أنها بدأت تشتد على توفيق ورياض باشا ، وقد دأب الكاتب على معارضته أحد فارس الشدائق محرر (الجوائب) بالاستانة والسيطرة منه والحملة عليه حلات قاسية متصلة ، وكان مصدر الخصومة بين الصحفيين الكبيرين وقف الشدائق إلى جانب توفيق والدفاع عنه وعن وزيره المذكور .

وتختوى هذه السنة على ثلاثة أعداد فقط بتاريخ يونيو سنة ١٨٨٠ ، وقد ظهر في هذه الأعداد شيء جديد هو (مراسلات الجهات) ، وهي أخبار جاءت إليه من مصر ، وأخذ ينشرها تباعاً ، ومنها كتاب أرسل إليه من أحد عبد أسيوط ، وفي أكبر الظن أن باب مراسلات الخارج من صنع محرر الجريدة نفسه ، لأنها من روحه وأسلوبه ، وهذه الأعداد التي احتوى عليها هذا العام استفاضت بمقالات ثلاث في لغة دارجة ، غير أن الملاحظ على هذه الأعداد الثلاثة خلوها من الروح الخفيف الذي صدر عن قلم المحرر في معظم صحفه ومقالاته .

### جريدة أبو زماره

وقد عدنا إلى صحيفة أخرى من صحفه الكثار ، أي صحيفة (أبو زماره) فدلتنا الأعداد القليلة التي عثرنا عليها ، وهي تبدأ في ١٧ يوليو سنة ١٨٨٠ ، وينتهي العدد الثالث منها في ٢٧ أغسطس من نفس السنة ، وهي السنة الرابعة من حياة جرائه ، دلتنا على حرارة الكاتب وعناده ، وقد صدرت (أبو زماره) في نفس عدد الصفحات التي لاحظناها في جرائه الأخرى ، وفي نفس

حجمها المعروف . ويدرك (أبو زمارة) في صدر العدد الأول أن ناظر الخارجية المصرية مصطفى فهمي استطاع أن يصدر أعداد جريدة (أبي صفارة) ، وحمل عليه حملة قاسية بهجوه المعروف البذى ، وملاً في هذا الهجو صفحات المجلة الأربع ، أما العددان الآخران فقد حمل فيما على رياض باشا كاه عادته ، وامتازت بنقده العنيف لتصريف الحكومة في إعطائهما امتياز الورق والخبر (لوازم المالية) إلى أحد الأجانب بعد أن رسأ عطاوه على أحد المواطنين ، وفي هذا الموضوع نرى جديداً لم تكن الجريدة تتجه إليه في مقالاتها ومواضيعها ، فقد كانت جميعاً حلات متواتلة دون تحديد ، وفي موضوعات عامة كالظلم والحرية ، ومن أتمتع مارأينا الصورة المنشورة في العدد الثاني من هذه الأعداد الثلاثة وهي تصور القاء الفلاحين والضباط للتسريح في النيل «معاقبة جبهم للحرية» ، وهذه الصورة من أروع الصور اتقاناً من حيث رسماً وتمثلاً بالجمال الفني وإن امتازت بشيء من المبالغة

### جريدة الحاوي

«الحاوى السكاوى اللي يطلع من البحر الداوى بعجائب الشكك للسكسلان والغاوى ويرمى الغشاش فى الجب الحاوى» كذلك جاء في رأس العدد الأول<sup>(١)</sup> وهى أربعة أعداد فحسب الثاني منها في ١٨ فبراير والثالث في ١١ مارس والرابع في ٢٥ مارس ، وهى الأعداد الخاصة بالسنة الخامسة من جرائد أبي نظارة . وأظهر ما في هذه الأعداد الأربع هذه الصور التي انتشرت في الصحفات وملايتها ، ومن أطرافها رسم صدرت به وهو يصور البوليس المصرى يستخرج مجلة (الحاوى) من عمامة الفلاح ، ورسم ثان للصلاح وهو يدفع ثمنها سراً لبائع الصحف ويتناول عدد الحاوى منه ، وفي الصفحة الأخيرة من كل عدد

(١) فبراير سنة ١٨٨١

رسم الكاتب صورة ترمي لحالة من الحالات التي عليها مصر ، كتخيل المصريين يرثون البرنس حلماً إلى قمة المهرم يعني بذلك رغبة المصريين في تتوبيخه خديوياً لمصر ، كما تخيل الضباط المصريين وهم يهاجرون قصر الخديو .<sup>(١)</sup>

### أبو نصارة

« لسان حال الأمة المصرية الحرة » ، كما جاء برأس الأعداد الخامسة عشر من السنة الخامسة لجرائد و قد عاد أسلوبه هنا إلى شدته الأولى بعد تفيه ، في ألفاظه التي يتججل الإنسان من إذاعتها بين الناس مما تهانون قوانين المطبوعات وتفسح صدرها لخصوصة الناس ، على أن صوره الكاريكاتورية في هذا العام بلغت أنسى ما يمكن لمصور من الفن والجمال ومن أرقها صورة « مجلس الزار »<sup>(٢)</sup> للبحث عن حقيقة موضوع محبة الأهالى للحليم باشا .

و تمتاز مقالات « أبي نصارة » بعودته الأسلوب العربي والمقالات الأدبية كما جاء بالعددين السادس والسابع ٨ يوليو و ٥ أغسطس سنة ١٨٨١ تحت عنوان الصيحة الأولى والصيحة الثانية ، وهي مقالات لإيقاظ المصريين وإلفات نظرهم إلى حقوقهم و تحذيرهم من ضياع استقلالهم ، قال في إحداها : « يا أهل مصر ، إن له غاية لا يزال يتربصها ، وقد نفح الشيطان في أنفه حب الاستقلال ، فهو يسعى بكل إلى ما يروم ، وإنما يروم استبدال التبعية العثمانية بالكلمة البريطانية تحت عنوان الاستقلال ، ومن يتبدل السكفر بالإيمان فقد ضل سوء السبيل ! أهل مصر : انتبهوا فقد طال النوم ولاحت تباشير الصباح ، وتدبروا ما يقال لكم في هذا اليوم فإن المجد جد والمزاج من أح»<sup>(٣)</sup>.

(١) العدد الثاني ١٨ فبراير سنة ١٨٨١

(٢) العدد السابع

(٣) من ٢ عدد ٧ سنة خامسة :

وقد حفقت الأيام ما قال في انتقال مصر إلى التبعية البريطانية وهي تبين لنا إلى أي مدى كان الرجل بعيد النظر ، صادق الحس في ألاعيب السياسة الانجليزية، وقد طالت هذه الصيغات حتى اضطر المحرر إلى زيادة عدد الصفحات فبلغت أحياناً ثمان صفحات<sup>(١)</sup> . وبدأت الجريدة من العدد الحادي عشر إلى العدد الخامس عشر تكتب بخط مختلف الأيدي وكانت هذه الخطوط لردمتها لا تقرأ فيما عدا الأعداد الثلاثة الأخيرة.

واستمرت السنة السادسة من جرأته تحمل هذا الإسم ، اسم جريدة (أبونضاره) حتى العدد السابع وهي كمعظم مجلاته التي شاهدناها في السنوات الماضية ، تحمل موضوعات سريعة على نمط واحد لا يتغير ، تستغرقها كالماء اللغة العامية الدارجة ، ييد أن الصور الكاريكاتورية كثيرة بشكل واضح في معظم الصفحات ، وكل ما يكتب تحت هذه الصور يترجم إلى اللغة الفرنسية وسميت الجريدة من العدد الثامن إلى العدد الثالث عشر « أبو نظارة زرقا » ، لسان حال الأمة المصرية الحرة . أما العدد الرابع عشر فاسمها « أبو نضارة » فقط ، وفي أسفل الإسم شعاره « مصر للصريين » ثم عاد اسمها « أبو نضارة زرقا » ، لسان حال الأمة المصرية الحرة ، وهذه السنة كلها مطبوعة على الحجر والخط العربي في أغلبها رديء ، وعليها صورة لأبي المول بعويناته ، وبدأت من عددها الثامن حتى العدد السادس عشر تترجم ما نشرته بالعربية إلى اللغة الفرنسية بخط جميل واضح استغرق صفحتين من الأربع صفحات فيأغلب هذه الأعداد ليتبين الرأى العام الفرنسي مدى تدخل الدول الأوروبية لنصرة الخديو على شعبه ، وخاصة الانجليز و موقفهم من المصريين الوطنيين ، كما ظهر لنا الأسلوب العربي الفصيح في بعضه أعداد من أعداد المجلة المختلفة .

واحتفظت جريدة بهذا الإسم ، اسم « أبونضاره » في السنة الحادية عشر

(١) راجع عدد ٧٦ و ٨٠ سنة خامسة .

والثالثة عشر ، والرابعة عشر ، والستادسة والعشرين ، وفي بعضها امتاز غالاتها بسمكة وجماله<sup>(١)</sup> ، كالسنة الحادية عشر التي وجدنا منها اثني عشر عدداً في دار الكتب المصرية ، ويتميز العدد الخامس من السنة الثالثة عشر بتحية رفعها المحرر « إلى المخترم الشريف مسيو كارنو رئيس جمهوريه فرنسا » بمناسبة معرض فرنسا سنة ١٨٨٩ يقدم الشيخ أبو نضارة قطعة أدبية بثان لغات ، كما كتب فيه مقالة أخرى تحية للذكرى المائوية للثورة الفرنسية ، وتحتوي هذه السنة على ثلاثة أعداد فحسب ونصفها باللغة الفرنسية ، وإن لم تظهر جيداً صورها وكتابتها بهذه اللغة ، وقد استمرت « أبو نضارة » في السنة الرابعة عشر من جراءته على الطريقة التي وضحتها وتحتوي على ثلاثة أعداد فقط في نفس الأسلوب والطريقة عينها وباللغتين العربية والفرنسية ، غير أن الحملة على الإنجليز اشتدت عنفاً وقسوة ، وأاحتوت السنة السادسة والعشرون من جريدة « أبو نضارة » على عددين فقط بدار الكتب المصرية ، غير أن الموضوعات العربية ترجمت مختصرة في صفحة واحدة لا غير .

### جريدة التودر

هي في حجم أكبر قليلاً طولاً وعرضأً من أعداد السنوات السابقة ، في أربع صفحات على ورق مصقول جميل ، وخرجت صورها بدبيعة بألوان مختلفة ، صدرت في مارس ١٩٠٢ ، وسميت التودر إشارة إلى تعدد الإنجليز إلى المصريين ، كما استغرقت صفحاتها الحملة على حرب الترنسفال ، فازدحمت بالمحاضرات التي أللقاها أبو نضارة ، كما أينا كثيراً من الأخبار الخارجية هنا وهناك ، وكتابتها العربية قبيحة بعكس الكتابة الفرنسية فإنها غاية في جمال الحروف والطبع .

## جريدة المصحف

وهي « جريدة سياسية . أدبية . تجارية » ، كما جاء في جانب الجريدة الأيمن ، وكانت حملتها شديدة جداً على الإنجليز في حرب البوير ، وأخذت تتعي عليهم أفعالهم التي خلت من الإنسانية والمرودة ، وتبعد في بطولة أهل البوير ، ولم يجد عليها جديداً بل جرت شكلًا وموضوعاً على ما جرت عليه جريدة التوడد ، على أنه أضيفت إليها الأخبار العلمية باللغة الفرنسية ، كما جاء في حديثها عن تقدم التعليم في تركيا بالعدد الأول .

ويلاحظ على صحف يعقوب بن رفائيل أنها اختلت من الإعلانات التجارية وإن زعم في بعضها أنها صحيفة تجارية ، إلا ما كان منها متصلاً بعمله الصحفى ، فكان يعلن بين الفينة والفينية عن استعداد المجلة « لنشر النبذة المفيدة والنادرة اللطيفة – بأى معنى كانت – التي تأتىها من أصحابها بتونس وسوريا والعراق والمجزأ والمند وسائر البلاد العربية »<sup>(١)</sup>

\* \* \*

هذه خلاصة لصحف صنوع وجهاده وكفاحه ، وتحليل لأول أسلوب عرفته مصر في هذه الناحية ، وإليه يرجع الفضل في وجود الصحف المزيلة والتصوير الكاريكاتوري الذي عرفته مصر بعد خمسين عاماً من بداية الرجل في عمله الصحفى . وتکاد تكون صحفه سلسلة متصلة الحلقات ، لم توثر قارئها كثرة الأعداد الضائعة منها ، بل إن طابعها وروحها متصلين في كل عدد ، بل في كل سطر من سطورها ؛ وقد كتب الرجل بذلك صحيفته بين أعلام الصحافة العربية ، تلك الصحيفة التي وضعته في مكان رفيع بين صحفيي الشرق الأدنى على اختلاف مذاهبهم السياسية والاجتماعية والدينية .

# محمد عبده

لم يكن الشيخ محمد عبده إماماً في مسائل القضاء والدين فحسب ، بل كان إماماً في كثير من وظائف الحياة الريفية ، وكان يراه بعض معاصريه سابقاً لزمنه ، وكانوا يعتبرونه — بالرغم من عامته — مقارناً ومشابهاً لكثير من فلاسفة الفرنجية وأصحاب الرأي فيهم .

وإذا كان شيخنا إماماً في الأزهر أو في مجلس شورى القوانين أو في وظيفة الافتاء ، فهو أيضاً إمام له قدره وخطره في تاريخ الصحافة المصرية ، وبه ثر عن نشاطه أنه كان من أحب الناس إلى جمال الدين الأفغاني الفيلسوف المعروف ، وأنه كان تلميذه المحب إلى نفسه القريب إلى قلبه ، وأنه لم يفوت جلسة من جلسات الأفغاني إذا حاضر أو ناقش ، وأن شيخنا كان قادرآ على فهم ما يقوله أستاذه الأفغاني ، فتولى كتابة ملخصات لمحاضرات أستاذه في صحف ذلك العصر ، وقد عرفه قراء الصحف في هذه الناحية من النشاط الفكري عن طريق جريدة (مصر) سنة ١٨٧٩ لصاحبها أديب إسحق وكانت تلك الصحيفة ميداناً لأفكار الأفغاني ومربييه في مدينة الأسكندرية ، وقد قدم الشيخ محمد عبده لهذه الملخصات بقوله : «من الواجب قياماً بالخدمة الإنسانية أن أودع بعضها قوالب العبارات اللائقة بها ، وأنشر طيب وفدها في صحف الجنالات لعم الفائد وانه ول التوفيق» ، وقال مقدماً لموضوع آخر من الموضوعات التي حاضر فيها الأفغاني عن فلسفة التربية ، «ولما فيه من عظم الفائدة رغبت في نشره في الجرائد الوطنية تعديلاً للفوائد ، وبياناً لما انطوى عليه من حسن المقاصد ...»<sup>(١)</sup> وهو ينشر لنا ذلك كما كان

(١) راجع جريدة مصر شهر يونيو سنة ١٨٧٩

يصنع طلاب العلم الجتهدون مع أساتذتهم في أوروبا في مطلع القرن التاسع عشر<sup>(١)</sup>.

على أن الشيخ محمد عبده كان كاتباً معروفاً قبل تلخيصه لمحاضرات الأفغاني ونشرها، إذ بدأ نشاطه الصحفي حين عرفت الحياة الصحفية جريدة الأهرام سنة ١٨٧٦، فقد نشرت له هذه الصحفة في سنتها الأولى بعض مقالات مهرها بأمضائه، وقدمن له الجريدة تقدمة طيبة حقاً تبني عن أمل عريض في هذا الكاتب الشاب<sup>(٢)</sup>، وكانت أولى مقالاته تحية للأهرام وصاحبها، ثم فتحت الصحفة صدرها للكاتب الناشي<sup>(٣)</sup>، فنشر موضوعاً بديعاً عن «الكتابة والقلم»<sup>(٤)</sup>، ثم عقب على ذلك بنشر موضوع آخر عن : «المدبر الإنساني والمدبر العقلي الروحاني»<sup>(٥)</sup>، وهو في هذه المقالات المتتابعة صحف مبتدئ وهو من هواة الكتابة والتحرير، ولكنه سجاع كثير الألفاظ الغريرية والجمل صحبة التراكيب، وإن كانت معانيه جديدة كل الجدة تعن عن عقل راجح وفكير منطلق لا يخضع لعرف أو ينزل عند تقليد، فإن أزهرياً في عصره ليخرج عن قواعد المألوف بشورته على كل متعارف إذ تصدر عنه آراء في مصر القديمة أيام الفراعنة، فيما تمجيد لعظمتها ودعوة صريحة إلى الاتصال بها ووصلها بتاريخنا الحديث، والجيل لا يقر الاتجاه ولا يرضي أن تأخذ مصر عن الوثنين الفراعنة أى تاريخ ! . . .

فهو إذن أديب معروف في زمن ندرت فيه الأقلام، أديب يتعمّل أدبه باتجاه قوى ملحوظ نحو المسائل الاجتماعية دراستها، وقد أعلنت مقالاته

(١) كان يصنع ذلك المستشرق مارسيل مدير مطبعة حلة بوتايرت على مصر مع أساتذته حين كان تلبيناً بمحرر صحفة مدارس الملحقين : راجع «تاريخ الطباعة والصحافة خلال الحلة الفرنسية» للمؤلف وفيه فصل خاص عن مارسيل.

(٢) جريدة الأهرام العدد الصادر في ٢ سبتمبر ١٨٧٦

(٣) جريدة الأهرام العدد الثامن من السنة الأولى ١٨٧٦

(٤) جريدة الأهرام العدد الحادى عشر من السنة الأولى ١٨٧٦

المختلفة عن وجوده فاختاره المشرفون على الواقع المصرية في سنة ١٨٧٩ ، محرر آثاراً بجانب محرريها الأولين الشيختين أحمد عبد الرحيم و محمد عبد الرحيم وقد بيّن سهمه مخجوباً في تحرير الواقع تلك السنة ، وعكف على إعداد تقرير ضخم عن إصلاح الواقع المصرية توطئة لتقديمه إلى ناظر نظار ذلك العهد رياض باشا ، وقد اهتم رياض باشا بهذا التقرير اهتماماً كبيراً فأمر بتعيين لجنة من وكيل الداخلية ومدير المطبوعات وصاحب التقرير لوضع لائحة لقلم المطبوعات وتحرير الجريدة الرسمية ، فوضعت هذه اللائحة وأمضتها الوزير ثم كفأه على تقريره الممتع بأن عينه رئيساً لقلم تحرير الجريدة الرسمية العربية ونشرها على المطبوعات<sup>(١)</sup> .

وقد صور لنا ذلك كله الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في مقال له عن : «دخول جريدة الواقع المصرية في طرز جديد»<sup>(٢)</sup> ، تحدث فيه عن نسبة الحكم إلى البلاد وأثرهم في ضعفها وقوتها ، ثم قال : «ولم يقتصر دولتلو — أي صاحب الدولة رياض باشا — رئيس نظارها على النظر في الكليات ولكن وجه عنايته إلى ترتيب الجزيئات : فشمل نظره إدارة الواقع المصرية التي أتت عليها أدوار عديدة وتقلبت في أطوار مختلفة مدة مديدة ، وهي في كلها غير ملتفت إليها من أول الأمر ، تتقدمها الجريدة الرسمية الفرنسية<sup>(٤)</sup> »

(١) راجع سجل أول وثائق استحقاقات الداخلية والفرمانات المصرية و مجلس شورى النواب عن سنة ١٨٨١ محفوظات الثلعة .

(٢) احتوى قرار نظارة الداخلية إلى ما ذكرنا تعيين الميسو إرنست فوكان المحرر رئيساً لقلم والمطابع المختصة بنشر الصحف الإفريقية — راجع الواقع المصرية عدد ٢٢٧٧ في ١٠ ديسمبر ١٨٨١

(٣) الواقع المصرية في ٩ أكتوبر ١٨٨٠

(٤) لم تكن الجريدة التي يتصدّرها الشيخ محمد عبد الله رسمية وهي جريدة Le Moniteur Egyptien ، بل كانت شبه رسمية وهي ليست أول صحيفة شبه رسمية في مصر ، كما أكدت ذلك جميع الكتب والماجر ، بل كانت هناك جريدة شبه رسمية سبقتها بثلاثين عاماً تقريراً بنفس الاسم على محمد محمد على سنة ١٨٣٣

راجعاً ذلك في «تطور الصحافة المصرية وأثرها في التهافت الفكري والإجتماعي» للمنقى لنوب .

بكونها يومية دائمة الظهور تنشر فيها المهمات فصداً وبالذات ولا تدرج في الواقع إلا عرضاً وبالتالي ولا يخفي ما كان في ذلك من الخط لشأن اللغة العربية وأبنائنا الذين هم الوطنيون الحقيقيون؛ وهم الأحق بالاطلاع على أوامر حكومتهم السامية وأعمالها الرفيعة، فقد نالت هذه الجريدة على عهد حكومة الخديو الأعظم بتوجيه عناية دولته ناظر الداخلية من على الشأن مالم تكن تطاله من قبل إذ صدر أمر دولته بأن تكون يومية بعد ما نظم لها لائحة تكفل لها أن تكون ذات المركز الأول والمقام الأعلى في بابها، وأن تسبق الصحف الشهيرة في غزارة المواد المفيدة على نمط تألفه النفس ولا يتجه الطبع»

وتم للشيخ مأراد فكان عهد رياسته لتحرير الواقع المصرية عهداً ذهبياً لها، إذ اهتمت بها الحكومة لشخصية محررها اهتماماً فائقاً، وكان هذا الاهتمام خاتم المجهودات التي بذلها المسؤولون في إنشاض الجريدة الرسمية والبالغ بها إلى مكانها الرفيع من النضج والاستواء، واستطاعت بذلك أن تؤدي رسالتها كاملة في حياة الدولة والجمهور المصري خاصة والعربي عاملاً، وينبغى أن نشير هنا إلى أن جهد الحكومة كان شاقاً وأملها في نجاح صحفتها يبذول عليه كثير من الشك، ذلك أن الواقع في ذلك الوقت لم تكن وحدتها في الميدان الصحافي كما كان الحال في عهد محمد علي وخليفة إبراهيم وعباس، بل كانت تتنافس عشرات الصحف الوطنية الأخرى التي تحدثت عن مثل وآراء جديدة محببة إلى الجماهير وليس في وسع الجريدة الرسمية أن تتجاربها في هذه الآراء المرة المتطرفة، ومع هذه المنافسة الشديدة استطاعت المجلة الحكومية بشخصية محررها الشيخ محمد عبده أن تعيش وتتفوز بشيء كبير من رضاء الناس وعطفهم، ومصدر هذا كله الإعداد الذي أعدته لها الحكومة فقد هيأت لها بضعة من المحررين والموظفين من ذوى الكفاءات والمهمم؛ مثل جودت بك و محمد عبده والشيخ عبدالكريم سليمان والشيخ سعد زغلول والشيخ إبراهيم الهلباوي وغيرهم من

المحررين والميضميين والمت�رمين والكتبة والمعاونين والجماعيين والفراسين والسعادة<sup>(١)</sup> وكانت إدارة الواقع في عصر اسماعيل تتبع ديوان المدارس في بعض النواحي وتستقل أمورها في نواحٍ أخرى، وبقى هذا النظام معمولاً به حتى ولَّ شؤونها الشيخ محمد عبده فنقلها إلى وزارة الداخلية، وتحررت من سلطان مطبعة بولاق، واختصها الرجل بمطبعة الداخلية الجليلة، وقد ربط المسؤولون بين الواقع وبين إدارة المطبوعات، فكان الشيخ محمد عبده محرراً للواقع ورئيساً لقلم المطبوعات والمطابع المتخصصة بنشر الصحف العربية والتراكية، فأدارة الواقع لم تخلص من ديوان المدارس فحسب بل تخطت ذلك إلى مركز يسمح لها بالتدخل في كل شيء يمس الحكومة أو نظاراتها المختلفة بما يتناسب معها الشيخ محمد عبده في برنامجه الذي أذاعه في العدد الأول من عهد إشرافه عليها<sup>(٢)</sup>

كان الشيخ محمد عبده يحسن اختيار الرجال كما كانت تلك صفة رياض باشا الذي أحسن إلى تاريخ الصحافة باختيار شيخنا محرراً للواقع، فاختار محمد عبده هذه النخبة المنشقة من المحررين الذين تستعمل الناس أقلامهم، فقد كان الأستاذ الأمام يرى أن إصلاح الواقع المصرية حادث يتصل بتقدم الشعب ونضجه، وأن اللاحقة التي وضعها ورسمها برنامجاً للجريدة «أودعها أحكاماً غربية في بابها يعجب بها الناظر فيها، خصوصاً إذا كان من أبناء الشعوب المتقدمة أو المقلدين للستمدين»، فقد ألزم الشيخ محمد عبده إدارات الحكومة ونظاراتها بنشر أخبارها وحوادثها في الجريدة الرسمية، وقد اقتضى ذلك أن اضطر الملاهون باللغة والتحرير إلى استدعاء المعلمين أو المبادرة إلى

(١) يراجع في ذلك سجل أول وثاني استحقاقات الداخلية وأقلامها والدقائق المصرية ومجلس شوري النواب عن سنة ١٨٨١ بمخطوطات القلعة ومنه نرى أن الشيخ محمد عبده عين براتب شهري ١٥٠٠ قرشاً زيدت إلى ٢٠٠٠ قرشاً والشيخ عبدالكريم والشيخ سعد زغلول زعيم مصر في القرن الحالي تقاضى كل ثنتي ٨٠٠ قرشاً وابراهيم الملاوي المخامي المعروف فيما بعد تقاضى ٨٠٠ قرشاً زيدت إلى ٨٠٠ قرشاً بعد عدة شكاوى

(٢) راجع الواقع المصري في ٩ أكتوبر ١٨٨٠

المدارس الليلية لينتعلموا كيفية التحرير ، وعم ذلك المديريات كأعم النظارات ، وذلك هو تاريخ إصلاح التحرير في مصالح الحكومة ، ثم استغل شيخنا مكانه في إدارة المطبوعات فلقت نظر الصحف إلى تحريرها وتحسين أسلوبها وإلا أنذررت ، ولبت الصحف دعوته شأنها شأن الدواوين فانصلح تحريرها وتصورت أساليبها وتهذبت ألفاظها ، وتمت في البلاد نهضة أدبية ، وشهدت أقلاماً حديدة ، وتسابق الأدباء إلى التحرير كما تسابق المواطنون إلى القراءة وتعارف الكاتب بالقارئ على بعد ، وخلق في الفتنة المتعلقة رأى عام وتيارات فاسكيرية لم تكن معهودة من قبل ، وكان هذا الموقف الحر الصريح الذي تمنت به الواقع في عهد الأستاذ الإمام من شأنه أن يشجع كل أمرىء على أن يسير في طريق الكمال والمنافسة في العمل الصالح ، ولم يبق عامل أو رئيس مصلحة أو ناظر إلا رغب أشد الرغبة في أن تظهر محاسن أعماله في صفحات الجريدة الرسمية ، وينتشر أن تكون له سوة فتبدو وتسجلها الجريدة بنفقة من نفسها

وفي الحق إن الواقع الرسمية لعبت دوراً خطيراً في الحياة المصرية في عهد محمد عبده إذ بادر صحيفينا إلى توسيع ميدان نفوذها فكان ينقد ما كان يراه قينا بالنقد فيما يقدم إليه من تقارير المصالح وأحكام المحاكم ، ولم يكن بهذه متصوراً على الشكل بل كان يتناول أعمال المصالح المختلفة وقراراتها ، وقد خلق هذا الشبر والنقد في الموظفين اهتماماً صادقاً فأدى ذلك كله إلى إصلاح أعمال الحكومة ومصالحها شيئاً فشيئاً فشيئاً ، ولم يكن نشاطها أمراً محصوراً في الرقابة أو نشر الأخبارحسب بل إنها مدت أنها إلى كل شيء ، وكانت قاسية في بعض ملاحظاتها ، عنيفة في آرائها فقد دعت إلى إصلاح التعليم وانتقدت نظمته ، وصورت مافيها من عجز وقصور وحملت على نظارة المعارف حملة شعواء أقضت مضاجعها حتى استاء ناظر المعارف استياء شديداً واعتبر ذلك افتئاناً على حقوقه ، ولذلك مضت في حملتها حتى أقرت الحكومة وجهاً

نظر الكاتب، وشكلت المجلس الأعلى للتعليم في ٣١ مارس سنة ١٨٨١ وحد، من سلطان الوزير، وأصبح من هذا فحسب، بل ان الحكومة كانت أكثر سخاما مما قدرت الجريدة ومحررها فاختارت الشيخ محمد عبده بين أعضاء المجلس وقد ضم الأستاذ الإمام اليه نخبة من تلامذته ومربييه ليعاونوه على إصدارها وتحقيق أغراضه فيها؛ ومن تلامذته المعروفين الشيخ عبد الكريم سليمان الذي كان من أحب الشبان إلى الأفغاني ومن أخلصهم للشيخ محمد عبده، فقد لازمه صديقاً وتليداً وورث سليمان أستاذه وصديقه في رئاسة التحرير حين تم الاحتلال، ومن تلامذته في الواقع المحبين اليه الشيخ سعد زغلول الذي أضحي في القرن العشرين قائد الحركة الوطنية في مصر، وكانت صلته بالأستاذ الإمام من أقوى الصلات التي تقوم بين التلميذ وأستاذة، وقد استفاد سعد من هذه الصلات علمياً وعملاً فشب كاتباً وأديباً وسياسياً فيما بعد وقد تمرن على الكتابة في المسائل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، واطلع لصلته بالواقع ومحررها على شؤون الحكومة وتدرب عملياً فترة من الزمن تحت إشراف الشيخ وملاحظته، وكذلك كان من تلامذة الشيخ محمد عبده الشيخ ابراهيم الملاوى صديق سعد زغلول ومن أكبر محامى مصر فيما بعد، اختاره الشيخ لمساعدته في تحرير الواقع، وكان من أقدر زملائه المحدثين في التحرير والإنشاء، ومن أهم ما يعرف عن أصحاب هذه المدرسة أنهم جميعاً، أستاذآ وطلاباً، كانوا أصحاب رأى في البلاد أثناء عالمهم في الواقع أو بعد مجاوزتهم لهذا الدور من الحياة.

وقد اتجه الأستاذ الإمام في تحرير الواقع إلى المسائل الاجتماعية فعرض لها بالنقد والتحليل، وكانت له فيها جولات موفقة شغلت الرأى العام، وأنشاً قسماً أدبياً من فيه تلاميذه وفتح صدره لمراسلين من القراء من شتى البلاد، ييد أن جل مقالاته كانت نقداً لحياتنا الاجتماعية في ذلك العهد، وهي إن ظهرت لنا موضوعات عادية اليوم إلا أنها في زمانها كانت شيئاً

جديداً مبتكرة في تاريخ الإنشاء والتحرير في الصحف عامة وفي الواقع المصرية خاصة؛ وهو في مقالاته لم يتكلف السجع أو يجرى وراء حشو اللناظر الذي يعجب العصر ويرضيه، ومصدر هذا فيما نعتقد كتاباته اليومية التي تعز لكتثرتها الأسجاع؛ لذلك كان أسلوبه هادئاً فيه من البساطة والدعة مايسهل على القارئ فهمه، وكانت مقالاته فضلاً عن هذا صورة لحياة الأمة، فيها تحليل لاخلو فيه ولا مبالغة، فهو في ذلك أديب واقعي، وقد هيأ صفحات الجريدة للحوار والنقد، ونقد الحكم قبل الحكم، وبين مواطن الذلل ومكان الضعف دون مواربة أو مجاملة، وهو بعد في إدارة المطبوعات قد حرر الصحف من قيود الماضي وأعادها في رسالتها الخبرية، وهذا إلى الأسايب الصحفية القمينة بكرامة المهنة والتي لا تتجاوز حدود الاعتدال

والشيخ مقالات شتى في الواقع المصرية بعضها مسلسل كمقالة «المعارف» التي نشرها في ثلاثة أعداد متالية<sup>(١)</sup> وفيها ينقد نظارة المعارف التي تأمر بفتح مدرسة ليلية لتعليم الكبار ثم تشرط لمن يلتحق بها أن يكون ملماً بمبادئه الرياضيات والطبيعيات وأدب اللغة الفرنسية التي ستكون لغة الدراسة! وله مقالات أخرى في «وخامة الرشوة»، ثم في «العفة ولوازها»، ثم في «القوة والقانون»، و«ما أكثر النول وما أقل العمل»، ثم طالعنا بمقالات أخرى عنيفة في نقد حياتنا الاجتماعية بعنوان «منتدياتنا العمومية وأحاديثها»<sup>(٢)</sup> تتحدث فيها عن العرب في الإسلام وحديثهم شرعاً ونثراً، وأن هذا الحديث من أهم خصائصه أن يكون متصلة اتصالاً وثيقة بالحرب والنزال والمفاخرة بها، وأن هذه الأحاديث القوية التي شغلت حياة العرب أخذت تضمحل حين الحق مجالسهم ترف الحديث عن النعيم والحب والعشق، ولها جت شعراؤهم بأوصاف النزل بعد الحماس، وبنعت الحاجين والنصر بعد الإسهام

(١) الواقع المصرية في ٢٠ ديسمبر ١٨٨٠ والمدد بن التاليين

(٢) الواقع المصرية في ٩ فبراير ١٨٨١

في وصف القوس والوتر، ثم عقب على حديث العرب بحديث اليونان أمة العلوم والعرفان، ثم انتقل إلى حياة الأوروبيين الذين لا يخلو مجالسهم من مفيد في نواحي العلم والفن، أما نحن المصريين، فتعتقد عندنا المجالس ولكن على ذكر أنواع المخمر والمسكرات، يطرأ المجتمعون فيها بذكر أوصاف الغيد الحسان، ويصررون ثلث الليل على قهوة، وفي ذلك يتباينون ويختلفون، حيث أن كلامهم ينفصل مألفوه من ذلك على مألفات أصحابه، ولا يروق لهم الحديث إلا إذا انتقلوا إلى القذف في شرف من بينهم وينهم جامحة ديوانية أو علاقة بجاورة منزلية... يتبارون في ميدان البداء، واستحضار كل ما في وحيث من الألفاظ وهو المسى عندهم (تنكيناً) فقسموا الألفاظ العرفية أبواباً وفصولاً حتى كثرت الفصول وتتنوعت المواضيع،

ثم يصور الصحف الأديب مجالس الكبار من أهل المدن ويقول عما يدور فيها «إنها إن اتفق وتجردت عن الحديث في منكر فهي لا تخلو عن حشو فأنه على الأقل لابد أن يتشرف المجلس ولو زماناً قليلاً بحلول الغيبة أو النيمة المرافقتين لنا».

وهذه إحدى المقالات الممتعة التي قرأناها للأستاذ الأمام حين كان رئيساً لتحرير الواقع المصرية، وقد نشرنا طرفاً منها لنضرب المثل لموضوعاته التي طرق فيها حياتنا الاجتماعية وفيها كرارينا إمتناع سواء في مقدمة المقالة أو في تحليلها، وكذلك في لفتات ذهنه ودقة ملاحظته وصدقه في الرواية، وتصوره لبعض أمراضنا، وكذلك امتاز هذا المقال الذي نشرنا جزءاً منه بأسلوبه الرصين الذي خلا من التعقد وتبرأ من السجع الممل، وهو إلى ذلك يسجلحقيقة في طبائنا، وهو فوق ذلك كلّه موضوع من الموضوعات التي قلماً كان يطرقها كاتب من كتاب ذلك العصر. وقد كان للشيخ محمد عبده غير هذه الفصول الاجتماعية الممتعة أخرى علمية دقيقة كموضوع «العلم وتأثيره في

الأرادة والاختيار<sup>(١)</sup> وهي تبحث في سلطة الفكر والتعقل ومدى سلطان الإرادة عليها ، وقد استغرقت المقالة مكاناً كبيراً من صفحات الجريدة وقصد بها الكاتب خاصته الكتاب من أصل الاختصاص

وجملة القول في تاريخ الواقع المصرية في عهد الأستاذ الإمام أنه كان كل شيء فيها ، وأنه كاتبها ومحررها ، ولا يطبع في صفحاتها خبر أو موضوع دون أن يبيت هو فيه ويحييذه بنفسه ، ونحن نرجح هذا كلام من روح الجريدة و Miyahha التي كانت تتفق مع ميوله وروحه

ثم تقع الثورة العرابية و يتم الاحتلال ، وينفي الشيخ إلى سوريا فيدعوه أستاذ وصديقه الأفغاني إلى لقائه في باريس ، وكان ذلك في سنة ١٨٨٤ ، وفي باريس دار بخلدهما إصدار جريدة « العروة الوثقى » وتولى الأستاذ الإمام تحريرها ، ويحدثنا محررها أنها « ستأنى في خدمة الشرقيين على ما في الإمكان من بيان الواجبات التي كان التفريط فيها موجباً للسقوط والضعف ، وتوضيح الطرق التي يجب سلوكها لتدرك ما فات والاحتراس من غواصات ماهو آت »<sup>(٢)</sup> وسياسة الشيخ محمد عبده في العروة الوثقى سياسة عالية فقد أبن إلا في القليل النادر ، أن يمس شخصاً من الأشخاص مهما يكن بينهما من موجودة أو سخيمة ، وهو إن اضطر إلى مهاجمة خصم من خصومه لا يسف إسفاف يعقوب بن صنوع ، بل ينحاصم في أسلوب عف ومنطق سليم ، لذلك كانت العروة الوثقى إرثاً أديماً لمصر والشرق لا ينكر فضلها ، وإن ما كتبه الإمام فيها يعتبر في ذمة التاريخ أروع ما كتب من موضوع ، وهو هنا يبلغ الذروة في نضج تفكيره واستواء بيانه وإخلاصه في الدفاع وصدق عاطفته وسمو معانيه : كما تميز

(١) الواقعية في ٣ سبتمبر ١٨٨١

(٢) العروة الوثقى - افتتاحية العدد الأول ١٨٨٤

بالموضوعات الاجتماعية والسياسية الرفيعة ، وقد أثر الزمان والمكان في الكاتب العظيم فكان إنتاجه الصحفي فيها خير ما عرف عنه من إنتاج .

وقد كان كل ما يرجوه صحفياناً في عروته الوثائق لإعادة الحكم الإسلامي والنظم الدينية إلى ما كانت عليه من الطهارة والعدل والكمال في عصورها الأولى بتأسيس حكومة إسلامية على قاعدة الخلافة الراشدة في الدين ، وما تقتضيه حالة العصر لمجد الإسلام في أمور الدنيا ، ويتبع هذا إنقاذ المسلمين وغيرهم من الشرقيين من الاستعمار وذله ، ومن أهم أغراضه وأغراض جريديته إنقاذ مصر من الاحتلال ، والسودان من الفوضى : والأستاذ الإمام لا يقصر رسالته على شتون مصر والسودان ، فإن المقصود أعلى وأرفع من هذا ، وإنما عملها سكب مياه النصح على هليب الضغائن لتتلاقي قلوب الشرقيين عموماً على الصفاء والوداد ، تلتمس من أبناء الأمم الشرقية أن يلقوا سلاح التنازع بينهم ويأخذوا حذره وأسلحتهم لدفع الضوارى التي فجرت أفواهها لاتهامهم ، ويسمو الشيخ في خصومته ، فالإنجليز عنده أعنف خصومه ، ولكنه يرى أن صداقه الإنجليز أمر لا يكرهه ، بل هو يدعو إليه بالرغم مما بينه وبينهم من جفوة أو عداء ، لأن الإنجليز في اعتباره «أمة طامعة» ، ييد أنها ليست من السوء بحيث لا تجوز معها صداقه ، فإن الإنجليز يراعون طبيعة العمران وتطور الزمان »<sup>(١)</sup>.

ثم يعود كاتبنا إلى مصر بعد أن عفا عنه الخديو ، وينزل بنشاطه المعمود إلى شتي ميادين الحياة ، ويبدي من الآراء الدينية والتعاليم الإسلامية ما يرضعه خصها بعض صحف ذلك العصر وفي مقدمتها جريدة «الظاهر» و«الamar» و«المار» وتأثير فيه هذه المجلات المتصلة فيقف في الجمعية العمومية مناصراً زميلاً

أمين بك الشمسي فيما ذهب إليه من أن «أسافل الناس يقدمون على إنشاء الجرائد وقد ملأوا الدنيا سفاهة وتعدياً على الأعراض»<sup>(١)</sup> وإن كان من رأيهما «أن الجرائد هي مرشد الأمة والحكومة، والمطبوعات هي ركن من أركان العمران»، ثم يقوم مؤيداً رأي القائلين بسن قانون للطبعات يقى الناس هذه الفوضى.

ويدور بخلد الأستاذ الإمام إنشاء صحيفة كبرى يتولى أمرها ويشرف على تحريرها ويمضي في هذا شوطاً لا يأس به، غير أنه ينصرف بفترة إلى معاضة تلميذ من تلامذته في تحقيق هذا المشروع، ويقوم السيد محمد رشيد الرضي بتحقيق رغبة أستاده ويصدر صحيفة «النار» وهي صحيفة يذكر لنا صاحبها أن الشيخ محمد عبده فرض شخصيته عليها وقرر لا تتمى لحزن من الأحزاب وألا ترد مهاجمة الصحف، وأنها ينبغي أن تكون أكثر من خدمة السادة وألا تؤدي إلى مهاجمة الصحافة، وأنها كانت بحق صحيفة الشيخ ولسانه.

هذا هو سهم الأستاذ الإمام في تاريخ الصحافة العربية، وهو سهم لا يقل قدرآً أو شرقآً عن سهمه في الوظائف الأخرى التي شغلها بعقله الراجح وذهنه المتند، وحسبه أن كان أستاداً ومعلمياً لبعض قادة الرأي في عصره، وأنه أحسن في مدرسة الصحافة إلى وطنه قدم لبلاده خيرة ساستهم وجلة حاماتهم وأساطين كتابهم ومعلماتهم.

(١) محضر الجمعية العمومية في ٢٦ مارس ١٩٠٢

(٢) تاريخ الأستاذ الإمام ١٢ من ١٠٠٣ - ١٠١٠

# خليل سرکیس

سنلق في هذا العرض لاعلام الصحافة العربية مجموعة من الشخصيات اللبنانيّة الممتازة ، كتبت بجهادها صحيفة رائعة في التاريخ الصحفي للشرق الأدنى ، وقد اختص لبنان دون ولايات الدولة العثمانية الأخرى بنشاط أدبي وصحفي ملحوظين ينافسان بقدر ما كانت عليه مصر في عهد الخديو اسماعيل من تقدّم فكري راٍع .

ويرى كثيرون من المؤرخين لهذا النشاط أن لبنان كان أسبق بلاد السلطان وعيّاً للحياة السياسية حتى إنه كان أسبق الدولات ثورة على النظم التي فرضتها تركيا ، وكان قيام الصحف بين سكانه مدعّاة إلى هذه الثورة ، ولم يستطع كثيرون من رجال الفكر اللبنانيين أداء رسالتهم الصحفية وسط ضبط الحكومة وقسّوها فهاجروا إلى مصر حيث لقيهم الخديو اسماعيل لقاءً حسناً ، فدخلوا في رحابه ، وأعانهم بهالة وجهه ، أما من بقي منهم في لبنان فواحد من اثنين إما أغلق صحفه وطوى قلمه ، أو لاين وساس الأمور بمحكمة وروية فاستطاع إلى الحياة الأدبية والصحفية سبيلاً ، ومن هؤلاء خليل سرکیس .

ولد صحيفينا في قرية من قرى لبنان سنة ١٨٤٢ ، ثم انتقلت أسرته إلى بيروت وهو في الثامنة أو التاسعة من عمره ، والتحق بالمدرسة اليسوعية التي أخذ عنها العلم كثيرون من رجال التعليم في نشأتهم الأولى ، وكان إلى جانب المدرسة مطبعة خاصة للأسر يكتبون فدفنه حسه في نشأته الأولى إلى التردد على المطبعة ، متطلعاً ناظراً إلى هذا الفن الجديد على نفسه ، القريب إلى طبعه ،

فغلبت عنائه بالمطبعة نزعات الشباب عنده فالتحق بها رديحا من الزمن أتقن فيه هذا الفن<sup>(١)</sup> ثم اتفق مع سليم البستاني في سنة ١٨٦٨ على إنشاء شركة مطبعة سماها مطبعة « المعرف »، ثم انفرد بعدها بمطبعة خاصة سماها « المطبعة الأدبية »، ونال معها امتياز جريدة « لسان الحال » في سنة ١٨٧٧ وهي صحيفة للسياسة والتجارة والعلم والزراعة والصناعة، وهنا برب صاحبنا واشتهر أمره ولقبه معاصره بشيخ الصحفيين إذ كان فيها معتدل المزاج، مواطياً جميع العناصر المختلفة والمذاهب المتباينة، لم يغلب مذهبآ سياسياً أو عقيدة دينية في رسالته الصحفية، وهي صحيفة نصف أسبوعية، أخذت تتعدد أيام ظهورها في الأسبوع حتى بلغت مراتب الصحف اليومية الممتازة في سنة ١٨٩٥، واحتفظ صاحبها بعدد أسبوعي يصدر منها، فيه خلاصة لنواحي النشاط الأسبوعي، وللسان الحال فضل لا ينكر على آداب اللغة العربية ومرادفاتها، فقد استعمل خليل سركيس وأنصاره في تحريرها ترجمة طيبة لـكثير من الكلمات الأجنبية أضافت للغة العربية ثروة لفظية لا زالت تحيا في آدابنا وصحائفنا العربية، كما جدد المحرر في أساليب الإعلان، فكانت إعلانات الصحيفة تبرز في صيغ مواطية مزينة بالرسوم، ومضت صحيفته قدمًا لا يقفها اضطراب أو يحول دون نشاطها حادث من الحوادث أو نكبة من نكبات الزمان.

ولذا كان صحفينا خليل سركيس متميزاً بين صحفيي جيله بالعلم في شؤون الطباعة ودقائقها، فإن له تاريخاً عظيمياً في تأليف الشركات الصحفية، فقد ألف مع شخصيتين حظيتين شركتين لإصدار الصحف، هما المعلم بطرس البستاني صاحب (الجنان) وابنه سليم البستاني صاحب (الجنة)، فضم صحيفتيهما إلى صحيفته (لسان الحال)<sup>(٢)</sup> ومضى يطبعها جميعاً في مطبعته

(١) تاريخ الصحافة العربية ج ٢ ص ١٢٩ وما بعدها

(٢) تاريخ الصحافة العربية لطرازى ج ٢ ص ١٠

المساواة المطبعة الأدبية<sup>(١)</sup> وكانت وظيفته هنا مديرًا لشركة النشر التي ضربت المثل في الشرق العربي، وإن كان كل من الصحف الثلاث مضى يصدر في الأسلوب الذي يراه أصحابها وفي استقلال فصل بين إدارة الشركة وأهداف التحرير

ثم اضطهدت حكومة السلطان صحفة سركيس سنة ١٨٧٨ ووقفت صدورها أربعة شهور، فلم يحل ذلك الاضطهاد دون نشاطه فأصدر مجلة شهرية سياسية علمية صناعية تاريخية فاكاهية سماها «المشكاة»، في ست عشرة صفحة، وهي في الواقع صحفة للأخبار والنبذ السياسية وليس فيها روح الفكاهة التي زعمتها أعدادها الأربع، ولم تعمر المشكاة طويلا لأن لسان الحال عادت إلى نشاطها فانتقى وجودها بجانب أختها الأصيلة<sup>(٢)</sup>

وخليل سركيس هذا ليس علماً من أعلام الصحافة العربية فحسب، فهو بجانب نشاطه الصحفي في التحرير الجيد والخبر المفيد والرواية الحسنة والأسلوب الرفيع والعبارة المنتقاة، رجل تشوفت نفسه إلى الطباعة واستهوى معظم نشاطه منذ كان صبياً، لذلك كانت صحفه تطبع في مطابعه الخاصة، وهي مطابع تجارية وهي فيما نعلم من أولى المطابع الحرة التي أديرت بالبحار في الشرق الأدنى كله، ومطابعه لا تقوم بطبع الصحف فقط بل تخنسن

(١) كانت المطبعة الأدبية التي يملكتها خليل سركيس تحتوى في القرن التاسع عشر على مطابتين تجاريتين ومطبعة يد وأخرى من الحجر. وكان له مسبك لصب الحروف أغان مطبع الشرقي العربي الحرقة وأمدها بالحروف، وكانت المسبيك مستعداً إلى تلبية جميع الطلبات التي تقدم إليه إذ كان في مقدوره أن يصب في اليوم الواحد مائة وسبعين ألف حرف مختلفة الأشكال والأحجام. وقادت مطبعته بجانب طبع الجرائد بنشرة مئات الكتب ودفاتر الأعمال التجارية — راجع في ذلك تاريخ الصحافة العربية لطرازى ج ٢ ص ٩٦، ٣١٠

(٢) راجعنا هذه الصحفة في مجموعة الكونت فيليب دى طرازى الصحفية في لبنان سنة ١٩٤٣ وهى على قلة أعدادها كانت صحفة جديرة بالرعاية قيمة بالحياة

بعضها لطبع المؤلفات العلمية ، وبعضها للشئون العامة التي تتصل بحياة التجارة وما إليها ، ثم هومن أوائل الشرقيين الذين أنشأوا المسابك لصب الحروف ، واستعملها غيره من رجال العروبة في الشام وغيرها من البلاد ، و يؤثر عنده أنه أدخل في صناعة الحروف العربية صنوفاً مختلفة بعضها دق حتى عزمثاله وبعضها كبر حتى استعمل في كثير من نواحي النشاط المطبعي ، وبذلك نقل المطابع العربية في الشام من أن تكون أسيرة الحرف الأميركي وحده

وإذا كان خليل سركيس صحيفياً قادراً على أداء رسالته الصحفية من حيث التحرير الجيد والإنشاء البديع ، ومن حيث القدرة على تسقط الخبر وحسن السبك في روايته ، وإذا كان مديرآ قادرآ لمطبعته واعياً لشؤون هذه المهنة عارفاً قدر هذا الفن ، فان صحفيينا كان مخللاً لثقة أبناء جيله من خيرة الصحصيين ، كان ينفهم تقنياً لهم وإن لم يعرف الجيل معنى النقابات الصحفية ، فقد كان يندب لتصفية المشاكل الصحفية وحل الأزمات ، سواء اتصلت هذه المشاكل والأزمات بالصحافة أو بأصحابها ، وكان الرجل يقضى بالعدل فيما يعرض عليه من أمور الصحافة والمشتبئين بها لذلك كان رأيه أو حكمه لا يرد ، وينزل عنده جميع الصحفيين جلت أقدارهم أو هانت<sup>(١)</sup>

وأنتج مكانه بين زملائه حدبآ عليه وعطضاً كبيراً ، حتى إن صحيفته « لسان الحال » كانت زاخرة بأقلام كتاب العصر اللبنانيين حيث حشدتهم الرجل لعرض آرائهم وأفكارهم على صفحات جرينته ، وقدم لكثير من المقالات والبحوث بالصور وزينها بالرسوم ووشها بالنقوش ، بجمالت الجريدة مثلاً يحتذى أسلوباً وإخراجا<sup>(٢)</sup>

ولم يشهد تاريخ الصحافة العربية صحيفياً نكتب في فنه كما نكتب سركيس ، فقد احترقت مطابعه في سنة ١٨٩٥ كما احترقت مطابع الأهرام في سنة ١٨٨٢

(١) تاريخ الصحافة العربية لطراري ج ٢ ص ٢٧

(٢) تاريخ الصحافة العربية لطراري ج ٢ ص ٣٠

غير أن الأهرام عوضت فيما عوض من خسائر الثورة ، لكن سركيس لم تقنده بصيغته في مورد رزقه ومهبط وحية وفنه وغاية نشاطه وجده عن معاودة العمل ونشر « لسان الحال » ، مفتتحاً بذلك بمقابل عن احتراق مؤسسته وهو من خير ما كتب في هذا الباب<sup>(١)</sup> ، وقد انزع هذا المقال إعجاب المؤاذبين إذ كان كاتبه فيه أدبياً مطبوعاً استحق ثناء أصدقاء « اللسان » من قريب أو بعيد وخليل سركيس هذا صحفى متصل الفضل موافر النشاط فهو لا يقصر نشاطه على شئون الطبع والصحافة فيز فيها كأى تاجر ورق واته الحظ وأسعفته الظروف ، بل يقف الرجل جزءاً كبيراً من حياته ونشاطه على الأعمال التي تفيد أمته ومواطنه ، فيرى فيه الآكفاء ندا لهم يستحق انتخابه عضواً في مجلس معارف ولايته ورئيساً للجمعية الخيرية الأنجليلية وعضووا في مكتب الصنائع ، ثم يجد سركيس بعامل الشفقة والرحمة أن بعضه من مواطنه يقتلهم داء الصدر ولا يرحمهم عطف ولا غذاء ولا طب فيدعو القادرين من اللبنانيين إلى تأسيس جمعية ترعى مرضى السل ويتم له مآراد ويسعد هؤلاء المساكين ، ويسجل صحفيينا في تاريخه هذا الفضل ، وهو فضل يذكر لصحافة لبنان لأن رجالاً من رجالها وظف جاهه وصحيفته لأنفاذ قته استبد بها الفقر والحرمان

وخليل سركيس تختص من أجله مهنتان رفيutan ، فالصحافة تدعى لنفسها وتسعد باعتباره واحداً من رجالها ، والأدب يأتى أن يكون اسمه محسوباً على غيره ، فقد أيد بنشاطه المطبعي صدور حوالي ألف مجلد من صنوف الثقافات الأدبية والعلمية والدينية والزراعية والصناعية ، ونشر من هذه الكتب ما يتجاوز مليوناً ونصف مليون نسخة ، ثم هو يقوم بنفسه على تنقيح كتابي « عنترة » و« ألف ليلة وليلة » وطبعهما في مطبعته وليس في هذا فضل كثير إذا كان القصد التنقيح أو التبويب وإنما هو يقصد من استعمال

ذوقه وفنه في هذه الأصول الأدبية أن يمكن السيدات من قراءتها من غير استحياء ، وفي ذلك من الخير ما سمح لقارئات العربية بالاطلاع على نبعين في الأدب العربي ، وحبيب اليهن لونا من الفن الرفيع ، وإن كان التنقية للأصل يقلل من رواة القطعة الفنية عند الأدباء والمفتين ، ثم يمضي صحفيتنا في نشاطه هذا فيطبع السكتب القديمة كقدمة ابن خلدون ومقامات الحريري ، ويقدمها لطلاب الثقافة العربية بشمن زهيد يمكن عامة القارئين من الاستزادة بهما ، والاطلاع عليهما ، ويتولف كتاب « سلالل القراءة » في ستة أجزاء ، وهو كتاب للطالعة إذا صح الوصف والعرض ، ييد أنه كتاب حاز قبول الجيل وأنست إليه مدارس الشرق الأدنى ، بل رغب فيه كثيرون من التلاميذ والمطالعين في المهاجر وخارج الشام .

ولا يقف نشاطه الفكرى عند اللغة وآدابها تنقيحاً وتأليفاً ، بل يضرب في كثير من فنون الفكر ، فيتولف للسيدات كتاب «أستاذ الطباخين وتدكرة الخواتين » ثم أصدر من قلمه كتاباً اجتماعياً يتصل بعرف الناس وتقليدهم سماه « العادات » وقصد به شرح العادة الطيبة والمثل الحسن في المعاملات ؛ ثم ألف بجانب ذلك كتاباً تعنى الأطباء والمحامين والشبان والمرأهقين ، ومن أهم كتبه « معجم اللسان » وهو قاموس لأسماء القواد والسفن والأماكن التي ذكرت في أخبار الحرب اليابانية الروسية سنة ١٩٠٤ ثم كان له فضل عظيم على النشاط التجارى والاجتماعى حين أصدر مواطنية الروزنامة السورية ، ولم يغفل رحلاته فدونها تباعاً في صحيفة لسان الحال (١) .

وقد أجمع معاصر وسر كيس على أنه كان صحيفياً دمث الخلق عن القلم واللسان ، موفور الذكاء شديد النشاط ؛ وأثبتت آثاره في صحيفةه وكتبه أنه كاتب مجيد سهل العبارة كثير الاستعارات مع ميل إلى الفكاهة والمداعبة ؛ وهو ذو ذوق في اختيار ألفاظه ومعانيه ، قادر على العمل معظم ساعات اليوم ، مثال لصاحب العمل وقدوة صالحة لمدير الصحيفة ومحررها .

(١) تاريخ الصحافة العربية ٢ من ١٣٤ وما بعدها

# شاكر شقيق

من خيرة أدباء لبنان الذين عرفهم القرن التاسع عشر؛ ولد سنة ١٨٥٠ في الشويفات ودرس فيها المبادئ الأولية في القراءة والكتابة، ثم التحق بمدرسة الروم الأرثوذكس وكان يتولى إدارتها الدكتور يوسف عربيل فأتقن هنا اللغتين العربية والفرنسية واتصل بجملة من فضلاء العلم والأدب ونال حظاً من دراسة اليونانية وهي طلبة سعى إليها كثيرون من نظرائه أصحاب القلم، ثم انتقل إلى بيروت حيث كان يقيم الشيخ نصيف اليازجي، فتوثقت علاقاته به ودرس عليه فنون الشعر فكان من أربع تلاميذه في القريض وكانت الإشراقة في عبارته ميزة له على أقرانه وأنداده في هذه الناحية من البيان<sup>(١)</sup>.

وقد ضرب شاكر شقيق بسهم وافر في ألوان الثقافة المختلفة فهو أديب له قراءات عميقة واطلاع واسع، وقد عرف في نشاطه الأول معلماً ومديراً لبعض مدارس لبنان، وله آثار طيبة في تلاميذه الذين نشأهم أحسن تنشئة فغدو فيما بعد من خيرة أصحاب الفنون في الشام، وكان بجانب أستاذيه في المدارس عضواً ذا خطر في «الجمعية العلمية السورية» وهو واحد من الذين ألفوا دائرة المعارف البستانية، فقد وقف عليها نشاطه عشر سنوات متوالياً وعكف في خدمتها على مراجعة دوائر المعارف الأجنبية المختلفة، فزاده ذلك علماً ب مختلف العلوم والمعارف، وأكده فيه القدرة على تجويد بعض اللغات الأجنبية التي كان على ثقة من معرفتها من قبل.

---

(١) لدراسة تاريخ شاكر شقيق راجع تاريخ الصحافة العربية ج ٢ من ٤٥ ، ٨ ، ١٩٢ إلى ١٨٨ ومن

وكان شقير بجانب عمله الضخم في دائرة المعارف يحرر الفصول المتعة في مجلة «الجنان»<sup>(١)</sup> وذلك أول صلته بالصحافة فيها نعلم ، وقد أحسه القراء فيها أدبياً مشرقاً العبارات موافق الفكر ، ولم يقصر أدبه على صحيفة واحدة في ذلك الوقت بل وظف قلمه في كثير من الصحف اللبنانية المعاصرة ، وكاد مواطنه يرونه في صحف بلادهم جميعاً؛ ورأت صحيفة «ديوان الفكاهة» أن تستعين به في ترجمة الروايات الفرنسية التي كانت تنشر على صفحاتها في كل شهر ، وهذه الصحيفة أول مجلة من نوعها في الشرق العربي حيث تخصصت في معظم صفحاتها للروايات والقصص وإن ضمت أحياناً وصفاً لبعض الرحلات؛ وكان اختياره وترجمته لما يختاره بأسلوبه الرفيع من الأسباب التي حببت المطالعين في «ديوان الفكاهة»، فكانت من أكثر الصحف انتشاراً وأدناها إلى قلوب القراء ، ويقول فيها الكونت فيليب دي طرازي «وكان (ديوان الفكاهة) بمجموعه حسن الوضع والترتيب حاوياً من أطiable الروايات على أشهرها ومن أشهر الرحلات على أكثرها فائدة ومن آداب الحكایات والقصص على أدناها مأخذها وألطافها مشرباً وأرقها أسلوباً . وكان بوجه الإجمال لا يتعرض لمذهب ديني ولا يلح لأمر سياسي ولا ينشر إلا ما يوافق طرحة بين أيدي القوم كباراً وصغراء نساء ورجالاً». وكان إقبال الناس كبيراً على مطالعة رواياته اللذىذة المنزهة من الشوائب الأدبية التي لا يخلو منها أكثر الروايات المطبوعة في زماننا<sup>(٢)</sup>.

(١) كانت الجنان مجلة سياسة أدبية ، أسلوبها ركيك وعبارتها عامية في أكثرها وإن كانت موضوعاتها دقيقة عالية ، وقد ساهم في تحريرها كثيرون من رجال الحكم والفكر في لبنان ، وقد تضمنت صفحاتها الأخيرة كثيراً من الملحن والفكاهات أكبر الظن أن كاتبها شاكر شقير لما أثر عنه في هذه الناحية من التحرير . شاهدنا صورة لها في مجموعة طرازي .

(٢) تاريخ الصحافة العربية ج ٢ ص ٦٦ وقد شاهدنا صورة لهذا الكتاب في مجموعة الكونت فيليب دي طرازي بمعرضه في منزله بيروت سنة ١٩٤٣ . (المؤلف)

ويعتبر شاكر شقير من الصحفيين الساخطين لأن حياته الصحفية لم تمض على سجيتها ، وهو كاتب أحسن الظن في أساليب الحكم في عصره، فنشر بعض المقالات العنيفة وأسامه ذلك إلى المسؤولين وصادف ظهور آرائه شدة من السلطة على كل فكرة حررة ورأى غير فطير ، فنشرت إرهابها على الأقلام وحدث من حرية الفكر وعصفت بأصحاب الصحف الذين أبووا أن يالوها بغير حق ، فانتقل المترجم إلى القاهرة سنة ١٨٩٥ حيث وصل حياة الصحفية بإنشاء مجلة نصف شهرية سماها «السكنانة» ،

لم تعمم السكنانة طويلا ، غير أن البذل من أجلها والوفاء في إخراجها أعطانا صورة طيبة عنها ، ولو ان الزمن امتد بصاحبها لكان من خيرة مجلات الشرق فقد ضممتها المقالات العلمية والقصص التئيلية والحكايات التهذيبية ، وجعل فيها بابا لنقد اللغة ونشر فيها أفاتين الشعر من نظمه الرائع وقد لفتت السكنانة المتأدبين هنا وهناك بالجهد المبذول في تحريرها وإخراجها، هذا الجهد الذي أثر في أصحابها فأعتلت صحته ، وبلغت به العلة مبلغا لم يفده فيها هواء مصر فعاد إلى لبنان حيث وافاه الأجل المحتوم في أكتوبر سنة ١٨٩٦

ويبدو من هذا العرض السريع لحياة صحيفتنا الكبير أنه كان من رجال الصحافة في نهاية القرن التاسع عشر؛ وهو من القليلين الذين كانوا أسوة ومثالا في معرفة آداب العرب ولغتهم كما كان حجة في تاريخهم وعلومهم ، وهو من ملأوا حياتهم الصحفية بالنشاط الأدبي الخاص ، وتشهد آثاره بأنه مفتون في كل فن ، مشارك في كل علم ، فهو صاحب كتاب «غضن البان» في انتقاد اللغة العربية ، في القرن الماضي وله كتاب «أساليب العرب في صناعة الأنشاء» وكتاب «منتخبات الأشعار» و«مصابح الأفكار في نظم الأشعار»، وبدأ المترجم في تأليف معجم في لغة العرب لم يتمتد به الأجل لإتمامه ، وقد جمع في مؤلف بعض مقالاته الاجتماعية بعنوان «أطوار الأنسان في أدوار الزمان» وهي مقالات مزج فيها المزمل بالججد ولم تخلي من اللفتات البارعة والمعانى الرفيعة

والحكم المواتية ، ثم عكف على ترجمة «آثار الأمم» للكاتب الفرنسي (فولنی) وهو ناصر ديوان أبي العلاء أكثر من مرة ، وأشقير غير هذا النشاط الأدبي كثير من الروايات المثالية والقصص البديع ما يجل عن الوصف والمحض ونحن نؤرخ له في هذه العجالة الخاطفة ، غير أن من أهمها روايات «أسرار الظلام» ، «الشجاعة الحقيقة» ، «وكنيسة المخرش» ، «والصبة الخرساء» ،<sup>(11)</sup>

وقد بن شاكر شقيق كثيرين من أنداده المعاصرين في قرض الشعر، بدأ هذا النشاط في قصيدة رفعها إلى خديو مصر إسماعيل في مناسبة من المناسبات وقد التزم في أوائل أبياتها تاريخاً هجرياً لسنة ١٢٨٧ وفي كل عجز تاريخاً مسيحياً لسنة ١٨٧٠، وهو شاعر مجيد، غير أن شعره توزع في جميع المحاذيف وساهم في وصف كثير من المشاعر، وهي مشاعر تيه بعروبه مؤمن بأفضالها قال عندما ترجم بعض الحكایات (للافوتين)

من بعد آثار نافى المشرق اشتهرت آثاركم فاستخدناها بلا تعب  
من ذاك ماجاه لافتين من حكم يشف برقصها الهزلى عن أدب  
إن كان أبدع في ذا الفن شاعركم فلا يقصر عنده الشاعر العربي  
وله إلى جانب ماذكرنا قصائد شتى لعل أحدهما نظمته في مدح الخليفة سعمايل  
حين قدم إلى سموه إمبراطور النساء وساماً مرصعاً في السنة التالية لافتتاح  
قناة السويس ، وكان عمر المترجم في ذلك الوقت عشرين عاماً فقا

أدركت بالله مجدآ أنت رافعه ال باني ذراه ففي إدراكه رهج  
قدمت تعليوا يأوج السعد أكرم نس ل رفده منه أكد مصر تبهج  
وقد زاله كثير من العطف لقاء هذين البيتين وإن كانوا أقل ما كتب في  
الشعر جودة ، غير أنهم ما كانوا يبيتين شجاعاه على قرض الشعر فباء فيه بالمعجب  
والملطرب مما نشرنا له مثلا على هذه الصفحات

(١) جاوزت مؤلفات شاكر شقير الثلاثين مؤلفاً معظمها في القصص سواء كان تفصيلاً  
بوضوحاً أو مترجمة

ويمتاز صحفينا الأديب الشاعر بأنه فنان تستهويه كل ناحية من نواحي الفن الجميل ، فقد شغل أوقات فراغه بدراسة الموسيقى عملاً وعملاً حتى جود فيها وبلغ شأوا غير منكرو ، وكانت حياته عبارة عن الصحفى الدارس العالم حتى أثر عنه أنه كان مثلاً للذكاء النادر وسرعة الخاطر بنظم الشعر على مهل أو نظمه ارتجالاً ، وقد جمع صفاتيه جميعاً أخيه فارس شقيقه فى مرثيته التي قال فيها .

وضع التأليف الذى خلصت من غلطة ندرت ومن خلل  
وله رسائل كثيراً غرر يحکى ترسلها هدى الرسل  
وله المقالات التى ذهبت فى كل ناد مذهب المثل  
فالشعر مثل النثر يرسله سهلاً بديعاً غير متتحل  
فيصيب فيه وهو هرتجل وسواه يخطيء غير مرتجل  
والنثر مثل الشعر يرصده جملاً مرصعة على جمل

# يعقوب صرُوف

شخصية مخفية لا تزال تحيا في آثارها الحية، وستمضي في ذمة التاريخ الصحف علماً من أعلامه ومثلاً من أمثلته المواتية وأسوة من الأسوات التي كانت سباقة في وضع أصول التحرير ومنذهب الفن الصحفى سواء اتصل ذلك بالصحافة الأدبية أو الصحافة السياسية، ولد صحفيانا في لبنان سنة ١٨٥٢ وكان من أوائل الفرق المتمدنة التي أتت دراستها في «المدرسة الكلية السورية» اتصل بالمراسلين الأميركيين ليدرس لهم اللغة العربية؛ وأعجب به هؤلاء المرسلون فهياوا لاستاذيته فرصة النضج والاستواء، وأنشأوا مدرسة عالية في طرابلس الشام تولى هو إدارتها ووضع لها المناهج، ولم يمض طويلاً في هذه المدرسة بل انتقل بعد عام أستاذآ للعلوم الرياضية والفلسفية الطبيعية في المدرسة الكلية السورية التي نشأته أحسن ثلاثة، وهنا أشبع رغبته كعالماً في الرياضة والطبيعة، وأنتج أمثلة عملية كان هو صاحبها أو صنعها تلاميذه بتوجيهه وإشرافه، ثم أردد هذا النشاط بنشاط جديد في الكيمياء فجمع إلى أستاذية الطبيعة والرياضية أستاذية جديدة في هذا العلم الذي أضناه وكاد يذهب بيصره، وله في هذه النواحي العلمية كتب تفرد بالعمق وتميزت بالقدرة واستحققت ثناء المشغلين في هذا الباب، ولم يقصر المترجم نشاطه على العلوم وحدها خلال الإحدى عشر سنة التي درس أثناءها في المدرسة الكلية بل ترجم كثيراً من الكتب الأدبية واشترك مع زميل صباح فارس نمر في تأليف وترجمة مجموعة من الكتب في سير الأبطال ومشاهير العلماء. كان ذلك النشاط العلمي مقدمة لعمل صحفي أدبي له روعته إذ ذاك ولا تزال له روعته في البيئات العلمية والأدبية في مصر والشرق، ذلك عمله في

إنشاء ، المقططف ، بمعاونة زميله فارس نمر من شهر يونيو سنة ١٨٧٦ وهي مجلة شهيرية التي احتوت على مواد تقتضي كما يقول صاحبها « إمعان نظر ، فإذا قرأت قراءة قصة لم تستفد منه شيئاً ، والحق أن المقططف وخاصة في سنتيه الأولىين يمتاز بأن موضوعاته علمية بحثية ، ويمتاز بالدقة ودقة كتابتها يعقوب صروف خاصة ، وقد وظف صروف وصاحبها جلة كتاب لبنان في تحرير المقططف وفي مقدمتهم الدكتور فان ديك المستشرق المعروف .

وقد انتقل صاحبا المقططف إلى مصر في العام الثالث من نشأته — وكانت شهرتها قد سبقتها إليها — وفي مصر اتسع أفق المجلة وفتحت صدرها للكتاب والمنشئين من بلاد الشرق العربي جميعاً ، وملأت الحياة الأدبية بفراغ كان ملحوظاً ، وسمحت للشعر أن يحتل مكانه بجانب النثر العلمي والفنى ، ومضى صروف يقضى صباحه ومساءه في دار المقططف يحرر معظم مقالاته ويهذب القليل النادر من غير قلمه ، ويترجم له فصولاً من أمهات الصحف الأمريكية والأوروبية . وقد أمضى يعقوب وصاحبها تاريخهما الصحفي الأول في إنشاء المقططف والتيسير له إلى أن لاحت لها فرصة العمل في الصحافة في صورة أكثر اتساعاً .

والمقططف الذي كان فيه المترجم سيد الموقف بالقياس إلى زميله فارس نمر ، مجلة شهرية علمية صناعية زراعية ، صدرت أول ما صدرت في أربع وعشرين صفحة ، ثم أخذت صفحاتها تزداد على الزمن حتى جاوزت المائة صفحة ، ولعلها كانت في زمانها الأول وإلى مطلع القرن العشرين أكثر الصحف العربية العلمية انتشاراً وأوسعاً شهرة وأدقها مادة وأجزها فائدة ، في جميع البلاد الناطقة بالضاد .

ويذكر فيليب دي طرازي مؤرخ الصحافة العربية « أن مباحثها — يقصد مجلة المقططف — تتناول كل فن ومطلب بحيث لو جمعت موادها العديدة على ترتيب حروف الهجاء لتألفت منها دائرة معارف أو قاموس

كبير يرجع إليه الباحثون في فروع العلوم المختلفة ، فإذا أرادوا معرفة ما قبل عن عمر الأرض مثلاً قالوا : هلم إلى مجموعة المقتطف لنرى ما فيها عن هذا الموضوع ، وهكذا قل عن سائر المواضيع العلمية والأدبية والصناعية والتاريخية والتجارية والزراعية والفنية والآثار القديمة والاكتشافات الحديثة والاختراعات العصرية وتراث مشاهير الرجال وغيرهم .

أما قصة إنشاء المقتطف فقد رويت على لسان صاحبته حيث قالا « ورأينا في تلك الأثناء أنه يستحيل علينا أن نجاري الأمم الغربية في العلوم والمعارف إذا اقتصرنا على ما يترجم ويؤلف من الكتب لأن العلوم الحديثة جارية جرياً حثيثاً فما يؤلف هذا العام يمسى بعده قد يبدأ في العام الثاني ولا بد من جريدة تقطف ثمار المعارف والباحث العلمية شهر آفمبر وتذيعها في الأقطار العربية ، فعقدنا النية على إنشاء المقتطف لهذه الغاية ورسمنا خطته التي سار عليها منذ إنشائه إلى الآن ، وقد صدر المقتطف في بيروت سنة ١٨٧٦ وساهم في تحريره جلة الأدباء والكتاب والعلماء ، واستقبله قراء العربية في كل مكان استقبلاً يعز مثله في تاريخ الصحافة العربية »<sup>(١)</sup> .

ويجدر بمن يورخ ليعقوب صروف ألا تفوته حقيقة تاريخية هامة ، هي أن التاريخ للمقتطف خاصة هو تاريخ للمترجم أيضاً ، وليس أدل على قدر يقرب من أن ينال المقتطف إعجاب الصحفة المختارة من رجال الأدب والسياسة ، فقد نما إلى رياض باشا وشريف باشا — وكلهما خصم سياسي للآخر — أن صاحب المقتطف قد أزمعا الهجرة به إلى مصر فكتب أحدهما إليهما يقول : « أخبرت أنكم عزمتم على نقل جريدةكم الغرام إلى الديار المصرية فسرني ذلك لما تحويه من الفوائد الجليلة والنفع الدائم لكل بلاد رفت رأية علومكم فيها ، وقد اغتنمت هذه الفرصة لأبدى بها نصيحتي لأنشاء هذا القطر

بمطالعتها واجتناء فوائدها ، فإن المقتطف عندي منزلة رفيعة وقد ولع بطالعته منذ صدوره إلى اليوم فوجدت فوائده تتزايد وقيمة تعلو في عيون عقلاه القوم وكبارهم ؛ ولطالما عدته جليساً أنيساً أيام الفراغ والاعتزال ونديماً فريداً لا تنعد جعبه أخباره ولا تنتهي جدد فوائده سواء كان في العلم والفلسفة أو في الصناعة والزراعة التي عثرت فيها على فوائد لا تشنن ؛ هذا علاوة على ما فيه من المباحث الآيلة إلى تهذيب العقول وجلام الأذهان وتفكيكه القراء ..

ثم يقول الثاني في كتاب إلى صاحب المقتطف « إن الذين خبروا حال العالم واستقصوا سنن الهيئة الاجتماعية واستقرموا أسباب ترقية البلدان واتساع نطاق الحضارة في كل مكان أجمعوا على أن العلم أعظم ركن في بناء التمدن والمعارف وأوثق رباط لحفظ الأمم وتعزيز شأنها ، ولذلك عظمت قيمة العلماء عند أرباب العقول واعتبرت الوسائل التي من شأنها بث العلوم وتعميم المعارف في البلدان . ولما كان المقتطف خير ذريعة لنشر المعارف بين المتكلمين بالعربية فلا عجب إذا نال مثالاً من رفعة المقام في اعتبار الخاصة والعامة معاً . »

« وقد بلغني في هذه الأثناء خبر نقله إلى القطر المصري بعدما خبرته وخبرت معارفكم زماناً ، فاستحسنلت أن أبدى مسرحي بذلك لما فيه من الفوائد التي لا تستخفى عنها البلاد ، ولا ريب عندي أن عقلاه مصر ونهاهها لا يغفلون عن تعميم فوائده ولا يتقادرون عن السعي لنشر علومه بينهم لاسيما وقد علموا أن إنارة الأذهان وتشقيق العقول أقوى واسطة لحفظ الأمة وشد عرى اتحادها » (١) .

فاتفاق الضدين - أى رياض وشريف - وكلاهما صاحب مدرسة في السياسة والنظر إلى الحياة على أن المقتطف جدير بالتقدير ، فيه تقدير خفي

لمن أنشأه وكرس العمر لإبرازه في هذه الصورة البدعة التي عرفها لمعاصروه  
ثم اتفق صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس مدير مطبعة المقططف  
على إصدار جريدة المقططم في ١٨٠١٨٨٨ «جريدة سياسية غير ضابطة المق�햻  
الوطن»، وذلك في ظل «المحضر الفخيم الخديوية الظليل»، وهم يعتمدون في  
طلب الترخيص على سمعتهم الصحفية والأدبية في تحرير المقططف ونشره، وقد  
أثبتت الثلاثة أنهم صحفيون قادرُون حقاً سواء في التحرير أو استقاء الخبر،  
غير أن صحفيينا يعقوب صروف لا يشارك في هذا النشاط الصحفي اليومي  
مشاركة الأصيل حتى لا يحول المقططم دون تفوقه وتجويده في إخراج المقططف  
فقد ذهب بروحه وعقله إلى مجلته الأولى، وكاد أن يكون وحده صاحب  
الأمر فيها وإن ذكرت أعدادها أصحابها الثلاثة جميعاً

ويعقوب صروف صاحب أسلوب امتاز به بين أقرانه ومعاصريه ، فهو  
كاتب أثر العلم في عبارته فلا هي سقيمة كعبارات العلماء الذين يجهلون  
آداب اللغة العربية ولا هي حوشية أو غريبة مما يصعب فهمه على طلاب العلم  
أو الأدب الرفيع ، وهو ينحو في كتابته نحو التدقيق في كل كلمة والتحقيق لكل  
معنى ، وقد يقتضيه ذلك مراجعة الكتب المتباينة والنظر في المعاجم حتى يبلغ  
وضعاً يطمئن فيه إلى صحة ما كتب سواء اتصل ذلك بالموضوع أو البيان ،  
وقد استطاع بأسلوبه المفرد أن يغري قراء المقططف بقراءاته مهما تختلف  
أذواق المطالعين أو تدق على فهم العاديين الموضوعات التي يطالعونها ، وهو  
إلى جانب أسلوبه العلي يتأثر بالموضوع الذي يكتبه فإن اتصل بناحية من  
نواحي العاطفة رأينا بعض الأسباع المقبولة تخلل عباراته بل رأينا الشعر  
يطاوشه على تأييد فكرته ، ثم يمتاز يعقوب بأنه كان من أقدر الكتاب على  
التلخيص فهو يعرض عليك كتاباً ضخماً في صفحات قصيرة ويلم بكل شاردة

أو واردة فيه ، ويستطيع قارئ التلخيص لدقته وعمقه أن يزعم مطمئناً أنهقرأ الكتاب وألم بأطراقه جائعاً ، ولصروف فضل آخر لا يقل عن أبواب النشاط المختلفة التي برب فيها ، فهو يعني أشد العناية بعرض نظريات وأقوال كتاب وعلماء فلاسفة الغرب ، ويعلق عليها تعليق الخبير العارف بأصحابها وبما أنشأوا من آيات الفكر الحديث . وقد بين بذلك لقراء العربية أن في أوروبا آراء حديثة جديرة بالنظر والاعتبار ، وأن في أوروبا وأمريكا رجال فكر يحب أن يعرفهم المصريون والعرب في آثارهم الضخمة التي تضيف إلى العلم جديداً ينبغي ألا يفوّت أمّةٌ ناهضةٌ تسعي إلى العلم والتشعيف

ولم يقف نشاط يعقوب صروف عند المقتطف وهو ميدانه الأول أو عند المقطم إذا غاب صاحبه فارس نمر فيساهم فيه بقسط بل شارك مشاركةً الأصيل في تحرير مجلة «اللطائف» لزميله شاهين مكاريوس ، فكتب فيها كثيراً من المقالات وعالج بعض الفصول الفكاهية ونشر بذها من هنا وهناك دل الاختيار فيها على الذوق الجليل والدهن الصافى ، ثم تولى تهذيب ما فيها من غير إنشائه ، حتى كانت اللطائف في ذلك الوقت أحّب المجالات المصرية إلى المصريين وأروجها عند القراء في بلاد الشرق العربي

ويحسن القارئ ليعقوب في بعض مقالاته التي تتصل بالمجتمع أن نزعمه اشتراكية بعض الشيء ، وهو الذي دعا في أكثر من مناسبة إلى تدخل الحكومة والمسئولين ليحدوا من مطامع الأغنياء وملوك الأرض ويقفوا المشعرين وعياد الذهب ، وأن سلاح الثراء إذا أرهف أسماء أصحابه استعماله كسيء في كثير من الأحيان أقوىاء البدن والمفوقون في استعمال الأسلحة أبدانهم وأسلحتهم ، وهي التفاصيل قل المتحدث في شأنها من العرب من كتاب

## الأدب أو الاجتماع أو رجال العلم والسياسة في القرن الماضي ومطالع القرن العشرين

وهناك شبه عميق بين يعقوب بن صنوع صاحب جرائد « أبو نظارة » وبين يعقوب صروف صاحب المقاطف من حيث فهم كليهما لقدر الرحلة واعتبارها وسيلة من وسائل التقييف وتنمية الملاحظة ، فرار صروف في سنة ١٨٩٣ عواصم أوروبا جميعاً ولقي فيها جلة علمائها وأدبائها واستحق منهم إعجابهم وتقديرهم فكلّفه بعضهم الكتابة عن أحوال مصر ومستقبلها فنشر في ذلك رسالة طيبة باللغة الانجليزية تلّيت في إحدى الجامعات العلمية الممتازة ثم عاود زيارته أوروبا ووثق علاقاته بأصحاب الفكر حتى كان كثيرون منهم يرافقونه وينقلون عنه في مقالاتهم وكتاباتهم ويرون فيه حجة من الحجج التي يعتمد عليها ويؤخذ عنها

وخلال صروف معظم صحفيي عصره فهو مقل في صياغة الشعر ، ولم يؤثر عنده بيت في مدح إنسان بل أن معاجلته للقريض اختصرت في أكثرها على الوصف ، ومن قصائده قصيدة في وصف « مشاهد أوروبا » وأخرى في « وداع باريس » و « وداع لندن » ووصف « رأس البر » ولعله الشعر الوحيد الذي قيل مدحأ في هذا المصيف المصري ، كما كانت له بعض القصائد القليلة في الثناء ، واتجاهه في هذا كله يجاوب اتجاهه في نثره ويمثله من حيث غلبة الناحية العلمية والنظرية إلى الأمور نظرية فلسفية فيها من العمق شيء كثير ، نشر هنا بعض قريضه في وداع باريس كمثل لشعره الرقيق :

ودعتُ باريس مفتوناً ببرآها  
وآى حسنٍ تجلّى من محبّتها  
وجاه ملكٍ رفيع الشان جاورها  
دهراً طويلاً ولم يربح بمحناها  
رواقه مسيطراً في معالماها  
وبدره مشرق في أوج علياتها  
مرسومةً في جبين الدهر صولته  
تنّيه عجباً بأولاها وأخراها

إلهة الحسن فاستهداوا بسيماها  
فاق الورى حمجة أو فاقهم جاها  
وصاغ منها حل حسن بها باهى  
غواصون السكون تعميمياً لجدواها  
فطبق الأرض أقصاها وأدنها  
لها مناراً وأعلوه فأعلاها  
وعصبة عصمتهم في صناعتهم  
وخلدوا ذكر أرباب السيوف ومن  
أوخاض بحر المعانى فاجتنى درراً  
أو غاص في لج بحر العلم مجتلياً  
وآل علم وفضل طار صيتهم  
هم الآلى فى سماء المجد قد رفعوا  
وبعد فقد عاش صروف وشغل الحياة الأدبية والعلمية في مصر والشام  
وترى تراثاً لا يزال يعيش فيه، وسيبقى حياً فيه ما بقى للصحافة والعلم والأدب  
مكان بين الأحياء

# أبو السعود والمويلحي

ربطنا بين الشخصيتين لتشابه عميق بينهما ، فكلاهما صاحب محاولة في إنشاء الصحف الشعبية ، أى الصحف التي يصدرها أفراد ، فإلى زمنهما أى إلى سنة ١٨٦٧ لم تعرف مصر الصحافة العربية الشعبية ، فقد صدرت قبل نشاطهما الصحف ست صحف رسمية هي على التوالي « جرنال الخديو »، و « الواقائع المصرية »، و « الجريدة العسكرية »، و « الجريدة التجارية الزراعية »، و « يعقوب الطب »، و « الجريدة العسكرية المصرية »، وهي جميعاً صحف للدولة تقوم على إصدارها وتحريرها الحكومة المصرية .

فإذا جاء عصر إسماعيل ، وهو عصر لا ينكر فضله على الصحافة والصحفين ، تهيأ أبو السعود وإبراهيم المويلحي للمنافسة في هذه الناحية من النشاط الفكري الرفيع ، فقام أبو السعود أفتدى بمحاولات إصدار مجلة شعبية ، تميزت بأنها صحفة « موالية » إن صح التعبير ، موالية للنظام السياسي وصورة مطابقة لغاياته ، ثم قام في نفس الحقبة إبراهيم المويلحي بمحاولة مشابهة ، هي إصدار مجلة شعبية لم تحرض على الولاء الذي أثر عن مجلة أبي السعود فكانت صورة بدئعة للصحافة الشعبية .

وكان المحاولتان أول أساس لتاريخ الصحافة الشعبية في مصر ، ولذلك يؤكّد مؤرخو الصحافة المازهون عن الغرض أن هاتين المحاولتين خفظتا لمصر فضل السبق في إنشاء الصحافة الوطنية ، وكان المعروف من قبل أنها مهنة طرأت ياقبال الشاميين على مصر واحترافهم هذه المهنة دون المصريين . وحسب التاريخ أن يضع محففين في هذا المكان ، حيث قامت على أكتافهما الأحجار الأولى من البناء الضخم الذي شيده المصريون لصهاقتهم فيما بعد<sup>(١)</sup> .

(١) راجع الفصل المكتوب عن نشأة الصحافة الشعبية في كتاب « تطور الصحافة المصرية وأثرها في النهضتين الفكرية والاجتماعية » المؤلف

فعبد الله أبو السعود أفندي شخصية صحفية لا يجوز إغفالها إذا اتجه الحديث إلى أعلام الصحافة في الشرق الأدنى، لأنها خلقت في الصحافة جديدةً أو بعثت فيها روحًا لم تكن لها، بل لأنها تمثل طوراً من أطوار الصحافة المصرية إذا تنوسي كانت هناك ثغرة عميقة بين قديم الفن الصحفى وجيده.

وأبو السعود أفندي صحفينا الأول في صحافة مصر الحرة شاعر يصوغ القوافي وناشر يجيد البيان ، ومترجم من عيون المترجمين في عصره لم تستغن عنه صحيفة من صحف إسماعيل الرسمية ، فكان من بين وظائفه العامة الترجمة للأجانب الناشرين في هذه الصحف ، وأبو السعود أفندي يمثل الحلقة التي تربط بين الصحافة الرسمية والصحافة الشعبية ، إذ كان أول من أنشأ من المصريين صحيفة شعبية غير أنها صحيفة تتفق مع مظاهر العصر وحاجاته ، فقد ظهرت جريدة « وادي النيل » سنة ١٨٦٧ عقب افتتاح مجلس شورى النواب ، وهو المجلس الدستوري الأول في حياة مصر الحديثة ، ولم يكن لهذا المجلس أثر إذا قيس بالجلس التشريعية المأثولة له في أوروبا ، بل كان شيئاً غريباً حتى على أعضائه ولكن إسماعيل نظر إليه كظهور يتصل بأبهة الملك ويشابه من بعيد مجالس الغرب .

ولإذا كان المفروض أن يكون في مصر مجلس للشورى يجتمع وينقض على هذا النحو ، فإن الصحافة الرسمية لا يجوز أن تكون معيلاً عن هذا المجلس الشعبي ومن هنا بدأ الخديو يرى وجوب إنشاء صحيفة شعبية تمثل هذا المجلس أو تساير الفكرة في وجود هذا المجلس فأوحي إلى عبد الله أبي السعود أفندي بأن يصدر جريدة وادي النيل « مصرية أسلوبية سياسية علمية أدبية » وكانت الجريدة توزع في كل مكان ينزله المسلمون<sup>(١)</sup> .

---

(١) راجع رءوس أعداد جريدة وادي النيل سنة ١٨٦٧

وكانت الفكرة في إنشاء هذه الصحيفة بجانب التعبير عن النزاعات الشعبية الجديدة التي تمثل في مجلس شورى النواب خدمة الخديو وتحقيق سياساته في اعتدال، وما كان يمكن أن تمثل جريدة « وادي النيل » الصحافة الشعبية في غير هذا الخيز الضيق من الحرية، ذلك لأن صاحبها موظف في الحكومة له آثار وخدمات في الصحافة الرسمية، وقد رحبت الواقع المصرية أياً ما ترحب بالصحيفة التي جاءت توئسها في وحيتها<sup>(١)</sup>، وحيتها بعض الصحف الفرنسية المعاصرة في مدينة الإسكندرية فقالت « قد حذرت صحيفة مصرية جديدة بمدينة القاهرة تسمى وادي النيل، وقد أوضحت ملشتها وناظرها أبو السعود أفندي فيما أورده من بيان الغرض المقصود بأنشائهما أنه التزم بأن ينشر فيها الأخبار النافعة للديار المصرية سواء كانت ترد من أوربا أو من الأقاليم المصرية»، وردت هذا الخبر السار في ربع الشام صحيفة حديقة الأخبار الباريسية<sup>(٢)</sup>

ويعتبر جهد أبو السعود الصحفى محاولة لا بأس بها، فصحيفته أول صحيفه وطنية شعبية في مصر، وقد زحم معظم صفحاتها بأخبار الخديو ورجال حكومته وتولى فيها مناقشة ما اعنتادت نشره جريدة « الجواب »، وهي صحيفه الآستاذة العربية التي ينشئها أحمد فارس الشدياق، وكان خلافهما واتفاقهما في المسائل الأدبية والباحث العلية خير ما في صحافة الشرق الأدنى خلال تلك الفترة من تاريخ الصحافة العربية، وكانت جريدة وادي النيل من أوفر صحف الشرق عنابة بالأعلان والتفنن فيه، ولها مثال طريف نشرته بمناسبة تجديد اشتراكها قالت « المرجو من انتهت مدة مرتبه من صحيفة وادي النيل لغاية شهر جمادى الأولى الجارى وهو يرغب في الاستمرار أن يعاد بما يفيد استمرار عادة ترتيبه قبل انقضاء مدة الشهر المذكور إذا لم يزل يرغب في نسخة هذه الصحيفة تردد عليه بالزيارة إلى حد الدار وبذلك لزم الأشعار على سبيل

(١) الواقع المصرية في ٢٣ ربيع الأول عام ١٢٨٤ هـ

(٢) راجي فيها قوله الصحف عنها ذيل العدد العاشر من وادي النيل (سبتمبر ١٨٦٧)

التذكار، وقد اختصت وادى النيل بمطبعة لنشرها وهي من أولى المطابع في مصر الحديثة

وكان نشاطها مضرب المثل إذ تولت طبع «جريدة أركان حرب الجيش المصري» وهي صحيفة رسمية كانت تصدرها الدولة لضباطها حافلة بأفضل البحوث والمواضيع التي ترفع من شأن أفكارهم وتفتق أدائهم<sup>(١)</sup>، كما قامت بطبع صحيفة «روضة الأخبار» لصاحبها محمد أنسى أفندي، كما طبعت عدة كتب في مختلف التواحي العلمية والأدبية والتاريخية

وكان الخديو اسماعيل شديد الرضا على وادى النيل يؤثرها بالمال ويعدها بالعون والأخبار ويعين لصاحبتها الراتب جزاء جهده في نشرها وقد حلست سنة ١٨٧٢ وفي ميزانية الدولة إعانة لـ وادى النيل وصاحبتها من حكومة الخديو قدرها ثمانية وعشرون ألف قرش<sup>(٢)</sup>، وأبو السعود لا يقتصر على وظيفته الرسمية ولا يرضي بالترجمة في الصحافة الرسمية الأدبية والعلمية والعسكرية وحدها، ولا ينقطع بجريدة وادى النيل بل يوحى إلى ابنه فيها بعد بإنشاء جريدة «روضة الأخبار» ويقوم هو بتحرير الجانب السياسي والإشراف على القسم الأدبي فيها

وكانت هذه الجريدة عملاً صحفياً عظيماً في من أولى الصحف التي صدرت في مصر أكثر من مرة في الأسبوع إذ كانت تصدر في أيام الأحد والثلاثاء والخميس، كجريدة «سياسية علمية أدبية زراعية مالية تجارية»، وهي وإن كانت في أخبارها صورة مطابقة للواقع الرسمي فقد جددت في صياغتها بأن وقفت جزءاً من صفحاتها على تعريب رواية مسلسلة، كما نشرت فصولاً متصلة من كتب

(١) راجع ذيل أعداد السنة الأولى من جريدة أركان حرب الجيش المصري ١٨٧٣ - ١٨٧٤

(٢) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٢١١ معية تركي في ٢ جادى الثانية ١٢٨٩ ويلاحظ أن مطبعة وادى النيل كانت في حي باب الشعرية حيث تحرر الجريدة ويقيم صاحبها.

القدماء والمحديثين ، وقد وقف عبدالله أبو السعود أفندي جزءاً من نشاطه على تغذية هذه الصحيفة شرعاً ونشرآ بجانب نشاطه الملاحوظ في تعريب فصول الأجانب للصحافة الرسمية غير ما أثر عنه من أعمال أدبية سواء كانت موضوعة أو مترجمة <sup>(١)</sup> وقد بقى صحيفينا في ميدان الصحافة حتى قضى وكتب في نشأة الصحافة الحرة في الشرق الأدنى عامه ومصر خاصة تارياً ينبع أن يبقى على مر الزمن .

ثم يتصل هذا النشاط الصحفي الشعبي بظهور شخصية تنظرم حاسة مصر وتتطلع في ثقة إلى مثل القرن التاسع عشر ، تلاته شخصية إبراهيم المويلحي الأديب الكاتب في عصر الخديو اسماعيل

والمويلحي شاب واسع الثراء تمثل أسرته أقدم البيوتات التجارية في مصر شغل حياته بالناحية السياسية وتفرغ لها ، ظن أن مظاهر الحياة الحرة التي يمثلها إسماعيل في مجلسه البرلماني وأساليبه الرسمية وأعماله العمرانية ، توحي بالنظر إلى الأمور نظرة حرة لا تحدوها أسوار ولا قيود ، فأنشأ — بالاشتراك مع عثمان جلال القصاص المعروف وصاحب التراجم المشهورة — مجلة « نزهة الأفكار » ، صحيفة سياسية أسبوعية وكانتا جديدين حقاً على الصحافة المعاصرة في سنة ١٨٦٩ ؛ فصدرت جريدةهما غربية عن الوسط الصحفي ، إذأن الصحافة الحرة بدأت في مصر ؛ لاهي شعبية ولا هي رسمية في جريدة وادى النيل ، ثم تخلصت من هذا المظهر الوسط وظهرت على سجيتها شعبية حرة في نزهة الأفكار ، وكان الخديو لا يقر هذا التطرف الذي تضمنته نزهة الأفكار ، ولا يتحمل هذا التجديد في الرأي والمعنى ، فهو يريد صحافة حرة ولكن إلى

(١) لأبي السعود أفندي عشرات الكتب منها « الدرس المام في التاريخ العام » طبع جزء منه سنة ١٨٧٢ وعرب « تاريخ مصر القديمة » ماريت باشا كا نشر ديواناً شعرياً وأرجوزة نظم بها سيرة محمد على واشترك مع رفاعة الطهطاوى وتلاميذه في ترجمة قانون نابليون وتولى هو وحسنه أفندي فهى تعريب قانون المرافقات — راجع في ذلك

حد ما ، وهذا شابان أغرتهم مظاهر التجديد الذى أخذ يدب فى الحياة المصرية ، فظننا أن لقليلهما حرية الكتابة على ما يهويان ، فعرضنا فى العدد الثانى من مجلتهما بالنقض للجيش وشئونه فصادرها الخديو بأيعاز من ناظر حر بيته ؛ وكانت أول صحيفة حررة ما كادت أن تولد حتى نزل بها القضاء

وهنا يفترق الصديقان ؛ يلتهى عثمان جلال إلى وظائف الحكومة ويختتمها بمنصب فى القضاء المختلط ، أما صحيفينا فيبقى فى الميدان السياسى لا يستطيع أن يملك صحيفة تعبر عن رأيه الحر وفكرة الجديدة ، وإن وسعته مجالس إسماعيل النيابية يمثل المعارضة ويحمل لواءها ، ولكنه لم يستقر على حال فى تجارة أو سياسة ، فقد أسس مطبعة باسمه ومضى ينشر فيها الكتب العلمية والأدبية القديمة والحديثة ، وهو فى سياسته العامة أثير الخديو وصديقه ، يتمتع بعطفه مواتيا أو معارضًا ، يلقى فى أعماله التجارية من تأييده ما يجرى له فرصة الغنى والثراء وتنسخ له فى وظائفه الحكومية وساطة الأمير فيجد فى هذه الوظائف متعة الشاب المدلل ، يجد أن صحيفينا كره النشاط فى ناحية واحدة فكان الفشل حليفه فى كثير من الأحيان . أفلست تجارةه ولم يفلح موظفًا فى الدولة أو صحيفاً فيها إلى أن انتهى عهد إسماعيل ، فصحبه صديقه المولى الحى إلى نايل حيث بدأ يجدد حياته الصحفية ويكتب صفحتها الرائعة فى تاريخه الطويل .

ولم يؤثر عن صحيفينا المولى الحى خصومة بينه وبين الخديو ، ولو لا دعاء السوء لأذن إسماعيل بتصور صحيفته بالرغم من المعانى الجديدة التى حملتها فى عدديها النادرين ، فالمولى الحى مضى يتمتع بعطف إسماعيل قريباً من حكومته أو بعيداً عنها ، وهى تقاليد دعمها إسماعيل ، فقد كان جد المولى الحى من أخلص الناس لمحمد على وبنته ، حفظ الخديو لهذه الأسرة موافقها وأبى أن يضم ييت المولى الحى ، فالرغم من انصراف ابراهيم المولى الحى إلى حرفة الأدب والصحافة وهي فى ذلك الوقت حرفة الفقراء والمعدمين ، فإن إسماعيل أخذ

يده حين أفلست تحاربه في مضاربة بالبورصة ، بل قرر ول المنعم ألا يدخل بيته أحد من السيدات إلا إذا كانت ملابسها من حرير المولحي وهي صناعة الأسرة من قديم الزمان ، ومضى إسماعيل يصله بالخير حتى استطاع المترجم أن يؤسس جمعية المعارف ثم ينشئ مطبعة باسمه سنة ١٢٨٥ هـ ساهمت في طبع كثير من المؤلفات النادرة وهو في كل ذلك أثير الخديو قريب إلى قلبه <sup>١١١</sup> . ثم انتقل الخديو إسماعيل إلى إيطاليا في سنة ١٨٧٩ فصحبه إبراهيم المولحي كاتما لسره ومؤنسا له في وحده ، بل تولى وظيفة الداعي لأعماله وأحلامه عند الملوك ولدى السلطان واتخذ من الصحافة وسيلة لخططه ، وكانت كل صحيفة تصدر عنه توحى بها الحاجة أو الظرف المناسب ، فإذا اتهى الظرف أو بلغ حاجته وقف عن صدورها أو أعلن احتجاجها إلى حين ، ومن بين هذه الصحف صحيفة « الخلافة » ، التي أنشأها في نابولي باللغتين العربية والتركية ، متذمرا فيها بالسلطان عبد الحميد الثاني لأنه وافق الدول الأوروبية على خلع إسماعيل ثم أخذ ينشر فيها فسورة العروبة في الخلافة وأحقية مصر فيها وظلم الأتراك في الاستحواذ عليها ، وهزت هذه الصحيفة جوانب الاطمئنان في عاصمة الخليفة ، وحاول السلطان القضاء عليها بالوسائل السياسية العليا ثم وجد أخيراً في ذهبها خير علاج لهذه الملمة ، وتم له ما أراد فتوقفت الخلافة عن الصدور ، ثم نزح إلى باريس وتولى إصدار صحف عدة منها صحف الاتحاد والأنباء والرجاء؛ وكلها تدعو لإسماعيل وتمجد أعماله ، يد أنها صحف لا تغري قارئاً يعاصر ظروف الخديو أو يعرف الصلات التي كانت بين الكاتب والأمير ، فاحتاجبت كلها بعد عدد أو عددين ، ووجد صحفيينا أخيراً في عاصمة الفرنسيين الألغاني والشيخ محمد عبده يصدران صحيفة « العروبة الوئى » وهي من خيرة الصحف الشرقية في أوروبا فساهم فيها مساهمة الهواة العابرين .

ثم ينتقل كاتبنا إلى الآستانة ويقضي فيها عدة أعوام ، ويعين في بعض وظائف السلطنة الكبرى تقديرًا لمكانته الأدبية واعترافاً بخدماته للسلطان في مصر وأوروبا ، وفي الآستانة اختلط الأدب الصحفي برجالات السياسة التركية وأوساط القنصل والسفراء ودرس عن كثب وسائلهم جميعاً ، ثم عاد إلى القاهرة ، وأنشأ صحيفته الأسبوعية « مصباح الشرق » وهي من الصحف الممتازة التي تمثل وجهة نظر الخديو والسلطان ، ومضت المصباح ناقدة السياسة العامة في أسلوب رصين وعبارة سخية ونكتة لاذعة وبيان هو غاية ما يرجوه الصحفي في الإنشاء والتحرير ، وانتهى صحيفينا كما بدأ ، كان في نشأته أول صحفي سياسي في مصر ، ثم انتهى تاريخه في سنة ١٩٠٦ علياً من أعلامها المنشئين لها المجددين في نواحيها العاملين على توكيدها سلطانها وخطرها وإن صحبه الفشل في رسالته وكبا به الزمن مرات ومرات

# آل تقلا

يرتبط تاريخ آل تقلا «سلمي وبشارة وجبرائيل»، بتاريخ الأهرام، ويرتبط تاريخ (الأهرام) بما كانت عليه الحال في مصر، يوم فسخ أصحاب الأهرام في إصداراتها، فقد كانت الصحافة الحرة في مصر، صحافة لا هي شعبية ولا هي رسمية، وهذه الصحافة على قلتها كانت تمثل الرأي العام المصري كما كان يمثله مجلس شورى النواب، هي صحافة موالية، يدها ممدودة إلى منح الخديو إسماعيل وتصدر هادئة الطبيع معتمدة المزاج فكان عطفه عليها سابقاً واحتفاؤه بها ملحوظاً وحديبه على محررها ومصدرها مضرب الأمثال.

وقد كان للخديو إسماعيل أبلغ الأثر في نهضتها، ومساعداته الأدبية والمادية للتأمين عليها غير منكرة، وقد فتح صدره وصدر بلاده للصحفيين الشاميين، فأقبل هؤلاء على اصطناع القلم واتخذوا الصحافة حرفة لهم حتى كان أكثر أصحاب الصحف في عهده من أهل الشام والبلاد المجاورة لها، وقد جذبهم — إلى جانب صلات الأمير — هذا المتناع الفكري الذي كان يحياه المصريون، فكانت الحرية — حرية القول والكتابة — قد عزت في بلاد الدولة العثمانية جميعاً حيث ضغطت الحكومة التركية وولاتها على حرية المطبوعات، وكان الأدباء والأحرار يعاقبون على الهمس أو الإشارة بينما كانت مصر دون بلاد السلطنة جميعاً تتمتع بحرية منقطعة النظير إذا قبضت سوريا ولبنان، وقد سمحت الحياة الفكرية بوجود صحافة تقرأ لأن النهضة المصرية كانت أوسع مدى مما عليه بلاد الشرق جميعاً، وظروف الحياة المصرية بخديوها وأزماتها واضطراب الأفكار بكل جديد في شتى ميادين

الحياة ، كل أولئك جعل مصر تتحتمل في سعة آداباً وصحفاً وسياسة ، وقد فرضت شخصيتها المعنوية المتميزة وجودها على الدولة العلية مستمدـة هذا الوجود من تاريخ حافـل وذكريـات يحسب لهاـ في مقوـمات الشـعرـب الفـحساب

أغـرت هذه الحياة السـمـحة الطـلقـة الغـنـية كـثـيرـين من أحـرارـ العـربـ علىـ أنـ يـنـزلـواـ بـيـنـ المـصـرـيـنـ أـهـلاـ ، وأـذـنـتـ لهمـ هـذـهـ الحـيـاةـ المـوـفـورـةـ أـنـ يـدـلـواـ بـدـلـوـهـمـ فـيـ مـخـلـفـ أـوـجـهـ النـشـاطـ المـخـلـفـةـ ، فـكـانـ مـنـهـمـ المـمـثـلـونـ وـالـأـدـبـاءـ وـالـصـحـفـيـونـ ، وـكـانـ فـيـ مـقـدـمةـ الصـحـفـيـينـ الـذـيـنـ شـغـفـهـمـ وـادـىـ النـيلـ بـأـمـيـرـهـ وـنـاسـهـ سـلـيمـ وـبـشـارـهـ تقـلاـ .

وـهـماـ صـحـفـيـانـ بـالـطـبـيعـ وـالـسـلـيقـةـ ، وـكـاتـبـانـ بـالـدـرـسـ وـالـمـرـاثـةـ ، اـسـتـطـاعـاـ فـيـ وقتـ قـصـيرـ أـنـ يـسـجـلـ تـارـيخـاـ حـافـلـاـ فـيـ الصـحـافـةـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ جـريـدـتـهـماـ «ـالـأـهـرـامـ»ـ الصـحـيفـةـ المـثـلـىـ فـيـ الصـحـافـةـ الـعـرـبـيـةـ وـالـجـريـدـةـ الـكـبـرـىـ فـيـ العـالـمـ الـعـرـبـيـ ، وـأـقـدـمـ دورـيـةـ سـيـاسـيـةـ فـيـ الشـرـقـ بـقـيـتـ عـلـىـ الزـمـنـ وـتـخـطـتـ أـحـدـاـتـ الـحـيـاةـ وـقـطـعـتـ مـنـ عمرـهـ ثـلـاثـةـ وـسـيـعـيـنـ عـامـاـ ، فـيـ دـيـسـمـبـرـ سـنـةـ ١٨٧٥ـ تـقـدـمـ «ـالـخـواـجـهـ سـلـيمـ تقـلاـ»ـ كـمـاـ يـسـمـيـهـ التـرـخيـصـ يـأـشـاءـ الـجـريـدـةـ ، تـقـدـمـ إـلـىـ نـظـارـةـ الـخـارـجـيـةـ الـمـصـرـيـةـ يـلـتـمـسـ كـمـاـ يـنـصـ رـدـ الـحـيـوـمـةـ ، التـصـرـيـحـ إـلـيـهـ يـأـشـاءـ مـطـبـعـةـ تـسـمـاـ الـأـهـرـامـ !ـ كـائـنـهـ بـجـهـةـ الـمـنـشـيـةـ بـالـاسـكـنـدـرـيـةـ يـطـبـعـ فـيـهـ جـريـدـةـ تـسـمـاـ الـأـهـرـامـ تـشـتـمـلـ عـلـىـ التـلـفـرـاـفـاتـ وـالـمـوـادـ الـتـجـارـيـةـ وـالـعـلـيـةـ وـالـزـرـاعـيـةـ وـالـمـجـلـيـةـ وـكـذـاـ بـعـضـ كـتـبـ كـمـقـاـمـاتـ الـحـرـيرـىـ !ـ وـبعـضـ مـاـ يـتـعـلـقـ بـالـصـرـفـ وـالـنـحـوـ وـالـلـغـةـ وـالـطـبـ وـالـرـياـضـيـاتـ وـالـأـشـيـاءـ الـتـارـيخـيـةـ وـالـحـكـمـةـ وـالـنـوـادـرـ وـالـأـشـعـارـ ، وـالـقـصـصـ الـأـدـبـيـةـ وـمـاـ يـمـائـلـ ذـلـكـ مـنـ الـأـشـيـاءـ الـجـائـيـنـ طـبـعـهـ ، وـوـافـقـتـ الـخـارـجـيـةـ (١)ـ عـلـىـ إـنـشـاءـ مـطـبـعـةـ وـالـصـحـيفـةـ وـعـلـقـتـ موـافـقـتهاـ عـلـىـ شـرـطـ ذـكـرـهـ هوـ أـلـاـ يـتـدـاـخـلـ صـاحـبـهاـ «ـمـطلـقاـ فـيـ الـمـوـادـ الـبـولـيـقـيـةـ وـأـمـتـالـهـ لـقـانـونـ الـمـطـبـوعـاتـ»ـ ثـمـ صـدرـ أـمـرـ لـحـافـظـ الـاسـكـنـدـرـيـةـ

(١) كانت أمور الصحافة إلى ذلك الوقت تابعة لمكتب الصحافة بنظارة الخارجية .

<sup>(١)</sup> بعدم المعارضه للخواجه المذكور في إنشاء المطبعة المحكى عنها، ١

وصدر الترخيص بالأهرام في اليوم الأخير من ديسمبر سنة ١٨٧٥ لرئيس تحريرها سليم تقلا ، يعاونه في النواحي الأدارية شقيقه بشارة وهما شابان لبنانيان ، كان سليم أظهرهما في التحرير والأشاء ، له صلات طيبة بأدباء بلده ، وله حس أدبي أثر عنه في كتاب ألغمه عن النحو والصرف ، وبعض القصائد الوصفية ، والمقالات الأدبية والاجتماعية في صحفه المختلفة

أصدر سليم (الأهرام) أسبوعية ثم أنشأ جريدة «صدى الأهرام» في ٩ ديسمبر سنة ١٨٧٦ يومية وطبع منها عددة آلاف أرسلها إلى الأعيان رجاء الاشتراك فيها فرددت جميعاً، ومع ذلك مضت الأهرام صحفته الأسبوعية وصدى الأهرام صحفته اليومية، وقد اختلف محرر الأهرام مع خديو مصر فسجنه وأغلق صحفته وصادر مطبعته، ثم شفع فيه عنده فأفرج عنه وعن صحفتيه فأضاف اليهما صحفة جديدة سماها «الوقت»، وأخيراً استقر بالآهرام عن صحفه جميعاً ووقف عليها نشاطه وجهده، وكان سليم على صلات طيبة بتوقيق ولـي العهد فإذا تولى صديقه الأربعـة الخديوية كان هو وشقيقـه في خدمته حتى شبـت الثورة العـراـية. فـوقـطاـ إلى جانب الخـديـو، فأحرقت مطبـعـتهاـماـ فيـ الأـسكنـدرـيـةـ بماـ كانـ فيهاـ منـ وـرقـ وـحـبـرـ وـكـتبـ وـآـلـاتـ، فـاضـطـرـاـ إـلـىـ النـزـوحـ إـلـىـ الشـامـ حـيـثـ بـقـيـاـ فـقـرـةـ الـثـورـةـ بـعـيـدـينـ عـنـ مـصـرـ وـنـشـاطـهـ الصـحـفـيـ، فـإـذـاـ تـمـ اـحـتـلـالـ الإـنـجـليـزـ لـوـادـيـ النـيلـ، عـادـ الشـقـيقـيـانـ إـلـىـ عـلـمـهـماـ الصـحـفـيـ وأـعـادـاـ نـسـرـ الأـهـرـامـ، ثـمـ قـضـىـ لـهـماـ قـوـمـسـيـونـ التـعـزـيـضـاتـ الدـولـيـةـ المـصـرـيـةـ المـنـعـدـ بـالـأـسـكـنـدـرـيـةـ فـيـ يـوـليـهـ ١٨٨٣ـ بـمـلـغـ مـائـةـ وـتـسـعـينـ أـلـفـ فـرنـكـ تـعـوـيـضاـ عـنـ الـخـسـارـ الـلـهـ لـقـطـعـهـماـ خـلـالـ الـثـورـةـ العـراـيةـ (٢)

(١) محفوظات وزارة الداخلية - قلم المحفوظات ٩٤٦-٢-١١ الجزء الأول .

(٢) راجم الواقع المصرية في ٢٠ أغسطس ١٨٨٣

وسلم تقلاداً مثال رائع للصحفى الذى يهى فى عمله ، فقد كان يقضى أيامه فى الجريدة ، يعاون العمال فى صف الحروف ويعلم المهدئين منهم وظيفتهم الجديدة فى المطبعة ، ويكتب المقالات ، ثم يعود فى صوغ الأخبار وينقلها من أسلوب الخبرين التافه المرذول إلى أسلوب عربى صحيح ، ثم يتولى كتابة أسماء المشتركين ، ولم يوشأه انصراف القراء عنها حيناً بعد حين ، وأخذ يعالج نصها باستكتاب الكتاب المشهورين من أمثال الأستاذ الشيخ محمد عبد الكاتب المعروف ، كما استطاع أن ينال تأييد الفنصلية الفرنسية كلما اشتدت به الأمور أو نزلت به ضائقة الإرهاب

ويبدو سليم صحيفياً بارعاً في هذا التنظيم الرائع لصحيفته، فهي في صدر الصحف الشرقية عنابة بالبرقيات الخارجية ، وهى برقيات روتر وهافاس ، وصحيف أن صحافة ذلك العهد عنيت جمياً بهذه البرقيات غير أن الأهرام انفرد بالفن الصحفي فكانت للبرقيات مكانة الصدارة في الأهرام ؛ وليس كل البرقيات جديرة بالنشر ، لذلك كانت برقيات الأهرام النخبة المنتقدة بين برقيات الصحف جميعاً، ويعود ذلك إلى فهم صاحب الجريدة للسياسة الخارجية فهماً سمع للأهرام دون غيرها أن تنشر في كل عدد منها بحثاً عن السياسة الخارجية سواء أتصل هذا البحث بمصر أو تركيا أو بآزمات أوروبا ومشاكلها في ذلك العهد ، وصاحب الأهرام لا يختار زميلات صحيفته في العنابة بالزخرف اللفظي أو الصور البيانية ، بل اختار لصحفه لغة الصحف ، وهي لغة صحيحة في عبارة واضحة ، حالية من السجع آفة الأدب والصحافة في عهد اسماعيل .

ولما صدرت الأهرام يومية في سنة ١٨٨١ أذاع فيها سليم تقلاداً دستورها الجديد ، ولعله لا يزال معهولاً به في أهرامنا الحديثة ، قال إنه سيرفع من ألفاظها ما كانت تنعت به الموظفين كقولها « الوطنى التزيم - الهمام - النيه »

الوجيه ، وما إلى ذلك من ألفاظ التقرير والإنكشار ، وستكتفى بالرتب الرئيسية مثل « عز تلو ورفعتلو » كما أنها ستعنى بذلك أبناء الذاهبين والعائدین من ركب الدرجة الأولى والثانية في القطر الحديدي دون ذكر ألقابهم ، وأن الأسماء التي سيكون لها حظ الذكر عندها هي أسماء الباشوات والقناصل « والفيض قناصل » على حد تعبيرها كما أخذت على نفسها عهداً بآلا تكتب مقالاً في مدح إنسان ولا تنشيء آخر في ذم أحد

ثم فرسليم أن يلحق بذيل الصحيفة ترجمة طيبة لناحية من نواحي الأدب الرفيع في الترجم والقصص ، ثم مضى يعيد نشر هذا في كتب تصدر عن الأهرام وتتابع للناس ، فساهم بتعريفه الكتب ونشرها في إذاعة لون من الثقافة العامة كانت مصر وبلاد الشرق العربي في أشد الحاجة إليه ، وكانت الأهرام إذ ذاك أوسع الصحف المصرية انتشاراً في البلاد الشرقية من حدود الهند إلى مشارف الأطلنطي

وتمتاز سياسة محرر الأهرام سليم تقلا بالاعتدال في المسائل السياسية الداخلية ، ولم يعنف إلا في فترة الثورة العرابية وفي أعقابها ، ولم تتول الأهرام المعارضة العنيفة في مصر غير مدة قصيرة بين ١٨٨٤ و ١٨٩٤ ثم عادت إلى سياستها المعتدلة التي نشأها عليها صاحبها سليم ، غير أن صحفينا عنى بجانب البرقيات والدراسات السياسية بمناقشة المسائل الاقتصادية مناقشة الخبير العالم بأصول الاقتصاد ، وخصص يوماً من أيام الأهرام لمراجعة النشاط الاقتصادي في مصر ومعالجة الأمور المالية معالجة قدّمت محررها في هذه الناحية على جميع محرري عصره ، ثم أفرد المحرر جزءاً من صحيفة اليومية منذ نشأت الأهرام لنشر أنباء الشرق الأدنى ، وشرح مختلف نشاطه على الأعلى والأدنى والسياسي ، ولم تكن هذه السياسة الصحفية وقفاً على الأهرام وحدها بل أنها كانت سياسة مؤسسة آل تقلا في صحفها « الأهرام وصدى الأهرام » والوقت والحال ، على التوالي

هذا هو نصيب سليم تقللا في المؤسسة الصحفية التي أنشأها هو وشقيقه ، غير أن سليمًا هذا الذي عودناه بحوث الرائعة في السياسة الدولية والاقتصاد المحلي والخارجي لم يقتصر على الجانب الصحفي في حياته ، فهو مفتاح بحسبه ونشأته فقد كان من فتيان لبنان الذين تلقنوا على الشيخ نصيف اليازجي وصاحبه ردها من الزمن ، وله في النثر الفنى بعض الآثار الطيبة كما له قصائد في مدح الخديو إسماعيل نال بها عنون المادى وتأييده الأدبى فى توزيع الأهرام ونشرها فى بيئات الموظفين ، وهو القائل في الأساطيل الحرية

تلك الأساطيل فوق العمر سابحة والنصر منها كسهل وهي كالقليل  
دانت هببها الأنواء خاضعة فحيثما قصدت حللت بلا مهل  
وله في الدعاية شعر لطيف قال بعضه في التدخين

عذل التدخين قوم قد رأوا يدى سيكاره أعشقاها  
قال دعواها فهى سم ناقع قلت لا والله لا أعتقها  
إن تكون سيا فاني محرق شرها بالنار إذ أحرقها  
وعليه فاعذلوه أو فاعذروه فعل الحالين لا أطلقها

ثم له نثر رقيق غير ما ذكر عنه من بيان في الأهرام ، كان في معظمها رسائل ونبذ تاريجية وروايات معربة لم تطبع ، ومن أمثلة نثره الجميل تهنته لصديق برتبة أربعين به عليها قال فيها « السيد السنند أطال الله بقامه . لا أدري أى الثلاثة أهنىء ، لم ياك أم الرتبة أم نفسى ، أما أنت فبتساميك وإن كنت فوق مانلت ، وأما الرتبة فبشر فيها لأنها دون من سمعت إليه ، وأما أنا فلا تفلى أول خلص لك ودك »<sup>(١)</sup>

صاحب هذا الحس الأدبى لم يقصر نشاطه على المجهود السياسي أو الاقتصادي بل فكر في نشر مجلة أدبية علمية تصاحب المقططف وتسد فراغا كان المصريون

في حاجة إليه فقرر في سنة ١٨٧٨ نشر صحيفة علمية تسمى «المنارة» وحيث الفكرة جريدة «الوطن» المعاصرة، بقولها «قد سرنا ما يبلغنا من أن صاحب جريدة الأهرام قصد أن ينشر جريدة علمية تسمى المنارة فنهى حضرته على هذا المشروع الحسن»<sup>(١)</sup> وأعد أدباء مصر والشرق عدتهم لاستقبالها والمساهمة في تحريرها إلا أن الحوادث لم تواف صاحبها بتحقيق هذا المشروع فانصرف عنه إلى نشر بعض المقالات الاجتماعية في الأهرام وملحقاتها من قلمه أو من قلم أدباء الجيل.

وقد يق سهم شقيقه بشارة محبوباً عن قارئه صحفة الأهرام ردحاً من الزمن، ثم طلع علينا بشارة سنة ١٨٨٢ بأحاديث سياسية أخذ يراسل بها الأهرام من باريس وغيرها من عواصم الدول الأوربية الكبرى، وهي أحاديث نالها صاحبها من رؤساء الحكومات أو وزراء خارجيتهما عن السياسة المصرية ومشاكلها، وكان هذا حدثاً في عالم الصحافة الشرقية جائعاً، لأن فكرة الأحاديث من هذا اللون لم تكن معروفة إلا في صحافة أوروبا، لذلك لم يجد بشارة أساساً أو ضيقاً في الحصول على آراء ساسة العصر الأوروبيين في شئون بلاده، واستكملت الأهرام بذلك نقصاً في الصحافة المصرية وسدت فراغاً كان ملحوظاً، ومنذ ظهرت هذه الأحاديث السياسية أخذ نجم بشارة يسأى نجم شقيقه سليم، بل أن بشارة يعود إليه الفضل وحده حين عرفت الأهرام في تجديدها الحديث يوم نقلت من الإسكندرية إلى القاهرة وخلفت وراءها مطابعها القديمة واستقبلتها القراء صادرة عن مطابعها الحديثة التي كانت تنافس مطابع أعظم الصحف الغربية، ثم أخذت تأتى بكل جديد أمدتها به بشارة بعد أخيه، فقد استقل بشارة باشا بأمورها وكبر في عهده حجمه ثم أصدر في الإسكندرية (صدى الأهرام) لتسد الفراغ الذي تركه نقل الأهرام

---

(١) الوطن . العدد ١٥ في سنة ١٨٧٨

إلى القاهرة ، ثم أنشأ في العاصمة صحيفة باللغة الفرنسية اسمها Pyramides حتى يقف الأجانب في مصر وخارجها على الحياة المصرية التي تعبّر عنها جريدة الأهرام العربية للناطقين بالضاد في كل مكان<sup>(١)</sup> .

ولا تزال الأهرام تستوحى صاحبها المؤسسين كلما رانت إلى جديد أو أحسست حاجة إلى تجديد ، وكان ذلك الإحساس واضحاً جداً في خلفيّهما جبرائيل تقلال الذي دعّته الصحافة المعاصرة منذ أعوام .

ويعتبر جبرائيل تقلال في مقدمة الصحفيين الذين نقلوا الصحافة المصرية من جيل إلى جيل ، فقد نشأ في أحضان والده وعمه صحفيّاً بطبعه ، فإذا قضى الآب والعم قامت على تلذّته أم رعت «الأهرام» كما كان يرعاها صاحبها ، فبعثت بولدها إلى أوروبا يدرس ويتعلم ، ثم إذا عاد قضى النهار وزلفاً من الليل في المؤسسة الصحفية تحت إرشاد أمّه وتوجيهها ، ثم توّل بنفسه العمل وأعفّها من مشاكله ، فكان أول ما صنعه الرجل أن فكر في التحرير وقام فيه ثورة ، هي ثورة لم يشهد لها مثيلاً لأى جيل صحفى سابق ؛ فقد كان المقال والتعليق عليه أهم ما تعنى به الصحافة المعاصرة ، فرأى أن يقدم عليه الخبر وعين المخبرين للجريدة في سنة ١٩١٢ ، وتنحى المقال عن مكانه وتقدم الخبر عليه ، ولم يكن ذلك شيئاً جديداً على صحفة مصر وحدها ، بل كان شيئاً جديداً على كثير من صحف الغرب أيضاً .

ثم ثار الرجل مرة أخرى على أصول الطبع فاستغنى عن المطابع القديمة وغيرها بأخرى جديدة من مطابع «اللينوتيب» ، وزاد صفحات الجريدة حتى بلغت في عهده أحياناً عشرين صفحة ، وكان أول من جعل الحوادث مصورة وشغل معظم الصفحات بالصور ، وأقام المراسلين في الخارج يواليون الأهرام بالأخبار والحوادث إلى جانب بيوت البرق الأخرى ، فتميز عن

معاصريه بهذا الميدى الذى لم يعرف فى صحافة مصر حتى جعله جبرائيل تقللاً أصلاً من الأصول الصحفية ، ثم كانت له ميزة قليلة في الرجال ، هي حسن اختيار الرجال ! فقد انتزع من يثأت المال والأدب كثيرين من ساهموا في الصحافة عن طريق الأهرام، ويزوا غيرهم وتقديموا الصحف، وفي الصدارة داود بركات وأنطون الجيل ، إلى جانب كثير من الشبان الذين اصطنعوا الصحافة منهـة لهم بلغوا أعلى مراتبها في مصر .

ثالث الثلاثة من آل تقللا قد استطاع في الفترة التي رعى شؤون الأهرام فيها أن يحدد ويخلق ويكتـرـ مثلـا صـنـعـ أبوـهـ وـعـمـهـ ، وـضـربـ بـذـاكـ أـحـسـنـ الـأـمـلـةـ لـغـيرـهـ منـ الصـحـفـيـنـ حتـىـ أـضـحـتـ الصـحـافـةـ المـصـرـيـةـ بـمـثـلـهـ وـجـهـوـهـ فـيـ مـقـدـمةـ صـحـافـةـ الـعـالـمـ ، ولـنـ يـكـتـبـ لـصـحـافـةـ مصرـ تـارـيخـ حتـىـ يـكـونـ لـجـبـرـائـيلـ تـقـلـلاـ المـكـانـ الـأـوـلـ بـيـنـ أـعـلامـهـ الكـبـارـ .

# أديب إسحق

ولد أديب إسحق في دمشق سنة ١٨٥٦ وتلقى في الشام دراسته الأولى حيث تعلم اللغتين العربية والفرنسية، ثم جدت عليه ظروف قاسية، واستلزمته رقة حال الأسرة التي كان يعولها أن يعمل موظفاً في الجمرك وهو في دور المراهقة؛ ثم أخذت حياته تتطور من ضيق إلى ضيق حتى قضت أمور العيش أن يطوف بيروت ويقضى فيها رحماً من الزمن، وصل في أثناء نفسه بأدبائها، ولقى منهم وينهم خيراً وعلماً وحدبا على شبابه اليافع وتفكيره المعقول ومزاجه الأدبي.

وشفعته حياة الشعر والأدب وهو أديب باسمه وطبعه، وكان يميل إلى الأعمال الصحفية فتولى تحرير جريدة « ثمرات الفنون » وهي من أهمات صحف بيروت وكانت تديرها شركة ساهم فيها عيون الأدباء في لبنان، تم انصرف عنها إلى شقيقتها « التقدم البيروتية » يوليه من نشاطه وفضله شيئاً موفراً، وله في « ثمرات الفنون والتقدم » فصول ممتعة وقصائد من روائع الشعر، وشغل نفسه بالعمل الصحفي ووظف قلمه بجانب الصحافة في التأليف فأنشأ كتاباً سماه « نزهة الأحداث في مصارع العشاق »، ويتاز في كتابه هذا وفي فصوله السابقة الذكر أنه كان جديداً في هذا الميدان، له أسلوب لم يعتد به معاصره لافي سوريا ولا في مصر، وكان لنشاطه الأدبي أثر ظاهر في الحياة الأدبية في الشام قربه إلى أدبائها ووضعه من نفوسيم موضع التكريم، واتصل آخر الأمر بجمعية زهرة الأدب وأصبح فيها من الأعضاء المبرزين، وقدره رئيسها البستانى حق قدره؛ حتى إذا أقبلت سنة ١٨٧٥ عمل مع جماعة من الأدباء في تصنيف مؤلف كبير سموه « آثار الأدهار »<sup>(١)</sup>.

(١) فيليب دي طرازى . تاريخ الصحافة العربية - ٢ ص ١٠٥ - ١٠٨

ثم انتقل إلى الإسكندرية في سنة ١٨٧٦ إذ كانت البلاد المصرية في ذلك الوقت تعيش في موجة تقدير وإعجاب من الشرق الأدنى، وكان خديوها إسماعيل يشجع نهضتها الأدبية بماله وعطافه، ويدعوها برعايته وحديبه، فأقبل الرجل على هذا المورد بكلياته، فوجد زميلا له هو سليم نقاش يقوم بفن التمثيل العربي، وهو فن ولد في حياة المصريين، فقام معه بتمثيل الروايات في حضرة إسماعيل، وكان نشاطه في هذا الفن ملحوظاً إذ أمد المسرح بالروايات تأليفاً وترجمة، ومن الروايات التي عرّبها (أندروماك) عن راسين ثم عاد فترجمها مرة أخرى، ونظم في خلال سطورها أبياتاً جديدة من الشعر الرائق، ونشر هذا في كتاب له سماه « الدرر » مع رواية أخرى بعنوان « شارلمان » التي ترجمها في الإسكندرية وأعجب بها المصريون بإعجاباً منقطع النظير<sup>(١)</sup>.

ثم سمع أديب بهذا النشاط الفكري الذي ملأ به جمال الدين الأفغاني جو القاهرة فقصدها سعياً وراء هذا النشاط فاتصل بجمال الدين وتلمذ عليه وقرأ في راحبه كثيراً من الأدب والفلسفة العقلية والمنطق، وتوثقت الصلات بينهما فاقتصرت عليه الأفغاني أن يصدر جريدة عربية وكان العهد بالجهد الصحفى حديثاً، فأعجبته الفكرة وأصدر جريدة « مصر » صحيفة أسبوعية ثم نقلها إلى الإسكندرية حيث استقبلها السكندريون من حبين بالإقبال عليها مشجعين بالاشتراك فيها، وقد ساهم معه في تحريرها سليم نقاش<sup>(٢)</sup>.

وقد امتازت جريدة مصر عن زميلاتها بأنها كانت ميداناً طيباً لاظهار كتاب العصر، وفيها صال جمال الدين الأفغاني وجال، ومهر مقالاته يامضائه ولم يكن جمال الدين وحده يكتب فيها بل أن أصدقاءه وتلامذته كالشيخ محمد عبد كستيوفاً فيها؛ ومن على صفحاتها عرفهم الجمهور المصرى واتصل ودهم<sup>(٣)</sup>

(١) صبرى . La Genese de L, Esprit National Egptien من ١٢٨

(٢) مشاهير الشرق ٢ من ٧٠

(٣) صبرى المرجع السابق من ١٢٨

والأصل في إصدار جريدة « مصر » الظروف السياسية المحيطة بها ، فقد قامت قبيل ظهورها حرب بين مصر وتركيا ، وقفت أوروبا فيها إلى جانب روسيا ووقفت البلاد العربية والإسلامية إلى جانب السلطان ، وجاءت الصحف إلى مصر من الغرب حاملة أنباء الحرب وموقع القتال بين الفريقين المتحاربين ، وكان المصريون متطلعين إلى الحرب وحوادثها مترقبين نتيجتها ، فقد شاركوا فيها بالمال والرجال ، وكان الأجانب في مصر يقصون على المواطنين المصريين أنباء الحرب تلقاء عما جاءتهم به صحف أوروبا ، فرأى كثير من خيرة المصريين إنشاء الصحف الشعبية لإرواء ظمآن الجمود وإشباع رغبته برواية حديث القتال ، وانقسم الصحفيون المصريون قسمين ، قسم مال إلى الروس بحكم الدين أو الخصومة السياسية مع السلطان أو إعجاباً بالمبادئ التي كانت تحارب من أجلها روسيا ، وهي الدفاع عن حریات الولايات العثمانية في أوروبا الشرقية ، وترى هذا الفريق ميخائيل عبدالسيد صاحب جريدة « الوطن » التي نشأت في أعقاب هذه الحرب ، ومثل الفريق الثاني ، أي فريق السلطان ولكن في اعتدال صحفينا أديب إسحق في جريدة مصر التي أنشأها راوية لحوادث الحرب مع ميل ظاهر ملحوظ إلى جانب الآخر (١).

وفي خلال ذلك النشاط الصحفي رأى أديب أن حياة البلاد التجارية ونشاط البورصة والمحيط التجارى تنقصه عناية الصحف فأراد أن يخدم هذه النواحي بصحيفة تخصص لها ، فأصدر جريدة « التجارة » في سنة ١٨٧٨ وهي جريدة يومية احتفظت بصبغتها التجارية فترة من الزمن ، ثم مالت إلى الجدل السياسي كزميلتها مصر ، واشتد جدالهما مع الحكومة ، فأصدرت أمراً بإغلاقهما

---

(١) لدراسة هذه الساحة من التاريخ الصحفى المصرى راجع « تطور الصحافة للصرفة » للمؤلف وتأريخ الاستاذ الامام الجزء الأول .

لأنهما تجاوزتا المفهوم في ذلك الزمان<sup>(١)</sup> ومن ثم فكر الوطنيون المصريون وعلى رأسهم شريف باشا في نقل كفاحهم السياسي من مصر وكافوا أدبياً ليكون رسولهم ولسانهم في خارج البلاد، فاتجه إلى باريس وهي مقصد كل كاتب حر في ذلك الوقت، وهناك أسس مجلة سياسية شهرية سماها « مصر القاهرة »، « يعلن أعمال الغاصبين الذين يسمون حكامًا ، ولإحياء كتلة شرقية وليفتح العيون في غير تمويهه، على فعال الدكتاتوريين في مصر » الذين يستغلون أموالهم — يقصد أموال المصريين — وتنبه لصالح الأجانب».

وفي باريس لم يكن الرجل صحفيًا يحدد نشاطه القاهرى فحسب ، بل أخذ يتصل بالبيئات الأدبية والعلمية والسياسية ، وقد تعرف على كثير من الفرنسيين ووصل حباه بحبائهم ، ثم استقبل عهداً صحفيًا جديداً بنشر المقالات في شتى الصحف الباريسية عن السياسة المصرية ، ثم عكف على المكتبة الأهلية بباريس، وأخذ يطالع فيها شتى الكتب في الأدب والاجتماع وفي خلال هذا الاعتكاف العلى مضى ينشئ كتاباً سماه « ترجم مصر في هذا العصر » غير أن هذا الكتاب الذي سهر على إنشائه فترة من الزمن ضاع ضمن ما ضاع من كتبه<sup>(٢)</sup>.

وفي نهاية سنة ١٨٨١ أخذت الظروف المصرية الداخلية تتطور ، وبدأ حزب الوطنيين المصريين يشتد ويقوى ، وأصبح للعرابيين نفوذ ملحوظ في دوائر الحكومة فاستطاع أديب أن يعود إلى مصر ، وأن تختتمله وظائف الدولة فعين ناظراً لقلم الإنشاء والترجمة بنظارة المعارف، وسمحت له السلطات الحكومية بإصدار جريدة « مصر » على شكل كراسة صغيرة ، وقد اشترك معه شقيقه الذي تخصص لإدارتها ، ثم قامت الثورة العرابية وأخذت

(١) مشاهير الشرق ج ٢ ص ٧٠

(٢) فيليب دي طرازي ، تاريخ الصحافة العربية ج ٢ ص ١٠٥ — ١٠٨

الأمور المصرية تضطرب اضطراباً شديداً ، فهاجر فيمن هاجر إلى بيروت ثم عاد إلى الديار المصرية فيما بعد ، وأخذ ينتقل بين مصر والشام إلى أن وافاه أجله وهو في ريعان الشباب .

هذا عرض موجز لتأريخ أديب أنسق أما أديب كرجل وثيق الصلة بالفن الصحفى فقد ظهر ذلك واضحًا في جرائد ، إذ كانت صحفته ( مصر ) في مقدمة الصحف السياسية من حيث نضج التفكير وسلامة التعبير ، شغل كل عدد منها بمقابل في السياسة الداخلية أو الخارجية ، ونشر فيها على التوالي رواية فرنسيّة معربة وعرض فيها المعانى الأوروبيين وأسلوبهم في تناول الحياة ، وقصر صفحة منها للعناية بشئون بلد شرق ، وتوزعت الأخبار الداخلية في بقية صفحاتها ، أما البرقيات فكانت قليلة جداً بالقياس إلى زميلاتها المعاصرات وكانت مصر في إيجاز لساناً للمتطرفين المصريين وعنواناً للكفاح من أجل الديموقراطية وحربيات البلدان الشرقية ، كما تميزت بأنها كانت على رأس الصحف الوطنية في عهد اسماعيل ، وقد تفردت بنضج تفكير محررها السياسي واستواهه بالقياس إلى غيره من الصحفيين ، وكانت نعم السند للديموقراطية المصرية : إذ مضت تنشر أخبار مجلس شورى النواب ، وتدفع أعضاءه إلى أشرف المواقف وتدعوه إلى واجب الجهاد ، وتحمد لهم مواقفهم السكرمية كلما وقفواها وتحدث عن رجولتهم في شيء من الغيبة وتعلن عنها أحسن إعلان ، وتنشر قراراً لهم الخطيرة في غير تهيب أو تردد كشكواهم التي رفعوها إلى الخديو « من اتهاك حرمة المجلس » حين ذهب رياض باشا لفضه ، ثم تعلق على ذلك بقولها إن الخديو ولعنهده والمواطنين جميعاً قد رأوا في غيره النواب ما يعذّهم على تعذّبهم في « ما انتدبو له من الحماقة عن حقوق الوطن » ثم تقول عن الحكومة الوطنية العادلة « بأن لا حول ولا قوة لها إلا بالرعية ومن الرعية ، ولقد أجاد حكيم الفرنسيين حيث قال كل شيء من الأمة وفي الأمة وللأمّة »<sup>(١)</sup>

ومصر تقف بالمرصاد لخصوم الدستور من أمثال الشيخ حمزة فتح الله  
محرر (البرهان) في سنة ١٨٨١ ، إذ دعا الشيخ إلى حكم الفرد في يوم افتتاح  
مجلس النواب فكتب أديب اسحق مقالا رائعاً عن هذا اليوم افتتحه بيت  
من الشعر

صفحاً لصرف الدهر عن هفواته إن كان هذا اليوم من حسناته  
، كيف لا وهو حاجة النفس وأمنية القلب منذ توجه الخاطر إلى السياسة  
الوطنيه وانصرف العزم إلى إحياء المهم وانعدمت النية على حفظ الحقوق ،  
وأتحدت الوجهة في القيام بالواجبات ، وهو النشأة التي كست الوطن رداء  
الفتوة قشيبة ، وهو البغية التي غرسـتـ لـلـأـمـةـ غـصـنـ الـأـمـلـ رـطـيـاـ ،ـ وـهـوـ مـارـجـونـاهـ  
زـمانـاـ وـدـافـعـنـاـ الزـمـنـ فـيـهـ ،ـ وـتـمـنـيـنـاهـ أـعـواـمـاـ وـغـالـبـنـاـ الحـدـثـانـ عـلـيـهـ .ـ .ـ .ـ  
فيـاـحـسـنـهـ مـنـ يـوـمـ رـدـ فـائـتـ الـبـهـاءـ وـأـحـيـاـ مـائـتـ الرـجـاءـ وـأـعـادـ شـبـابـ الـأـمـةـ ،ـ  
وـسـدـلـ سـتـورـ النـعـمـةـ ،ـ وـأـظـهـرـ مـقـاصـدـ الـأـمـيرـ ،ـ وـأـيدـ مـسـاعـيـ الـوـزـيـرـ ،ـ وـقـضـىـ  
لـبـانـاتـ النـهـاءـ ،ـ وـحـقـقـ أـمـانـيـ النـزـهـاءـ ،ـ فـلـازـالـ مـشـرـقـ الشـمـسـ مـرـفـوعـ لـوـاءـ  
الـأـنـسـ ،ـ مـنـقـوـشاـ عـلـىـ صـفـحـاتـ الصـدـرـ بـأـحـرـفـ مـنـ نـورـ عـلـىـ تـوـالـيـ الـأـيـامـ  
وـالـدـهـرـ » .ـ

ثم يتحدث أديب عن الحزب المصري وأمانيه في الحياة ، وأنه « يريد  
أن يكون المصري في مقام الإنسان مستقلاً بوجوده ممتعاً باستقلاله ، فائزًا  
بحقوقه ، ناهضاً بواجباته ، وتریدونه بمنزلة الحيوان يساق للحرث فإن عجز  
فللسنان ، ويطلب أن يكون الوطني آمناً في داره ، مساوياً لجاره ، يستغل  
زرعه ويستدر ضرعه ، وتلئمسون أن يكون غريباً في آلـهـ ، مـصـادـرـ بـمـالـهـ ،ـ  
يـطـعمـ مـنـ يـحـرـمـهـ وـيـؤـمـنـ مـنـ يـرـزـعـهـ وـيـحـفـظـ مـنـ يـضـيـعـهـ »<sup>(١)</sup>.

أما جريده التجارة ، فقد وقفها أول الأمر على شئون التجارة ، وأعلن ذلك في برنامج نشره في العدد الأول منها قائلاً «رأينا أن نخدم أهل التجارة الوجهاء السكرام في هذه الديار بصحيفة يومية تجارية نضمها صحيح الأخبار ومفيدها» ، ثم عدد موادها وهي البرقيات التجارية وأخبار البورصة وحركة السياحة في الإسكندرية ومواعيد البريد والحالة الجوية والبرقيات السياسية إلى أن يقول «رأينا أن نعين فيها عموداً واحداً لنشر الأخبار المتنوعة والفكاهات الأدبية» ، وما برد إلينا من المراسلات واللطفائف التي تجمع إلىفائدة لذة معنوية وعموداً آخر لكتاب جزيل الفائدة» ، وهي هنا مرجع من أعظم المراجع التي يقصدها الباحث عن النشاط التجاري في عهد الخديو إسماعيل وفيها لون من التخصص لم يكن معروفاً في كثير من صحف الشرق الأدنى خلال القرن الناسع عشر ، ثم امتازت صحيفته هنا بنشر أخبار روتر وهافاس بل أنه أجرى اتفاقاً مع شركة روتر هو أول حدث في الصحافة الشرقية المعاصرة ، فقد نشرت التجارة في أول يونيو سنة ١٨٧٨ بياناً جاء فيه «أنه بناء على اتفاق حصل بيننا وبين إدارة تلغرافات روتر المهمة في الإسكندرية قد حصل لنا دون سوانا حق تعريب تلغرافات روتر التجارية والسياسية الواردة إلى هذا الشغف فنعرب دوننا هذه التلغرافات أو شيئاً منها ونشره معرباً يكون مسؤولاً عن ذلك بحكم القانون وبموجب الاتفاق»<sup>(١)</sup> فهو إلى جانب العمل الصحفى يستأثر بناحية صحافية عرف قدرها وخطورها ، ولها آثارها الأدبية والمادية ، أو لم يطل تخصص (التجارة) لشئون التجارة بل أزدلفت إلى السياسة وأخذت تنافس في ذلك شقيقتها مصر ؛ ومضت تتحدث عن الظلم والعسف ، وأخذ أسلوبها يتطور وينساب إلى العنف رويداً ثم حيثاً ، وخرجت بذلك عن طابعها المشهور ، ولكن في أسلوب

رفع وعبارة مذهبة حتى إذا عطلتها الحكومة أسبوعين<sup>(١)</sup> كتب محررها أديب أستحق بياناً غاية في جمال المعنى وروعة الإنشاء جاء فيه «ولئن ساءنا أن جاءنا ذلك الإخطار بلوم وعقاب أليم ، لقد سرنا أن تكون الحرائق موضوعاً للنظر و مجالاً للنقد ، ولم نر في القصاص شيئاً يستعين به اللائمه أو مصاباً يعتقد به الشامت ، فإن التجارة تحسب حب الوطن ديناً والمدافعة عنه جهاداً ، فإن عاشت فيه فهي سعيدة وإن ما تلت فهى شهيدة ، ولقد آتاهما الله العمتين وأتاح لها الحستين ، فعاشت به وما تلت عليه ، وستبعث بعد أسبوعين رافلة في ثوب الشهادة مزينة بخلال السعادة على رغم أنوف حاسديها الذين أولوا كلامنا إلى مالم نقصد ، وسعوا فيها بما لم يخطر على قلوبنا ، وحاولوا إطفاء نور الحق ويا بـ الله إلا أن يتم نوره ولو كره المبطلون » ثم تمضى بعد أسبوعين عنيفة قوية ، تعنى بالسياسة عنایتها بشؤون التجارة حتى عطلتها الحكومة فيما بعد .

وقد بلغ أديب أستحق أوجه في صحيفته « مصر القاهره » ، التي كتبها بخط يده أو بخط مساعدته عبدالله مراد وطبعها في « باريس تحت سهام الحرية » لنشر ما يعود بالنفع على البلاد العربية ، وهي صورة لجريدة مصر في القاهرة ، من حيث أسلوبها الممتاز حقاً ، الغني بالجمال الفنى ، المعلوم بروح السفاح ؛ وهو يعلن خططها في قوله « إنني لا أقصد الانتقام وإنما أروم مقاومة الباطل ونصرة الحق والمدافعة عن الشرق وأله ، وعن الفضل ورجاله فسلكى أن أكشف حقائق الأمور ملزماً جانب التصریح متجانفاً عن التعریض والتلبيس وأن أجلو مبادىء الحرية وأراء ذوى النقد ... ، ومقصدى أن أثير بقية الحمية الشرقية وأهیج فضالة الدم العربي ، وأرفع الغشاوة عن أعين الساذجين وأحيي الغيرة في قلوب العارفين ليعلم قومى أن لهم حقاً مسلوباً فيتمسوه ، وما لا منهوا بافطليبوه ، وليخرجنوا من خطة الخسق وينبذوا عنهم كل مدلس

يشترى بحقوقهم ثمنا قليلاً ، ويديقوا الحائنين عذاباً وبيلاً ؛ ولنستصغروا الأنفس والنفاس في جنب حقوقهم ؛ ولنستميتوا في مواجهة الذين يبيعون أبدانهم وأموالهم وأوطانهم وألمهم ، إلى أن يقول « فن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون ماله فهو شهيد » ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد ومن عاش بعد هؤلاء الشهداء فهو سعيد » .

وتسعرق حدة المزاج هذا الأسلوب ، كما تظهر خطته واضحة صريحة ، فقد وقف الكاتب قلبه على إثارة « الجماعة الشرقية وإهلاج فضالية الدم العربي » وهو يرى الشرق كله جزءاً واحداً ويسمى أهله « قومي » وهي نظرة كانت تراها مصر في ذلك الوقت وينادي بها اليوم كثير من أدبائها وساستها وصحافتها ييد أن أسلوبه هنا كان أسلوباً صحيحاً للعبارة مستقيماً ، يمتاز بالعنف والشدة دون أن يكتبو بلفظ ناب عن الأدب الصحفي ، وهو في مقدمة الصحفيين الذين امتازوا بثقافتهم الغربية مع حرص شديد على عبارتهم العربية .

# عبد الله النديم

كان في ريعان شبابه لما ذاع اسمه وعرف الناس فضله ، ولم يكن في مقدوره أن تم محن مصر في نهاية عهد إسماعيل وقيل الاحتلال دون أن يكون له فيها تاريخ ، وهو صورة من صور الثورة العرابية البدعة ، لم تكن نشأته على يسار ، ولم تكن دراسته على انتظام ، فهو فقير يوم ولد ، أديب لا يستقيم مع الدرس المنظم ، فلم يقرأ أو يتأنب بأساليب المدارس والمعاهد بل مضى في دراسته فريداً بعد تلذذه قصيرة الانتظام ، ثم أخذ يكتب ويشعر ويزجل وهي كتابات لم تخال من مرح أو استخفاف بحوادث الزمن ؛ ولم تكن هذه الفنون في أول الأمر مهنة يكتسب منها صاحبها فاضطر إلى أن يعمل (تلغرافيا) في عاصمة القليوبية وفي القاهرة فيها بعد إلى أن أحفظه خليل أغا صاحب الكلمة في ذلك العصر بغلظته وقوتها فراح مرتاحا هنا وهناك يعلم أولاد الأعيان إلى أن نزل بمسقط رأسه أخيراً ؛ وهي مدينة الإسكندرية وهنا انضم إلى الساخطين من أنصار مصر الفتاة ، ثم اعتزل سياسة الخفاء ووصل حاله بحال أديب أسحق وسلام نقاش وكتب في صحيفتيهما «مصر والتجارة» وألف القصص التيشيلية ، وأشاع في بيته الفقراء حسا وروحًا يدارته ، الجمعية الخيرية الإسلامية ، ومدرستها التي أنشئت لتعليم الأيتام وأبناء الموزين<sup>(١)</sup> ثم يعمل صحفيينا في المهنة المحببة إلى نفسه ويأتي في تاريخ الصحافة العربية بجديد ، فينشر صحيفته «التنكست والتبيك» ، في ٦ يونيو ١٨٨١ في حجم

(١) دراسة تاريخ عبد الله النديم الصحفى ، راجع في ذلك «تطور الصحافة المصرية»

كتاب عادى « صحيفه وطئه أسبوعية أدبية هزلية .. هىوها تشكيلت ومدحها تبكيت »، ولقتها كما يقول « لا تلجهتك إلى قاموس الفيرز بادى ولا تلزمك مراجعة التاريخ ولا نظر الجغرافيا »، وسخريتها « نفثات صدور وزفرات يصعدها مقابلة حاضرنا بماضينا »، وكانت صحيفته هذه على ود متصل بصحيفه « الجنان »، ليطرس البستان وأيد الصفيان هذا الود في تبادل المقالات بين الصحيفتين .

وتحمى الثورة العرائية في عنفها ويلقى النديم بدلوه في نواحيها خطبياً وكتاباً من أعز خطباتها وكتابتها ، وينشر صحيفه ثورية يسميه « الطائف » ولم تبلغ صحيفه من الصحف مبلغ طائف النديم لافي مكانتها ولا في خططها ولا في تحريرها ، وهو فيها كاتب حاد الطبع نابع في الأنسنة ، اقتصر في تحريرها أول الأمر على معالجة نواحي النقص الاجتماعية في مصر ، وهو يصل هنا نشاطه الصحفي الذي بدأه في جريدة « المروسة والعصر الجديد » التي كان يصدرها سليم النقاش وجاء فيما بالعجب والمطرد كما يقول المؤرخون

ثم انتقل صحيفنا من المقالات الاجتماعية إلى الموضوعات السياسية العميقه وتفرد بالأخبار الهامة التي كانت للصحف الأخرى مادة وموارداً ، ووقف الكاتب يراعته على الدفاع عن الثورة ورجالها وتكذيب ما ينشر عنها في صحف الخارج ، وقد احتفى به العراييون فاشترى فيها النواب بمبالغ كبيرة وأصبحت لساناً فيه من العنف والشدة ما اضطر الشیخ محمد عبده رقیب المطبوعات العرية والتركية إلى تعطيلها شهراً ، وقد اتخد عطف الهیئات النيابية عليها لوناً رسماً نذكر تفاصيله لأنه نادر في صحافة الشرق والغرب على السواء

كتب محمد سلطان باشار رئيس مجلس النواب في ١٤٩٩هـ ربيع الثاني في سنة ١٢٩٩هـ « داخلية ناظرى عطوفتو أفتدم حضر تلى »، يقول « حيث أن حضرة محرر الطائف أظهر ارتياحه إلى نشر محاضر المجلس وأفكار نوابه وما يتبع ذلك مما يستدعي القيام بالحقوق الوطنية للمجلس رؤى أنه لا مانع من مکاتبة الداخلية

لتصدر أمرها إلى إدارة المطبوعات بمعرفة هذه الصحيفة ممتازة بهذا الاختصاص ونسبتها إلى المجلس على الوجه الذي قدمه حضرة محررها الموما إليه ، وسمتها الصحف المعاصرة بعد نزول الصحيفة « الشبيبة بالرسمية » ، وحيذ هذا الاختيار أديب إسحق في صحيفته مصر لأن الطائف في اعتباره جريدة « موصفة بالوطنية معروفة بصدق النية ، منتشرة نافذة الكلام خطيرة مرعية المقام » وقد استطاع عبد الله النديم بهذه الرسمية التي اكتسبها الصحيفته أن يكون على يمنة من شئون الدولة وأن يجد في عطفها المادي والأدبي ما يعينها على تخطي المصاعب التي تعترض الصحف عادة وتحول دون تقدمها ، وهذه ميزات بجانب قدرة محررها ومطلاوعة البيان له تجعل لها مكانة خاصة بين الصحف المصرية خلال الثورة العرابية .

وامتاز عبد الله نديم في المدة الأخيرة من تحرير الطائف بهذا العنف الذي بلغ حدا خرج بالأديب الكاتب عن آداب المراقبة فأسف في المقالات التاريخية التي كتبها عن بعض عظماء مصر إسفافا ظهر فيه الغرض واضحا حين أقعده المرض عن الكتابة إلا هذه الفصول التاريخية فقد اعتبر نشرها علاجا مما هو فيه من داء ! وقد ضجرت منه الحكومة لأنها أحرجها بما كتب فعطلت جريدهته فترة أخرى من الزمان

وقد أبقى السيد عبد الله النديم على وفائه للثورة والثوار ، وعمل تحت رايهم مؤمناً باتجاههم وعنفهم ، وانتقل بصحيفته إلى ميدان الحرب لما وقعت بين العربين والإنجليز ، ومضى هناك يحرر الطائف في معسكر « كنج عثمان » ومقالاته جميعاً على وتيرة واحدة ، وقد صد بها إثارة المهم ، والطعن في خصوم الثورة ، وعن صحيفته نقلت صحف القاهرة أخبار الحرب وتفاصيلها ومقالات النديم ، ثم دأب صحيفينا على نشر ملاحق للطائف يذكر فيها مساوىء خصومه سواء من الصحفيين أو من غيرهم من يشتغلون بشئ الوظائف في حياة مصر المختلفة ، وفي هذه الملاحق من المجنون ما تحمل فيه الكاتب بهن أسلوبه

الربيع وأسف أحياناً إسفافاً منقطع النظير ، ومثل بذلك اتجاه العرايين المتطرفين وبقى كفؤاً ونداً قاسياً لصحفيي الإسكندرية التي كانت لها صحفة تخاصم الثورة وتهاجها

ثم أخفقت الثورة العرائية ، وفر من فر وحوكمن حوكمن ، ولم يستطع المسؤولون أن يعرفوا أين ينزل النديم بين عالم الأحياء أو الأموات ، بيد أنه كان في القطر المصري وأمضى في اختفائه تسعة أعوام متذكرآ في شتى الأزياء ، وعرف الكثيرون شخصيته غير أنهم أبقوا على سره بالرغم من ترصد الحكومة له وتقديرها مكافأة مالية ضخمة لمن يرشد إليه ، ثم اعتقل في آخريات عهد الخديو توفيق ، وأثار اعتقاله ذكريات الثورة من جديد إلا أن الخديو عفا عنه على شريطة أن يهاجر إلى أي بلد خارج القطر المصري ، فاختار المترجم مدينة يافا ونزل فيها عند مفتاحها مكرماً معززاً بين مواطنينا من كرام الفلسطينيين ، وأخذ يطوف بتلك البلاد ومدنها فزار معظم الجهات الفلسطينية ، وفي تلك الأثناء قضى توفيق وتولى الأريكة الخديوية عباس الثاني ، فعفا عن النديم وأذن له بالعودة إلى مصر

عاد خطيب الثورة وكانتها ولم يكن في مقدوره أن يكافح من جديد بنفس الأساليب القديمة إلا أنه أصدر صحيفة أسبوعية « علمية تهذيبية فاكاهية » سمّاها « الأستاذ » وكان ذلك في أغسطس سنة ١٨٩٢

وقد اشتراك عبد الله نديم في إخراجها مع أخيه عبد الفتاح نديم ، وقدم لها الأخير في العدد الأول بقوله « عقدنا العزيمة على إصدار هذه الجريدة المسماة بالأستاذ كل أسبوع مرة . وجعلناها خزانة لشوارد العلوم وفوائد الرسوم ولا تقييد بفن ولا تقتصر على موضوع . فتنشر ما يحسن نشره ويلاذ سماقه من المعقول والمنقول مما لا يطعن في دين ولا يمس شرف شخص ولا يقرب من الأهaji . ولا تتعرض للأمور السياسية الحاضرة أى أنها لا تتكلّم في الإذارات والأعمال والعمال سواء في ذلك الداخلية والخارجية . وأما فن

السياسة من حيث هو فأنه يدخل في موضوعها العلمي . فان علم التاريخ والأخلاق والعادات وتدبير الممالك ووحدة الاجتماع العالمي من الفروع السياسية وهي مستقلة عما يتعلق بالسياسة الإدارية . والحاصل لى على فتح هذه الجريدة أني رأيت شقيق الفاضل السيد عبد الله افندي النديم المنشئ الشهير قد قضى مدة اختفائه مشتغلًا بوضع كتب لا تخلو من الفوائد لما اشتملت عليه من الابحاث العلمية . فاستأذته فى نشرها لإتمام خدمته المقصودة له من تأليفها فرخص لي بنشر عشرين كتاباً منها ما تم تحريره وتنقيحه . ومع كونى اخترت هذه المؤلفات مادة للجريدة فأنى وكلت تحرير مطالبها وترتيب رسائلها لقلمه لسهولته ،

ومع أن النديم عاجل الشئون الوطنية فيها برفق ودعة إلا أن معانיהם لم ترق المسؤلين وأصحاب السلطان فى ذلك الوقت وخاصة أنها لقيت رواجاً من جميع الطبقات فاق جميع الصحف الأسبوعية إذ ذاك فأمرت الحكومة بتعليقها وادعى خصومه أنه يثير مشاكل التعبص ، ووجوده خطير على وحدة البلاد ، فطلب إليه مبارحة مصر ، وكتب فى ذلك وداعاً نثراً وشعرآ هو آية ما يكتب مواطن فرض عليه الإغتراب عن مواطنه فنزل عبد الله نديم مرة أخرى مدينة يافا ، غير أن سعاة السوء أو غروا صدر السلطان عبد الحميد عليه فأمر بإبعاده عنها فعاد إلى الإسكندرية إلى أن توسط له رجال السلطان فرضى عنه وفتح له صدره في الأستانة وعيشه في وظيفة من وظائف الدولة فكان يمضى معظم وقته في حضرة صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغاني ، وتمكنت أواصر الود بينهما حتى صرخ الأفغاني بأنه « مارأى مثل النديم طول حياته في توقد الذهن وصفاء القرحة وشدة المعارضه ووضوح الدليل ووضع الألفاظ وضعماً محكمًا بأزاء معانها إذا خطب أو كتب » ، وقال فيه بعض معاصريه « إن شعره أقل من نثره ونثره أقل من لسانه ، ولسانه الغاية القصوى في عصرنا هذا » وقد عاش بقية العمر غربياً عن وطنه وأهله حتى نزل به قصاء الله في أخريات سنة ١٨٩٦

# على يوسف

شخصية من أربع الشخصيات الصحفية في الشرق العربي ، شغلت العالم الإسلامي حقبة من الزمان كانت زاخرة بالمشكلات والأحداث ، فالشيخ على يوسف قطب من الأقطاب الذين عاصروا تطورات الشرق في القرنين التاسع عشر والعشرين ، وهو تلميذ مدرسة وأستاذ مدرسة ، هو تلميذ الشيخ جمال الدين الأفغاني في الصحافة أيام إسماعيل وصدر حكم توفيق ، صاحبه أيامه ونشر بعض المقالات في صحافة ذلك العهد ، فهو تلميذ نسيط فرض وجوده في بيته الوطنيين المغامرين ، وهو مع ذلك أديب عرفه الشرقيون في صحيفة « الأداب » وهي صحيفة تخصصت للأدب والفنون ، ووهب لها الشيخ شبابه في خدمتها وتوفى عليها سنين وكانت الأداب تصدر أسبوعية في ثمانى صفحات متوسطة الحجم ، وكان أول صدورها في سنة ١٨٨٧ ، غير أنها مضت متغيرة الخطى فيما تصدر ويوماً تغيب عن قرائها ، وقد أفنى فيها الشيخ على يوسف وقته جيئاً ، ووقفها لبحوث دقيقة في التاريخ والعلم والأدب ، ولم تعمر طويلاً بالرغم من الجهد المبذول في إخراجها سواء اتصل هذا الإخراج بالشكل أو الموضوع ، وأكبر الظن أن اتجاه صاحبها بها إلى ذلك الأسلوب العربي القديم أثر عليها كصحيفة للجمهور يصعب عليه مطالعتها في زمن بدأت الصحف والمجلات تترضى القاريء بالنزول إلى مستوىه في كثير من الأحيان ثم لاحت في أفق مصر أحاديث استوجب إنشاء صحيفة سياسية في أول ديسمبر سنة ١٨٨٩ فأصدر الشيخ على يوسف جريدة « المؤيد » ومن أمه أغراضه فيها كما يقول « بث الأفكار المفيدة والأخبار الصادقة والمبادرة إلى نشر الحوادث الداخلية من باب الاعتبار والتحذير أو الترويج والتلشير غير

تاركة شأن التجارة الداخلية والخارجية<sup>(١)</sup>، وهو يسوس صحيفته في هواة وتوذة، ويحتل بهذه السياسة المكانة التي كانت لجريدة «العروة الوثقى» في باريس لصاحبها الأفغاني محمد عبده، وبذلك أصبحت «المؤيد» بجالا للأقلام الوطنية الناشئة في البيئة المصرية، فكان مصطفى كامل أحد كتابها المعروفين، وقد ذاع أمرها واستد ساعدتها وعالجت الموضوعات المصرية والإسلامية في مقالات طويلة كما حملت على الإستعمار أياً كان لونه أو مداه وخاصة إذا اتصل بال المسلمين في أي مكان من الأرض اتصال الظالم بالظلوم<sup>(٢)</sup>.

وصحفيينا يقيم خطته في أول الأمر على الدفاع عن الشرق والإسلام ومحاصمة الإنجليز، أما عن الأولى فقد أيد تاريخته فيها صدق عاطفته لشقيقته وحرارة إيمانه بإسلامه وأما الثانية فقد ارتد عنها مؤمناً بصداقه الإنجليز، مؤثراً هذه الصدقة لمصر على صدقة السلطان وحكومته، وقد غلا غلوأ خطيرآ في النظر إلى الأمور الدينية حتى خلق في البيئة المصرية خلافاً بين المسلمين والمسيحيين سواه كانوا من المواطنين المصريين أو النزلاء الأجنبيين وكان الإيطاليون أكثر الشعوب محلاً لخصومة الشيخ على يوسف فهو يحمل عليهم يوماً بعد يوم وهو القائل فيهم «إن أمّة الطليان أحسن الأمم وأدنىها وأسمجها وأسفلها» بينما يرى الرجل أن صداقه الإنجليز واجبة لأنهم يضعون ما يختلفون عليه محل النظر والاعتبار ولا يت指控ون جنس أو دين لذلك قالها كلية هرت الرأى العام المصرى هزة عنيفة «إن لندرة يجب أن تكون كعبة المصريين السياسية»، واحتمل بذلك خصومة مصطفى كامل والمتطرفين في مصر، ومع ذلك كله استطاع الشيخ على يوسف أن يساهم مساهمة الأصيل في السياسة المصرية العامة ومضت صحيفته توزع أربعين ألف نسخة حين كانت أعظم الصحف انتشاراً لا ينافى أبداً من أربعة آلاف نسخة،

(١) المؤيد في أول ديسمبر سنة ١٨٨٩

(٢) المؤيد في ١٤ فبراير ١٨٩٢

وكان نصف ذلك العدد من المؤيد يوزع في بلدان الشرق العربي<sup>(١)</sup>.  
ويرجع هذا النجاح الصحفى إلى شخصية الكاتب وقدرته وإخلاصه  
لصحيحته وفنه ، حتى شهدت له The Egyptian Gazette بقولها «قل أن  
يوجد بين الصحفيين من استطاع الوقوف إلى جانب صاحب المؤيد ولا  
يوجد ذو مسكة من العقل لا يضع الشيخ على يوسف في أعلى طبقة من طبقات  
رجال الصحافة ، فإنه تمكن بالجد والاجتهد والمبادرة من إيصال جريدة  
إلى درجة « التيمس » لا في العالى العربى فقط بل في جميع العالم الإسلامي ».

وليس الشيخ على يوسف كما تقول الإجنبشيان جازيت صحفيأً عتازاً  
حسب فقد بنى مجده الصحفى منذ شبابه وبلغ فيه مراتبه العالية فى مجلة الآداب  
ومؤيد اليومى والمؤيد الأسبوعى الفرنسي ، وبما أنشأ من تنظيم مؤسسته  
الأخيرة وما أعد لها من محرّكات كهربائية لإدارة مطابعها ، وهو أول حدث من  
نوعه في مصر ، غير أن للشيخ على سمة ظاهرة في تاريخه الصحفى ، فهو مناضل  
في سبيل توزيع المؤيد بكل الوسائل في جميع البلاد الإسلامية مهما تivarib  
السلطات الوطنية والخارجية ، وهو بطل القضايا الصحفية في مصر ، بطلها في  
ناحيتها السياسية والاجتماعية لثلاث وعشرين سنة في كفاحه الصحفى العريض

لقد شغل الشيخ على يوسف الرأى العام المصرى بقضية التلغراف ،  
وهي بزقبات نشرتها المؤيد عن الحملة العسكرية في فتح السودان ، وأثارت هذه  
البرقيات عاصفة من النقد للسياسة العسكرية الجاربة إذ ذاك ولم تثر العاصفة  
بين المصريين وحدهم بل بين ملائتهم وشركائهم الإنجليز ، وأثبتت هذه القضية  
أن وسائل الإخبار في الجريدة وتسقطها لها تفوق جميع الوسائل عند الصحف

---

(١) تطور الصحافة المصرية للمؤلف . يراجع الفصلان ( الصحافة المصرية منذ  
الاحتلال إلى الاتفاق الودي والصحافة المصرية منذ الاتفاق الودي إلى الحرب العظمى )  
فتبيه ما التناصيل التي صورناها الشيخ على يوسف كعلم من أعلام الصحافة العربية .

المعاصرة جمِيعاً، ومن هنا جاء إعجاب الناس بها، واستطاع الشيخ أن يتصدر الصحفيين في الفن الصحفي والتحرير السياسي

ثم يشغلنا الشيخ على يوسف بقضية اجتماعية تضع الصحافة والصحفين موضع التبرير وتنشأ بها مجادلات فقهية ودينية تمس مهنة الصحافة في الصميم بل إن هذه القضية التي شغلتنا بها الشيخ تصرف الناس في مصر عن جميع المشكلات السياسية والخلافات الحزبية؛ لأنها قضية مست الأخلاق في عرف العصر وأصبحت محكماً للتطور الاجتماعي بين القديم والجديد

كانت قضية الشيخ على يوسف قضية عامة، للعنصر الشخصي جانب كبير فيها، وكان للسياسة جانب آخر. كما كان للحياة الاجتماعية التي عاشتها مصر إذ ذاك أثر كبير جداً في تكييفها وتحليلها، وثال الصحافة منها في الدوائر الشعبية والرسمية حظ موفور، أما العنصر الشخصي في هذه القضية التي شغلت مصر وضحتها فهو أن الشيخ على يوسف رأى أن يتزوج ابنة السيد عبد الخالق شيخ السادات الوفائية، ورأى السيد هذا الرأى، فانعقد عزمها على إتمام هذه الزينة دون علم شيخ السادات الذي عارض الفكرة وثار لتنفيذها بالرغم من إتمام العقد على الصورة التي يرضاهما الشرع وضمن الحدود التي يرسمها الدين الإسلامي، غير أن والد العروس أبي الواقع الذي تم فأقام الدعوى أمام المحكمة الشرعية ليحال بين ابنته وبين زوجها بمحجة أنه دونها في النسب والحسب، ولأنه يشتغل في مهنة لا يكرم بها صاحبها أي مهنة الصحافة.

هذا هو ملخص القضية التي تشهد لها المحاكم نظائر في كل يوم ولا يحس بهم بُهور بها، ولكن قضية حفظينا أصبحت لمكانته الخاصة في عالم السياسة والصحافة قضية عامة، وكانت معظم الصحف المصرية والرأى العام المنساق في جانب شيخ السادات، وكانت الحكومة المصرية في جانب الشيخ على يوسف وهي صورة معاكسة لقضية (التلفراف) التي كانت الحكومة فيها خصماً

للشيخ والجمهور صديقاً ومناصراً ، وقد حاولت السلطات الحكومية أن تحول دون الفصل بين الزوجين وتنفيذ قرار القاضي بالتفرقة ، وكاد قاضي القضاة التركي يشير أزمة حادة في دوائر القضاء ، ويقف القضايا الشرعية جميعاً وينغلق أبواب المحكمة لو لا أن الحكومة نزلت عند أمره وحالت بين الزوج وزوجته<sup>(١)</sup> .

هذه القضية مزاج غريب من الحياة الاجتماعية والسياسية . فإن حادث الزواج وأسلوبه فضيحة في نظر الرأى العام إذ ذاك ، بل هو فضيحة في نظر الرأى العام في أيامنا الحاضرة ، وإن كانت شرائط العقد قد تمت على الصورة التي يقرها الشرع والدين ، ولم تجرؤ صحيفة عربية من الصحف الموالية للاحتلال على الدفاع عن الأسلوب الذي اتبعه الشيخ في قرائه من ابنة السادات ، ولم تتدخل صحف الأقباط في هذا الموضوع لأن له بالدين الإسلامي أو تلك الصلات ، ولم تناقش صحيفة من الصحف مسألة الحسب والنسب التي تنزل بكفامة رجل له مكانة في مصر لأنه يتزوج ابنة حبيب نسيب .

ويرى المؤرخ ، في موقف بعض الصحف الإسلامية في هذه القضية بعض المهنات التي كان يجب أن تتنزه عنها فهى قضية خاصة لا يليق أن تكون مثاراً للمجادلة على صفحات الجرائد ، ثم هي قضية صحف يلىق لزملائه أن يحترموا من أجل المهنة كرامته ، ثم إن الصحافة باعت في سوق نافقة فكسبيت رضاء الرأى العام ولم تفكر في رأى حر تذيه خشية سخط المjahير ، وليس صحافة تلك التي تخاف سخط المjahير ، وهى بمقتها هذا قد سمحت للسلطات القضائية برأى فيها مما يكن أمره فهو رأى يسوّها ، وهذا الرأى هو أهم ما يعنيها في تاريخ هذه القضية .

يدرك محامي السيد شيخ السادات أن « الصحافة لا تشرف إلا بشرف استعانتها » ، وهذا تقرير صحيح لو لا أن المحامي يعتبرها مع ذلك « حرفة دنيئة »

(١) راجع مجلة الشباب العدد الثالث من سنة ١٩٣٦

ويقول لتأييد ما ذهب إليه «أليست عبارة عن الجاسوسية العامة وهي معدة للإشاعة وكشف الأستار وهذا أمر منهى عنه شرعاً فضلاً عن نشرها الإعلان عن الحزب وأمكنة اللهو»، هذا رأى محامي السادات وهو رأى يسوء الصحف جميعاً، فهـى عنده حرقـة دينـة، مـهما يعتذر عنـها بـشرف الصـحف وـعلـو هـمة لأن الصحـافة عـامة تـشـرـك فيـها نـهـى عنـه الشـرع وـهو إـذـاعـة الأخـبار وإـشـاعـتها بـيـنـ النـاسـ، وـهـى فـي أـكـثـرـها تـشـرـكـ إـعـلـانـ الحـزـبـ وـأـخـبـارـ المـلاـهـىـ وـمـنـدـيـاتـهاـ، وـفـيـ هـذـاـ مـنـ الـاتـهـامـ الـصـرـيعـ مـاـ كـانـ يـحـمـلـ بـالـصـحـافـةـ الـمـصـرـيـةـ أـنـ تـكـافـلـ عـلـىـ رـدـهـ مـهـماـ تـخـتـلـفـ نـزـعـاتـهاـ السـيـاسـيـةـ وـاتـجـاهـاتـهاـ الـعـامـةـ حـتـىـ لاـ تـعـطـيـ الـحـكـمـةـ بـعـدـ المحـاـيـدـ فـرـصـةـ لـتـأـيـدـ وـجـهـةـ نـظـرـ المـدـعـىـ وـحـطـ قـدـرـ الصـحـافـةـ.

وإذا دافع الشيخ على يوسف ومحاميه عن مهنته وعن عمله ردته المحكمة في ذلك جميعاً قائلة «إن صناعة التحرير لا تنهض دليلاً على العلم»، ثم تقول عن الصحافة «وحيث أن حرقـةـ الصحـافـةـ الـتـىـ نـسـبـهـ المـدـعـىـ لـنـفـسـهـ قـسـيـانـ، قـسـمـ يـبـحـثـ فـيـ عـلـومـ وـفـنـونـ مـخـصـوصـةـ وـهـىـ الـمـجـلـاتـ غـيـرـ الـيـوـمـيـةـ، وـهـذـهـ شـرفـهاـ بـشـرفـ ماـ تـبـحـثـ فـيـهـ وـغـارـتـهـ، وـهـذـهـ الصـحـافـةـ لـاـ يـدـعـهاـ الشـيخـ عـلـىـ لـنـفـسـهـ، وـقـسـمـ لـاـ يـخـتـصـ بـمـوـضـعـ مـخـصـوصـ وـهـىـ الـجـرـائـدـ الـيـوـمـيـةـ وـوـظـيفـتهاـ إـرـشـادـ مـنـ تـكـوـنـ مـنـهـمـ الـمـلـكـةـ مـنـ الـأـفـرـادـ وـالـعـائـلـاتـ وـالـهـيـةـ الـاجـتـمـاعـيـةـ وـالـحـكـوـمـةـ فـهـىـ مـعـدـةـ لـلـأـرـشـادـ الـعـامـ، وـهـذـهـ الصـحـافـةـ جـلـيلـةـ جـدـاـ لـهـاـ أـثـرـهاـ فـرـقـ الـمـلـكـةـ مـنـ نـاحـيـتـاـ الـدـاخـلـيـةـ وـالـخـارـجـيـةـ وـيـحـبـ أـنـ يـتوـافـرـ فـيـ صـاحـبـهاـ أـعـلـىـ أـنـوـاعـ الـثـقـافـةـ الـاجـتـمـاعـيـةـ وـالـأـخـلـاقـيـةـ وـالـسـيـاسـيـةـ كـاـيـحـبـ أـنـ يـكـوـنـ عـلـىـ قـدـرـ مـنـ شـرفـ النـفـسـ وـنـبـلـ الضـمـيرـ، وـأـنـ يـكـوـنـ مـنـ أـشـدـ النـاسـ مـحـافظـةـ عـلـىـ الـكـلـالـاتـ وـالـآـدـابـ حـتـىـ يـمـكـنـهـ أـنـ يـنـفـعـ بـنـصـحـهـ وـأـنـ يـجـمـعـ النـاسـ عـلـىـ رـأـيـهـ فـضـلـاـ عـنـ وجـوبـ عـلـيـهـ بـالـسـيـاسـةـ الـدـاخـلـيـةـ وـالـخـارـجـيـةـ، إـلـىـ أـنـ تـقـولـ وـلـكـنـ المـدـعـىـ عـلـيـهـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـدـعـيـ لـنـفـسـهـ هـذـهـ الصـحـافـةـ أـيـضاـ، ذـلـكـ لـتـقـلـبـهـ فـيـ الـمـبـادـيـ لـغـيـرـ سـبـبـ وـتـعـرـضـهـ لـلـشـخـصـيـاتـ فـيـ ثـوـبـ الـمـصالـحـ الـعـامـةـ وـسـكـوـتـهـ

عن بعض ما يلزم الكلام فيه . . . ولا نريد أن نعدد له ما فعل وكفى بهذه القضية وحدها دليلاً على ذلك ، وعلى ذلك فالداعي عليه ليس مشتغل بالصحافة قاءً بها وإنما هو يشغله شيء يشبهها لأغراضه ملبيساً له ثوب الأرشاد والمصلحة العامة وهذا اشتغال بأحسن الحرف وأدناؤها ، وعلى ذلك لا يكون مختفاً الصحافة وإنما هو يحترف حرقه آخر دنيئة<sup>(١)</sup> .

ومهما يكن من أمر هذا الحكم فإن الصحافة خسرت فيه ، لأن اتهام قطب من أقطابها بجهله السياسة الداخلية والخارجية كفيل وحده بأن يسقط كثيراً من الصحف والصحفيين في ذلك الوقت ذلك أن الشيخ علي يوسف كان أقدر صحفيي العصر في أفقه الواسع ونظرته العميقه للأمور وفهمه الدقيق لشؤون السياسة في البلاد الإسلامية جميعاً ، فإذا كان هذا الحكم صحيحاً حقاً لمؤرخي الصحافة المصرية أن ينكروا وجودها في تلك الحقبة من الزمان ، ولكنه حكم لا يتصل بالشرع لأن الغرض ظاهر فيه ، وكان الأفندى قاضي القضاة والخديو معه والتقاليد من حولهما قد تكاففت على إصداره في هذه الصورة التي إن دلت على شيء فأنما تدل على أن السياسة وحدها كانت صاحبة الموقف جميعاً .

وقد استطاع شيخنا أن يمضي في حياته بالرغم من حكم المحكمة وبالرغم من ثورة التقاليد بل استطاع أن ينتزع من العامة أصحاب هذه التقاليد الإعجاب بصحفته والحرص على قرامتها ثلاثة وعشرين عاماً حتى عين شيخاً للساسة الوفائية ونال رتبة البشاوية فودع المؤيد في سنة ١٩١٣ بكلمة مؤثرة إذ هو يودع كما يقول «المهنة التي احترمها واعتبرها من أشرف الأعمال المفيدة كثيراً للبيئة الاجتماعية»<sup>(٢)</sup> .

ويينبغي أن نذكر للمترجم ونحن نختتم سيرته أنه جذب بأدبه وعلمه عظامه الجليل إلى التحرير في (المؤيد) الذي زعمت المحكمة الشرعية أنها ليست صحيفة

(١) المقطع في ١١ أغسطس ١٩٠٤

(٢) المؤيد في ٦ مارس ١٩١٢

قينة بالتقدير والإعجاب ، وكان في مقدمة من حرر فيها مصطفى كامل والشيخ محمد عبد وسعد زغلول بك وأبراهيم المولى لحى وفتحى زغلول باشا وقاسم أمين ومن إليهم من النخبة التي كان لها شأن في جميع مراقب الحياة المصرية (١) بل استطاع المترجم أن يكون بأمثال هذه النخبة حزب الإصلاح الذى نافس سائر الأحزاب المصرية الأخرى

وكذلك يحدى بنا أن نقرر حقيقة ساء الظن بها كثيرون من الفرنجية المعاصرين ، فقد أشاعوا أن الأجانب في مصر كانوا أبغض الناس إلى قلبه ، وأنه كان خاضعاً في تصرفاته معهم ومع سائر المسيحيين لتعصبه الدينى من غير رؤية أو تفكير ، وينفى ذلك كله صداقته لـكثير من الصحفيين الفرنجية المعاصرين ، وفي مقدمتهم «موئليه» الذى أرّخ له فأكده بعده عن هذا التعصب ومدح سيرته في هذه الناحية من تاريخه الطويل (٢)

---

(١) ذكريات من حياة المرحوم على يوسف بقلم ع. شلي.

munier, La Presse en Egypte (٢)

# مُصطفى كمال

يمثل مصطفى كامل الزعيم المصري الشاب طوراً من أطوار الصحافة العربية في مصر كما تمثل حياته في الصحافة طوراً اجتماعياً جديداً ، فقد كان العهد الذي عاش في أعطاله مصطفى كامل يرى الصحافة « حرفة دينية » وهو رأى صدر عن هيئة رسمية مصرية وجاء في حكم من أحكام القضاء الشرعي ، ثم استكمل مصطفى زمامته عن طريق الصحافة وبها شق طريقه إلى الخلود زعيماً لجيشه وأسوة حسنة على مدى الأجيال .

ولد صحفيينا في سنة ١٨٧٤ وأتم دراسته الابتدائية كاد أنه من أبناء جيله ثم تغير دراسته العليا في مدرسة الحقوق ، و اختارها كما يقول « لأنها مدرسة الكتابة والخطابة ومعرفة حقوق الأمم والأفراد » وبانت ميوله الصحفية وهو تلميذ فأنشأ مجلة مدرسية : وهو أول لون من ألوان النشاط الصحفي لتلميذ في مصر وقد سماها « المدرسة » ، وكان شعارها « حبك مدرستك حبك أهلك ووطنك » ، وهو اتجاه يبين عن صحفى يعرف رسالة الصحافة ويقدر مكانتها في حياة الشعوب

ثم يفرغ الكاتب من دراسة القانون ، ويفزع إلى الصحافة المعاصرة يودعها من آماله وآياته الشيء الكثير ، وهو هو حقاً من هوادة الكتابة والتحرير غير أنه مدفوع بها قف من نفسه ، وهو هاتف يؤمن بالصحافة ويرى فيها وسيلة الحسنة لأداء الرسالة الوطنية على أحسن الوجوه ، وكان العهد قد خلا من الصحف التي تعجب الفتى الصحفي المتدفع حماسة ووطنية ، غير أنه وجد ضالته في صحيفة الأهرام سنة ١٨٩٥ وكانت الأهرام منذ سنة ١٨٨٤ تحمل

علم الجهد الصحفي في عنف حير المسؤولين وأقضم مضاجعهم ، وكم من القضايا  
الصحفية أثارتها قصة الأهرام إذ ذاك !

مضى المترجم إلى الأهرام ففسحت له صدرها وتوثقت عرى الود بينها وبين صاحبيها ومحرريها ، وأفردوا له في مبناتها حجرة هي في اعتبار التاريخ أول ناد للحزب الوطني ، إذ كان العجبون به والساخطون على الحياة السياسية المعاصرة يتلقون فيها ويتبادلون الرأي وعن هذه الحجرة الصحفية صدرت أول التعاليم الوطنية بعد الاحتلال<sup>(١)</sup> ، وكانت أهم مقالاته في جريدة الأهرام مقلاً استغرق صحفتها الأولى عن «الوعود الصريحة» ، وهي وعد الجلاء المتكررة ، وهو هنا صحف عنيف ساخر غير أنه ذو أسلوب رفيع لا يكبو بافظ خارج أو عبارة جارحة ، وإنما هو يطالب «الشرف البريطاني الجليل الشأن الرفيع البيان»<sup>(٢)</sup> بتحقيق الوعد وتنفيذ الكلمة ، وهو يلشر بعدئذ حدثياً صحفياً مع السيد بارنجي أى «اللورد كرومر» ، له خطره ومكانته كعمل صحفي ولله آثاره كعمل وطني ، وتم الأهرام في رحابها لمصطفى كامل وله فيها بين آن وأن مقال ناري إن صح التعبير ، وقد أحس قرأوها هذا اللون من البيان الصحفى دون أن يعرف إلا القليلون أن صاحبه مصطفى كامل لأنه أخفى الإسم ورمز له كما يصنع كبار الصحفيين الذين يعنهم الموضوع ولا يسيئ لهم إنكار الذات .

ثم ينشيء المواطنون جريدة «المؤيد» سنة ١٨٨٩ وهي جريدة الشيخ على يوسف ، وهنا يساهم مصطفى كامل في تحريرها وإن لم يكن من أعضائها المؤسسين أو محرريها الأصيلين ؛ وينشر فيها المقالات وتذيع عنه الخطب ، وهو في ذلك الوقت لا يقتصر على صحفة مصر بل يذهب إلى أوروبا داعية

(١) ذكر لنا قصة الحجرة التي أفردها الأهرام له المرحوم جبرايل تلا باشا صاحب الأهرام .

(٢) الأهرام في ٤ و ٢٨ يناير ١٨٩٥

لنصر ينادى عن قضيتها بالخطب ونشر المقالات، وكانت وكالات الأنباء تنقلها إلى أرجاء المعمورة والأهرام تنشرها برقاً والمؤيد تذيعها تفصيلاً، واستقبلت الصحافة الفرنسية في مصر هذا الفتى المجاهد استقبالاً حسناً وقالت لاريفورم «إن جهاده بغير بالفخر»<sup>(١)</sup>

ويرى مصطفى كامل آخر الأمر أن استقلاله بصحيفة يقتضيه واقع الحال فأأن المؤيد وغيرها من الصحف قد قفت حماستها بعض الشيء، ولم تعد تتحتمل سياساته العنيفة فأعاد العدة لإنشاء «اللواء» في ختام القرن الماضي؛ ثم صدر العدد الأول منه في ٢ يناير سنة ١٩٠٠، وهو يسميه اللواء لأن عند هذا الاسم يتحقق كل قلب وتحتاجه إليه أصدق الآمال، وهو يرجو بصحيفته أن يخدم «الوطن والإسلام بأشرف السبيل وأنقعها، والسعى وراء الاتحاد والاتفاق بين المصريين وبعضهم من جهة وبين كافة المسلمين من جهة أخرى، والعمل لتربيه أبناء مصر أحسن تربية وطنية، وترقية التجارة والصناعة الخ»<sup>(٢)</sup>

ويعتبر إنشاء «اللواء» مفترقاً في صحافة مصر الوطنية إذ ذلك فقد حل الجماد وحده تقريباً في إيمان الواثق بمحققته المؤيد وكانت اللواء فيما بعد لسان الحزب الوطني، وهي الصحيفة الوطنية التي كان نظام العمل فيها مثلاً يحتذى من حيث الإدارة والتحرير، وهي أول صحيفته بعد المؤيد تستخدمن الآلة الكهربائية في طبعها، ومن أولى الصحف التي عنيت بمادتها وفتحت صدرها لجليل الأمور وخطيرها في صفحات ثمان، وهي أول الصحف المصرية التي نشرت أخبار مصر وخطب المسؤولين فيها، ووصفت المخلافات الكبيرة بالبرق، ومحررها أول من أسس الشركات الكبرى للصحافة بالتزاماتها القانونية كما يحدث في أوروبا عادة<sup>(٣)</sup> وهو الحريص على خدمة الصحافة بأرسال

(١) مصطفى كامل للرافعي عن ٨٥٨٤.

(٢) راجع للواء في ٢ يناير ١٩٠٠

(٣) جريدة الشعب في ٨ مايو ١٩١٢

الشبان إلى أوروبا لتعلّمها أو إعدادهم بالتشقيق والتهديب في جامعاتها ومدارسها الخاصة وإذا صحي ما ذكرته بعض الصحف وهي تورخ للصحافة المصرية خلال الحرب العظمى فإن اللواء كانت ثالثة أو ثانية الصحف المصرية ثراءً، فقد قدرت مواردها من هنا وهناك بـ ثانية وثمانين ألف جنيه مصرى وهو مبلغ قادر فيها نعلم على تقديم الصحيفة على زميلاتها المعاصرات خير تقديم بجانب رأس ما لها من الوطنية الصحيحة وحرارة كاتبها وشيوعه من الوطنيين المعروفين، وقد أردد مصطفى كامل باللواء صحيفة شهرية تشمل خلاصة لأطيب ما أذيع في اللواء اليومية من رأى أو مقال<sup>(١)</sup>.

وقد بُرِزَ مصطفى كامل وجُوَدَ في الصحافة العربية حين استقل بلاده، وكانت له فيها فضول لم تكن معروفة ولا معهودة في صحافة ذلك العهد، فقد شغل الكاتب قراءه بأمور التعليم، والتعليم الشعبي الذي يلبي أن يقوم على أكتاف الشعب ليحس أثره الشعب نفسه فتحقق أغاراضه في الحرية والاستقلال وقد استطاع مصطفى كامل أن يجعل من هذا الموضوع علماً يجتمع عليه الوطنيون على اختلاف مذاهبهم وتبان حماستهم للوطن فشرعوا ينشئون المدارس ويفكرون في جامعة مصرية تنشئ الشباب تنشئه وطنية يعجز أمامها الاحتلال إذا طلب السلامة أو أبي الجلاء.

ثم يمضي في جريدة وله في كل يوم رأى صائب في شئون مصر والشرق، ودعوة إلى نهضة بلاده بشتى السبل والوسائل وكان قلمه أعنف الأقلام المصرية في معالجة الشئون الدستورية أو السياسية فهو قلم يطالب بجانب حرية مصر واستقلالها، بحياة نباتية صحيحة، وكانت أدق مواقف صاحب اللواء وأخطرها من الناحية التاريخية رسالته في قضية دنشواي، هذه القضية التي

---

(١) دراسة هذه الناحية من تاريخ مصطفى كامل راجع كتاب «تطور الصحافة المصرية» للمؤلف من ١٤٨ وما بعدها.

فاختت بذكرها الكتب ، وكان لها من الآثار السياسية ما أحسمه معاصروه في مصر وفي خارج مصر من البلاد الأوروبية وفي مقدمتها إنجلترا وفرنسا .

وقد عاب البعض على مصطفى كامل أنه كان في جهاده الصحفي والسياسي يرى حياة مصر واستقلالها مرهونين بالبقاء في الدائرة العثمانية ، وقد خفى على العائدين أن مطالبة الإنجليز بالخلاف ما كان يمكن أن يستقيم لها منطق إذا صحها ضيق بمقام السلطان الأدبي في مصر ، إذ أن خصومته للإنجليز كانت تستوجب رعاية الحقوق السلطانية التي أقرتها معاهدة لندن ( ١٨٤٠ - ١٨٤١ ) وبذلك استطاع مصطفى كامل أن يجعل القضية المصرية قضية دولية يابنه أن تؤلّب الدول فيها على إنجلترا ، احتراماً للمعاهدة التي أقرتها وتعهدت برعايتها ، فإذا فرغ من الإنجليز وتم جلاوه كأن أمر المظاهر الأدبية التي كانت لسلطان تركيا هيناً على المصريين ، فكان لهم من شخصيتهم ما يؤهلهم لتصفيتها على الوجه الذي يحبونه .

وبعد فقد كان مصطفى كامل صاحب مدرسة صحفية جديدة ، لا يعرف إلا سفاف في نضاله أو مزالاته الصحفية ، وهو يعالج المسائل المصرية بوسائل وأساليب جديدة كل الجدة ، ويكتسب احترام خصومه وأصدقائه على السواء ، ويعيش معاونوه في التحرير راضين كل الرضى ، يحفظ لهم كرامتهم ويؤدي لهم حقوقهم ولا يدخل على قادر أو مجتهد بجزء يغوصه عن الجهد الذي بذله في سبيل مهمته .

وأنشأ الكاتب صحيفتين فرنجيتين تواخيان صحيفته العربية فسافر في أوآخر سنة ١٩٠٦ هو وصديقه محمد فريد بل لشراء معدات الصحيفتين من أوزربا واستقدام المحررين لها ، ثم ظهرت الصحفتان لتنندار اجسيان L'Etandard في مساء يوم ٢ مارس وذى اجشين استاندارد The Egyptian Estandard في صباح اليوم التالي وعند المزrix العادل أن إنشاء هاتين الصحيفتين من أبرز خدمات مصطفى

كامل الصحفية القضية الوطنية لأن إنشاء الصحيفتين ليس شيئاً بجانب ما نشر فيهما من المعانى التى كان يعن عرضها على الأجانب فى مصر والخارج ، وهو غرض دفع إلى تحقيقه ما ذهب إليه الأجانب فى مصر أعداء الوطنية المصرية وخصوص استقلال وادى النيل ، وفي ذلك يقول مصطفى كامل « إن قصدنا من تأسيس هاتين الجريدين هو إحاطة العالم المتقدم وكافة الذين يتمون بشئون مصر على بخطتنا الوطنية التي غير خصوصيتها وشكلها وقلبوا حقيقتها .. وأظهر ونا لمن يجهلون لغتنا كأننا ننادي بالبقاء والتبعية الدينى ، فنحن جئنا اليوم نكذب بصورة قطعية هذه التهم الدينية وثبت للعالم كله أن مطلبنا الوحيد بل مطلبنا العالى السامى هو أن نرد لمصر مكانة فى العالم تليق بتاريخها وماضيها ومركتها »<sup>(١)</sup>

وقد استطاع صحيفينا أن ينال موافقة جريدة Le Figaro على أن تؤذن للجريدة الفرنسية الوطنية بنشر مقالات بيير لوتي Pierre Loti عن مصر ، على أن يكون نشرها فى الجريدين فى يوم واحد ، وهو عمل صحفي نادر المثال فى ذلك الوقت

وقد مضى مصطفى كامل يعالج حياته السياسية والصحفية بالرغم من غاشيات المرض التى كانت تتباhev بين آن وآخر ، ولم يحل المرض فى أى وقت من الأوقات دون نشاطه الصحفى فهو يحرر صحيفته مريضاً أو معاف ويكتب مقالاته بنفس القوة والعنف وبنفس الإشراقة التى تيز بها أسلوبه مهما تسكن حالته الصحية تستوجب الراحة والاستجمام

على أن كفاح مصطفى كامل فى الجانب الصحفى قد أنصب كله على الناحية السياسية التى شغلت حياته جيماً وأبى عليه أن يفكر فى مسائل مصر

---

(١) من خطبة مصطفى كامل فى فندق الكوتنتال فى ١٢ مارس ١٩٠٧ احتفالاً بظهور الجريدين . راجع تطور الصحافة المصرية للمؤلف من ٢٣١ الطبعة الثانية :

الاجتماعية وينظر إليها بهذه النظرة الحررة التي كان يعالج بها القضية الوطنية ، في بينما كان مصطفى كامل ينحو إلى أهداف وطنية رفيعة ويرجو لحياة مصر أسلوبآ سياسيا يتفق وأرقى ما تعيش عليه أوروبا فقد أبى على صحفته اللواء أن توافق حركة الإصلاح الاجتماعي التي تزعجها أمثال قاسم أمين ، بل كانت «اللواء» حررا على هذه الحركة وأفردت صفحاتها لخصوصها والناعين عليها .

ويحسب المؤرخ أن مصطفى كامل وقد نجح في التوفيق بين العناصر الدينية كان يأبى أن توزع طرائق النظر في الشئون الاجتماعية العامة حتى لا تتأثر الحركة الوطنية نتيجة لهذا التوزع في أمور داخلية لا يضر إهمالها إلى أن تستقر أوضاع البلاد السياسية وقد بقى مصطفى كامل في الميدان حتى استبدت به العلة وقضى في فبراير سنة ١٩٠٨

## مراجع البحث

تتصل دراسة أعلام الصحفيين العرب بدراسة تاريخ الصحف في الشرق العربي كله ، وتعز دراسة بعضهم دراسة عميقه حين تعوزنا هذه الصحف ، فيضطر المؤرخ إلى العودة إلى الوثائق المختلفة أو الكتب المبaintة ، وهذا ما فرضه البحث علينا حين بدأنا تأريخ محمد على الكبير مثلاً وحين عز علينا الحصول على جurnal الحديث وهو أول صحيفه صدرت في مصر بل في العالم الشرق جيعاً سواء كان عربياً أو إسلامياً ، إذ كان لولي النعم فيها نصيب هام في تحريرها وفي إخراجها .

والوثائق التي عدنا إليها كثيرة متعددة ، وأكثرها في المخطوطات التاريخية بقصر عابدين ، وهي الوثائق التي أشرف على جمعها وأشار بترتيبها المغفور له الملك فؤاد الأول ، فكانت زروة علمية ضخمة في تاريخ مصر الحديث في جميع نواحي النشاط الفكري .

وما كان يمكن للدراسة محمد على وإسماعيل كعلمين من أعلام الصحافة العربية أن تهمل هذه الوثائق التي جلت ما كان مستخفياً من نشاطهما في هذه الناحية من التاريخ .

وهذه الوثائق في عدة لغات ، أكثرها في اللغة التركية ثم في اللغة العربية ثم في بعض اللغات الأجنبية ، وقد قام على تنظيمها ثقات في هذه الناحية من ترتيب المعلومات وتبنيها ، فأفردوا لها كراسات وحافظ ودوسيهات ، يستطيع الباحث أن يعود إليها مطمئناً إلى اليد التي نظمتها وجعلت منها مصدرأ من أعظم مصادر تاريخ مصر الحديث .

ثم اضطررنا الظروف إلى استقراء الكتب التي كتبت في تاريخنا الحديث عربية كانت أو أجنبية ، فإن تصوير هؤلاء الأعلام لا يتم إلا بعد أن نستمد من هذه الكتب بعض معلوماتهم واتجاهاتهم ، والقطع برأى فيهم يقتضي الرجوع إلى اختلاف المؤرخين في النظر إليهم ، وبقدر من الاستنتاج المزه عن الغرض يستطيع كاتب التراجم أن يرسم صورة ذرية عن الشخصيات التي يريد أن يدرسها ويعلن عنها في كتاب مفتوح ، وقليل من هذه الكتب عن بؤلام الأعلام صحفيين وأصحاب قلم ، اللهم إلا كتاباً واحداً أنشأه الكونت فيليب دى طرازى عن تاريخ الصحافة العربية ونشره في أربعة أجزاء ، وكان مصدره فيما كتب الجموعة الصحفية التي كان يملكتها والتي اشتراها منه حكومة لبنان ، وهي مجموعة ضخمة جاوز عدد نسخها أربعة آلاف نسخة من جميع الصحف التي صدرت باللغة العربية في أرجاء المعمورة تقريراً ، وقد اطلعنا على بعضها فكانت بحق ثروة لمن يريد أن يستزيد في دراسة هذا الموضوع .

ثم عدنا إلى الصحف والمجلات العربية التي صدرت في مصر وكان لها صلة بموضوع أعلامنا من عهد محمد علي الكبير إلى مطالع القرن العشرين ، وقد تجاوزت هذه الصحف ألف جريدة ومجلة حتى يستوفي البحث حقه ويبلغ غايته ، ومن بينها صحف لا توجد في مصر أولاً توجد في دار الكتب المصرية بل توزعت بين دور الكتب الخاصة والعامة الأخرى وبعضها عثرنا عليه في المكتبة الأهلية بباريس . ونضرب لذلك مثلاً صحيفة « وادي النيل » لصاحبها عبد الله أبو السعود أفتدى التي وجدنا منها عدين فقط في مكتبة الجمع العلمي المصري ، وكذلك كان شأن صحيفة « صدى الأهرام » لصاحبها سليم وبشارة تقلا ، وجدت منها مجموعة لا يأس بها في مكتبة المغفور له طلعت حرب باشا وهكذا كان شأن بعض الصحف الأخرى التي لا يتسع المقام لذكرها .

ولم نشر فيها قرأناه من صحيف و مجلات إلا لما يؤكده القاريء الحقيقة التاريخية الحالصة ، وأغفلنا ذكر صحيف كثيرة من شأنها أن تفيد الكاتب وليس من الضروري أن ترصد في الصفحات أو المنشورات ، فقد كانت معاوناً ، سواء كانت صحيفاً صديقة لمن نذكره أو خصماً له فقد تحسن خصومة الصحيفة لمن تخالفه ، وهذه نظرة للأمور لا تقر إلا إذا عالجها الإنسان غير متأثر بأى مؤثر .

وفي الصفحات التالية سجل للكتب التي رجعنا إليها نشره ليستزيد من أراد الاستزادة لا في تاريخ هؤلاء الأعلام ولا في تاريخ الصحافة المصرية والعربية فقط بل في التاريخ المعاصر بمحابيه المتعددة .

## ١ - وثائق لم تنشر

اكتفينا بالاشارة إليها في الموسوعات ومرجعها إلى مخطوطات عابدين التاريخية

## ٢ - كتب عربية ومصرية

تاریخ الطباعة والصحافة في مصر خلال الحلة الفرنسية (١٧٩٨ - ١٨٠١) (القاهرة ١٩٤١)	ابراهيم عبده
تاریخ الواقع المصرية (١٨٢٨ - ١٩٤٢) القاهرة الطبعة الثالثة.	ابراهيم عبده
تطور الصحافة المصرية وأثرها في النهضتين الفكريّة والاجتماعية. الطبعة الثانية ١٩٤٥	ابراهيم عبده
أعلام الصحافة العربية. الطبعة الأولى ١٩٤٤ حول الصحافة في عصر استماعيل (حقائق غير مطبوعة - رد على مقال) ١٩٤٧	ابراهيم عبده
الشدياق (احمد فارس) الواسطة في معرفة أحوال مالطة وكشف المخاب عن فنون أوربا.	ابراهيم عبده
تاریخ آداب اللغة العربية . الجزء الرابع . القاهرة ١٩١٤	جورجى زيدان بك
رفاعة بكر رافع الطهطاوى تخلیص الإبریزی تلخیص باریز . القاهرة ١٣٦٥	
سلیم خلیل نقاش ) مصر للصربین . الأجزاء الرابع والخامس وجرجس میخائيل ) السادس والسادس طبعة ١٨٨٦	
عبد الرحمن الرافعی بک عصر استماعیل . جزءان . القاهرة ١٩٣٢ .	

<p>عبد الرحمن الرافعي بك</p> <p>الثورة العرائية والاحتلال الإنجليزي . القاهرة . ١٩٣٧</p> <p>عبد الرحمن الرافعي بك</p> <p>مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال ( تاريخ مصر القوى من ١٨٨٢ - ١٨٩٢ )</p> <p>عبد الرحمن الرافعي بك</p> <p>مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية . القاهرة ١٩٣٩</p> <p>عبد الرحمن الرافعي بك</p> <p>محمد فريد رمز الإخلاص والتضحية . القاهرة ١٩٤٢</p> <p>علي مبارك باشا</p> <p>( الخطط التوفيقية . عشرون جزءاً في خمسة مجلدات . بولاق ١٣٠٦ هـ )</p> <p>ع.ع. شلبي</p> <p>ذكريات من حياة المرحوم علي يوسف فيليب دي طرازي(السكونت) تاريخ الصحافة العربية، أربعة أجزاء في مجلدين</p> <p>بيروت ١٩١٣ و ١٩٣٣</p> <p> محمود رشيد رضا</p> <p>تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ( ثلاثة أجزاء ) مطبعة المنار ١٣٤٢ هـ</p> <p> محمود عزمي</p> <p>مبادئ الصحافة . القاهرة ١٩٤١</p>
---

٣ - مخطوطات

السيد صالح مجدى بك  
حلية الزمن في وصف مناقب خادم الوطن .  
دار الكتب المصرية ١٣٩٠ هـ

## – مقالات في صحف ومجلات

جريدة الشعب  
مجلد سنه ١٩٣٦

العدد الأول من السنة الأولى — الجرائد العربية في العالم العدد الثامن من السنة الثانية عشر — تاريخ النهضة الصحفية في اللغة العربية في ٢٦ حزيران سنة ١٨٩٧ (الصحافة في القطر المصري)	مجلة الملال
السنة الثالثة — العددان الرابع والسادس	مجلة الأجيال
	مجلة الشرق .

## ٥ — صحف أساسية للمراجعة

١٩١٢ — ١٨٢٨	الواقع المصرية
سنة ١٨٣٠	واقائع كريديية
سنة ١٨٦٧	وادي النيل
سنة ١٨٧٠	روضة المدارس
سنة ١٨٧٥	روضة الأخبار
١٩١٢ — ١٨٧٦	الأهرام
١٩١٢ — ١٨٧٦	المقططف
١٩١٢ — ١٨٧٧	أبو نصارة
سنة ١٨٧٩	التجارة
١٨٨١ و ١٨٧٧	مصر
سنة ١٨٨٠	مصر القاهرة
سنة ١٨٨٩	المؤيد
١٩٠٨ — ١٩٠٠	اللواء

## ١ - وثائق مطبوعة

Blue Books 1870-1914.

Livres Jaunes 1870-1914.

## ٢ - وثائق لم تطبع

Diplomatic Documents Concerning affairs of Egypt, SC.  
SOC, T. 1, N679, The Egyptian Library.

## ٣ - المكتب

Baignières. P. L'Egypte Satirique, 1896.

Blunt, W. S. My Diaries. London 1919-1920.

Bowring. Report on Egypt and Candia. London 1840.

Cromer. Modern Egypt. 2 Vol. 1908.

Douin. Histoire du Règne du Khédive Ismail. 6 Vols. 1933-1941.

Hartmann. M. The Arabic Press of Egypt 1899.

Kyriacos Michael. Copts and Moslems Under British Control.  
London 1911.

Munier. J. La Presse en Egypte ( 1799 - 1900 ) Notes et  
Souvenirs 1930.

Sabry, M. La Genèse de l'Esprit National Egyptien  
Paris 1934.

Weill, G. Le Journal, Origines. Evolution et Rôle de La  
Presse Périodique. Paris 1934.

## ٤ - مقالات في المجالات العلمية

Artin, Y. Pacha. Etude Statistique sur La Presse Egyptienne.  
Bulletin de l'Institut Egyptien 1905.

Bonola, F. Una Visita a Mohammed Ali nel 1822. La Prima Stamperia et il Primo-Giornale. Revue Internationale d'Egypte 11 no Octobre 1905.

Reinaud. De La Gazette Arabe Turque imprimée en Egypte. Journal Asiatique 2<sup>e</sup> Serie Tome VIII 1831.

## ٥ — الدوريات

La Progrès Egyptien 1869-1878

L'Impartial d'Egypte 1868.

Le Journal Officiel 1885-1942.

Le Moniteur Egyptien 1833.

Le Moniteur Egyptien 1874-1884.

# بَيْتُ الْأَعْمَامِ

أرتين بك ص ٢٩  
 اسماعيل (الخدبو — أفندينا — ول)  
 الشعم — الباشا) ص ١٩ و ٢٠ و ٢١  
 ٢٥ و ٢٤ و ٢٣ و ٢٢ و ٢١ و ٢٥  
 و ٢٧ و ٢٦ و ٢٣ و ٢٧ و ٣٤ و ٢٧  
 و ٤٧ و ٤٦ و ٤١ و ٤٠ و ٣٩ و ٤٧  
 و ٨٩ و ٨٠ و ٦٠ و ٥٢ و ٥٠ و ٤٨ و ٨٩  
 و ٩٩ و ١٠٣ و ١٠٢ و ١٠١ و ١٠٠ و ٩٩  
 و ١١٥ و ١٠٧ و ١٠٩ و ١١٠ و ١٠٥  
 و ١١٢ و ١١٧  
 اسماعيل صبرى ص ٣٤  
 اسماعيل صديق ص ٤٠  
 آل تقلا (سليم . بشارة .  
 جبرائيل) ص ٦٩ و ١٠٧  
 و ١١١ و ١١٠ و ١٠٩ و ١٠٨  
 و ١١٥ و ١١٤ و ١١٣ و ١١٢ و ١٣٩  
 الجرجي ص ٧  
 الجوهرى ص ٣٦  
 السيد رشيد رضى ص ٧٩  
 السيد شهاب الدين ص ٣١  
 الشدياق (احمد فارس) ص ٢٣  
 و ٤٠ و ٣٩ و ٣٨ و ٣٧ و ٣٦ و ٣١ و ٤١  
 و ٤٢ و ٤٣ و ٤٢ و ٦٢ و ١٠١ و ١٢٢

١  
 ابراهام بك ص ٢٣  
 ابراهيم الأحدب ص ٣٨  
 ابراهيم الدسوقي ص ٢١  
 ابراهيم المولى جى ص ٩٩ و ١٣٣  
 و ١٣٧ و ١٠٦ و ١٠٥ و ١٣٧  
 ابراهيم اليازجى ص ٣٨  
 ابراهيم باشا ص ٢٩ و ٧١  
 ابراهيم بك ص ١٦  
 أبو السعود ص ٢٧ و ٣٨ و ٩٩  
 و ١٠٣ و ١٠١ و ١٠٠  
 أبو نصارة (يعقوب بن صنوع)  
 ص ٢٧ و ٥٠ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣  
 و ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٥٩  
 و ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ و ٦٤ و ٦٥  
 و ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ و ٦٩  
 وأحمد الثالث ص ٦  
 وأحمد سالم ص ٥٢  
 وأحمد عبد الرحيم ص ٢٨ و ٧٠  
 ادكار وينكر ص ٢٤  
 أديب اسحق ص ٤٧ و ٤٨ و ٦٨ و ١١٦ و ١١٧  
 و ١٢١ و ١٢٠ و ١١٨ و ٤١ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٢ و ٦٢ و ١٢٧ و ١٢٥ و ١٢٤ و ١٢٣ و ١٢٢

	القضابي ص ٢٨
	المتنبي ص ٣٦
	المهدى ص ٥٤
	الملاوى ص ٧١ و ٧٢ و ٧٤
	الوليد ص ٣١
	أنطون الجليل ص ١١٥
	أنطون موريس ص ٢٦
	<b>ب</b>
	بطرس البستاني ص ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧
	٤٩ و ٤٨ و ٤٧ و ٤٦
	بغوص بك ص ١٢ و ١٥
	بول دوبليرص ٥٤
	بونابرت ص ٧
	بيرلوقى ص ١٤٣
	<b>ت</b>
	توفيق (الخديو) ص ٤١ و ٨٠ و ٦٠
	٧٨ و ٧١ و ٦٢ و ٦١
	١٢٨ و ١٠٩
	<b>ج</b>
	جال الدين الأفغاني ص ٥١ و ٥٢
	٦٨ و ٧٧ و ٧٤ و ١٠٥ و ١١٧
	١٣١ و ١٢٩ و ٦٠ و ١٣٠
	جودت بك ص ٧١
	جومار من ٢٨
	<b>ح</b>
حبيب افندي ص ١٥	
حسن العطار ص ٢٨ و ٣١	
حسين أفندي ص ٣٠	
حليم باشا ص ٦٠	
حرمة فتح الله ص ١٢١	
	<b>خ</b>
خليل أغاص ١٢٥	
خليل سركيس ص ٨١ و ٨٠ و ٨٢ و ٨٣ و ٨٥ و ٨٤ و ٨٣	
خيرى بك ص ٢٠	
	<b>د</b>
داود بركات ص ١١٥	
دوساسى ص ٢٨	
	<b>ر</b>
رشيد المدادح ص ٣٨	
رفاعة رافع الطهطاوى ص ٢٢ و ١٧ و ٣١ و ٣٠ و ٢٩ و ٢٨ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٤	
رويترز ص ٥٤	
رياض باشا ص ٦٢ و ٣٩ و ٧٠ و ٧١	
روبرت هوك ٩٣ و ٩٤ و ١٢٠	

<p>ص</p> <p>صالح مجدى ص ٢٨</p> <p>ط</p> <p>طرازى (الكونت فيليب) ص ٩٢ و ٨٧ و ٨٢</p> <p>ع</p> <p>عباس الأول ص ٣٣ و ٧١</p> <p>عباس الثاني (الخديو) ص ١٢٨</p> <p>عبد الحميد (السلطان) ص ٥٢</p> <p>عبد الحالق السادات (السيد) ص ١٣٦ و ١٣٤ و ١٣٥</p> <p>عبد العزيز (السلطان) ص ٣٨</p> <p>عبد الفتاح نديم ص ١٢٩ و ١٢٨</p> <p>عبدالستار سلأن ص ٧٢ و ٧١</p> <p>و</p> <p>عبد الله النديم ص ٥٣ و ١٢٥ و ١٢٦</p> <p>و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩</p> <p>عبد الملك ص ٣٢</p> <p>عثمان بك ص ١٣</p> <p>عثمان جلال ص ١٠٣ و ١٠٤</p> <p>علي بك الكندي ص ٢٣</p>	<p>ز</p> <p>زمزم ص ١٦</p> <p>زيزينا (الكونت) ص ٢٠</p> <p>س</p> <p>سامي بك ص ١٨</p> <p>سعد زغلول ص ٧١ و ٧٢ و ٧٤</p> <p>و ١٣٧</p> <p>سعید ص ٦ و ٢٠ و ٣٣</p> <p>سلیمان البستانی ص ٤٥ و ٤٧ و ٤٩ و ٨١</p> <p>سلیم الشدیاق ص ٣٧ و ٣٩ و ٤٠</p> <p>و ٤١ و ٤٣</p> <p>سلیم النقاش ص ١١٧ و ١٢٥</p> <p>و ١٢٧</p> <p>سلیمان البستانی ص ٤٧</p> <p>ش</p> <p>شاکر شقیر ص ٨٦ و ٨٧ و ٨٨</p> <p>و ٩٠ و ٨٩</p> <p>شاهین مکاریوس ص ٩٥ و ٩٦ و ٩٧</p> <p>شریف باشا ض ٥٣ و ٩٣ و ٩٤</p> <p>و ١١٩</p> <p>شیلان ص ٢٥</p>
---	---

<p><b>م</b></p> <p>محمد الحبشي ص ٦ محمد الصادق ص ٣٩ محمد أنسى ص ١٠٢٩٢٧ محمد سلطان باشا ص ١٢٦ محمد عبد الرحيم ص ٧٠ محمد عبده (الأستاذ الإمام) ص ٥١ و ٥٣ و ٥٦ و ٨٥ و ٩٥ و ٧٠ و ٧١ و ٧٢ و ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٧٥ و ١١٠ و ١١٧ و ١٣١ و ١٣٧ و ١١٧ و ٣١ و ٣٠ و ٢٩ و ١٨ و ١٧ و ٣٢ و ٤١ و ٥٩ و ٥٠ و ٤١ و ٣٢</p> <p>محمد فريد ص ١٤٣ محمد أفندي ص ١١ محتر بك ص ١٥ و ١٧ مصطفى كامل ص ١٣٨ ١٤٢ و ١٤١ و ١٤٠ و ١٣٩</p> <p>١٤٣ و ١٤٤ ملطبرون ص ٢٨</p>	<p><b>ع</b></p> <p>علي بك رفاعة ص ٢٣ علي ثبيب ص ٣٠ علي مبارك ص ٢٢ علي يوسف (السيد) ص ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٣٩ و ١٣٧ و ١٣٥ عمر عبد العزيز ص ٣٢</p> <p><b>ف</b></p> <p>فارس شقير ص ٩٠ فارس نمر ص ٩١ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ فان ديك ص ٤٤ فتحي زغلول ص ١٣٧ فيليب (الملاك) ص ٨</p> <p><b>ق</b></p> <p>قاسم أمين ص ١٤٤</p> <p><b>ك</b></p> <p>كارنو ص ٦٦</p> <p><b>ل</b></p> <p>لوبر ص ٨ لويس صابونجي ص ٣٨</p>
---	--

هـ	منو (الجزال عبد الله) ص ٨
هـایکالیس ص ٢٧	موندیه ص ١٣٧
ى	میمو ص ١٥
یعقوب صروف ص ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨	نصری (نصر الله) ص ١٥
یوسف عربیلی ص ٨٦	نصیف الیازجی ص ١١٢
	نوبار ص ١١٩، ٢٧، ٣٩

## للمؤلف

### كتب في الصحفة

الطبعة الأولى ١٩٤١	الطبعة الأولى والثانية ١٩٤٢	الطبعة الثالثة ١٩٤٦	الطبعة الأولى ١٩٤٤	الطبعة الثانية ١٩٤٥	الطبعة الأولى ١٩٤٤	الطبعة الثانية ١٩٤٨	الطبعة الأولى ١٩٤٧	

١ - تاريخ الطباعة والصحافة في مصر  
خلال الحملة الفرنسية

٢ - الواقع المصرية (١٨٢٨ - ١٩٤٢)

٣ - تطور الصحافة المصرية وأثرها  
في النهضتين الفكرية والاجتماعية

٤ - أعلام الصحافة العربية

٥ - حول الصحافة في عصر اسماعيل  
(حقائق غير مطوية )

### كتب في النسخ

الطبعة الأولى ١٩٣٧	الطبعة الأولى ١٩٤٦	الطبعة الأولى ١٩٤٥	الطبعة الأولى ١٩٤٥		

٦ - في السودان

٧ - تطور النهضة النسائية في مصر  
بالاشتراك مع الدكتور درية شفيف

٨ - تذكرة طلعت حرب  
بالاشتراك مع الأستاذ على عبدالعظيم

### كتب في الأدب

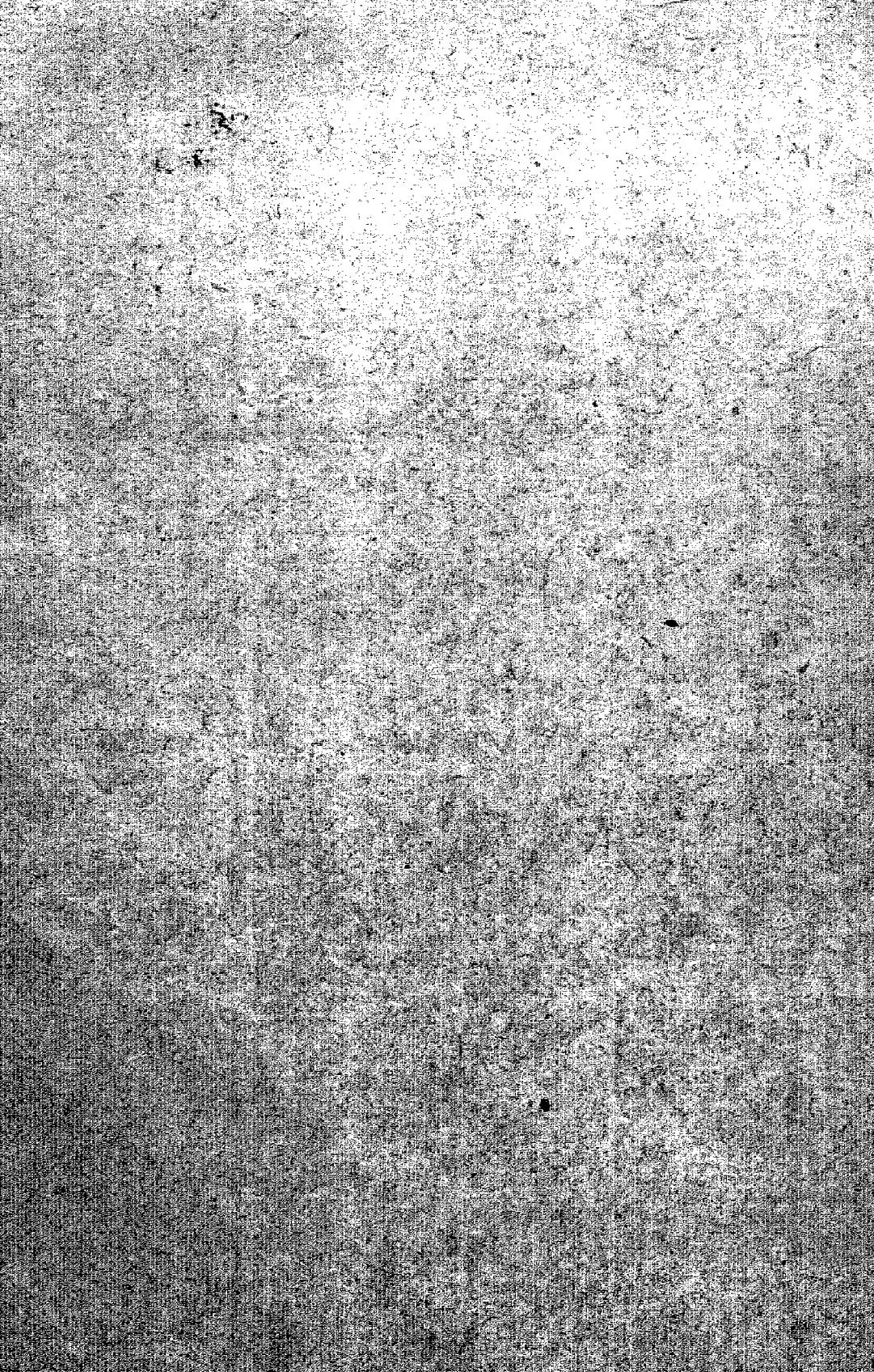
الطبعة الأولى ١٩٣٣	الطبعة الثانية ١٩٤٤	الطبعة الثالثة ١٩٤٧	الطبعة الأولى ١٩٣٤		

٩ - الحياة الثانية

١٠ - في المصايف

فهرست الكتاب





Biblioteca Alexandrina



0206201